جان بول سارتر والثورة الجزائرية

1954 - 1962

الأستاذ الدكتور: عبد المجيد عمراني
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة باتنة - الجزائر

تقديم أ.د/ محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية



دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

جان بول سارتر والثورة الجزائرية

1954 - 1962

الأستاذ الدكتور: عبد المجيد عمراني
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مدير مخبر حوار الحضارات والعولمة
جامعة العقيد الحاج لخضر - باتنة
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

تقديم أ.د/ محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية



دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

الرقم التسلسلي 85 - 2007 دار الهدى
رقم الإيداع القانوني 2652 - 2007 المكتبة الوطنية
ردمك 7 - 934 - 60 - 9961 - 978

الفـــروع

مكتبة وراقة دار الهدى بـــ:

عين مليلة: الحي البلدي
الهاتف: 032.44.83.57 الفاكس: 032.44.92.67

قسنطينة: حي كوحيل لخضر جنان الزيتون
الهاتف: 031.92.22.08 الفاكس: 031.92.27.08

الجزائر: 01 شارع أوراس بشير باب الواد
الهاتف: 021.96.62.20 الفاكس: 021.96.61.11

وهران: 05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية
الهاتف: 041.40.46.47/041.40.46.89
الفاكس: 041.41.46.54

دار الهدى
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص.ب 193
عين مليلة – الجزائر

الهاتف
032 44 92 00
032 44 95 47

الفاكس.
032 44 94 18

Web: www.elhouda com
e-mail: darelhouda@yahoo.fr

تمّ السحب بـ:
مطبعة دار الهـــدى
2007

الإهداء

إلى أرواح شهداء الثورة الجزائرية 1954 - 1962.

إلى أرواح أولاد عمران الشهداء وبخاصة والدي الشهيد الهادي بن محمد عمراني الذي ساهم في تفجير ثورة نوفمبر الخالدة 1954م واستشهد في ميدان الشرف سنة 1956م بدوار طامزة ولاية خنشلة.

إلى روح والدتي توتة التي رعتني وحيدا إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى سنة 1955.

أهدي هذا العمل المتواضع.

المؤلف

تمهيد

إن الدراسات العلمية والأكاديمية والخاصة بكتابات جان بول سارتر الفلسفية والسياسية والأدبية والمسرحية والتاريخية وموافقة اتجاه القضايا التحريرية في العالم ومبادئه الأخلاقية والفكرية كالالتزام بفكرة الحرية التي أثارها في كتابة الغثيان (La nausée) سنة 1938 إلى كتابة الكلمات سنة (Les mots) 1964 الذي كان هو الدافع الرئيسي لإنجاز رسالة ماجستير (M.Litt) (1986) والدكتوراه (Ph.D) 1990 حول حرية الفكر والتاريخ الموضوعي والسياسة الفنية والأخلاق التي تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك البشري في فلسفة سارتر، فضلا عن الكتب العديدة والبحوث والمقالات التي أنجزناها منذ سنة 1982 والمشاركة في الندوات والملتقيات والمؤتمرات حول الفيلسوف الفذ المتميز والانضمام إلى الجمعيات الفلسفية العالمية منها الجمعية الفلسفية العربية والجمعية السارترية لشمال أمريكا والجمعية الفلسفية الصينية التي تشرفت مؤخرا بدعوتها لنا في مؤتمرها الخامس عشر.

(The 15th international conference on chanise philosophy, wuhan university June 24-28 2007 China).

حول الفلسفة الصينية في القرن الواحد والعشرين والعالم الآخر بمداخلة تحت عنوان "المثالية في موقف جان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954-1962".

(Idealism on Jean-Paul Sartre's Position Towards The Algerian Revolution: 1945-1962).

بجامعة أوهان الصين الشعبية، كل هذه الدراسات السابقة وهي دراسات جادة وجيدة للباحث بخاصة والقارئ عامة لكن البحث مستمر ونحن مازلنا نبحث في عمق بداية البدايات المؤسسة للنظريات الفلسفية في الفكر التاريخي والسياسي لسارتر ونهاية النهايات لفلسفة المقاومة من أجل تحقيق فكرة الحرية التي ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعده.

وبهذا تشكل رؤية الدراسة التي تتنبؤ بمستقبل الخطاب الفلسفي المعلوم الذي سيؤدي حتما إلى الإحتمالين: إما فلسفة الحرب ... أو حرب الفلسفة... على الرغم من تقارب المفاهيم وتكريس ثقافة:... من الحوار إلى التحالف بين الحضارات والثقافات الإنسانية في عصر دمقرطة الثورة المعلوماتية وإشكاليات مجتمع المعلومات العالمي ما بعد الإديولوجيات وما بعد العولمة وذلك للمساهمة في إنجاح مشروع حضارة المجتمع العالمي الحديث.

المؤلف

تقديـــم

بقلم أ.د/ محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

في حياة الأمم والشعوب تحولات كبرى يتسارع فيها التاريخ إلى الأمام وتصبح بسبب نتائجها الحاسمة فاصلة بين عهدين: عهد الظلم و الظلام الذي ولى غير مأسوف عليه إلى غير رجعة، وعهد الحرية الواعد ببناء الدولة الوطنية، دولة الحق والعدل والرفاهية، وهذا شأن الثورة الجزائرية.

لم تتجاوز الثورة الجزائرية عامها الثاني حتى تردد صداها في محيطها القريب والبعيد، ووجدت فيها الشعوب المضطهدة بارقة أمل للتحرر من الاضطهاد والإستغلال الكولونيالي، كما تعاطف معها الكثير من أهل الفكر والذكر في الغرب والشرق، وفي فرنسا نفسها التي تنكرت لمبادئها المعلنة عن الحرية و الأخوة والمساواة وحقوق الإنسان.

لقد تبين بعد عقود قليلة من ثورتها أن تلك المبادئ ليست سوى ديباجة للتغطية على الطغيان والهيمنة على الشعوب وممارسة التجهيل والتفقير والإبادة الجماعية للأبرياء.

و كانت الجزائر خلال قرن وثلث، وخلال السبع سنوات والنصف العظام من ثورتها الشعبية ساحة مباحة للإستئصال المادي والمعنوي والقهر وجرائم القتل والتعذيب والتدمير لشعب لم يعتد عليها بل هب لنجدتها عندما تعرضت للمجاعة وتحالفت ضدها بعض دول أوروبا بعد إطاحتها بالملكية.

من شرعية الكفاح التحريري و تضحيات الشعب الجزائري، و من تعاطف ومناصرة بعض النخب الفكرية والسياسية لثورة الحق والحرية أنطلق د/ عبد المجيد عمراني في هذه الدراسة عن ج ب. سارتر و الثورة الجزائرية و قد أحسن الاختيار، لأن فيلسوف الوجودية الأكبر "سارتر" في الفترة ما بين الحربين و ما

بعدها من الفلاسفة القلائل الذين عاشوا أفكارهم في الواقع، بل ناضلوا من أجلها وتكبدوا في سبيل مواقفهم الشجاعة الكثير من الظلم والتضييق، وحتى التهديد بالقتل، فقد دعا المتطرفون ووزعوا مناشير في باريس تحمل كلمتين: أقتلوا سارتر !

لم يكن سارتر مجرد صديق متعاطف مع كفاح شعبنا، بل تبنى القضية وتصدى بشجاعة لأساطين الإيديولوجية الكولونيالية الحاقدة والعنصرية، فهو إلى جانب صديقه د/ فرانتز فانون من المناضلين المخلصين، و المؤيدين الأوفياء لحق الشعب الجزائري في الحرية و الكرامة الإنسانية.

كتب سارتر في المقدمة التي وضعها لكتاف. فانون "المعذبون في الأرض" (Les donnés de la terre): إن بين كل اثنين من الفرنسيين جثة جزائري، إن كلمة فرنسا كانت تعني سابقا إسم بلد، احذروا إنها تعني هذه السنة (1961) العصاب (Névrose) هناك موكب من النخب الفرنسية من أنصار الحرية و أصدقاء الجزائر أشار إليهم د/ عبد المجيد عمراني في دراسته التحليلية من أبرزها فرانسيس جونسون وهنري علاق و مندوز و فيدال ناكيه الذي أصر على مناقشة أطروحة موريس أودان بعد اغتياله على أيدي العسكرتيارية (Soldatesque) الفرنسية، و قد خصت الجزائر " أودان" بالامتنان والعرفان واطلقت اسمه على إحدى ساحاتها الرئيسة في وسط العاصمة الجزائر، ولم تسأل عن دينه وجنسه ومذهبه السياسي (الحزب الشيوعي).

خصص المؤلف د/ **عبد المجيد عمراني** فصلا كاملا لشخصية سارتر وفلسفته ومساره النضالي وعلاقاته بالحزب الشيوعي واليسار الفرنسي وخاصة الحزب الاشتراكي الذي كان يسمى (SFIO) ووصف د/ عمراني الممارسات الإجرامية لجيش الاحتلال الفرنسي وجبروت الكولون، وما أقترفته المنظمة الإرهبية (OAS) من قتل وتدمير وقد عبر فيلسوف الحرية سارتر على جرائم الكولونيالية بكلمته المشهورة "عارنا في الجزائر" وكان بحق من القلائل الذين دافعوا عن شرف فرنسا المعلن في ديباجات ثورتها والرجل الوفي لمبادئ فلسفته التي أقامها على وجود هو الحرية وعدم (Néant) هو العبودية وسخر حياته للدفاع عن الحرية والالتزام بالموقف المناصر للحق والكرامة الإنسانية مهما كان الثمن.

سارتر من المثقفين القلائل الذين وصلوا إلى العالمية ولم يقبل جائزة نوبل وهو الوحيد الذي لم يغفر لبلده فرنسا وحشيتها تجاه شعب سمته خداعا وتضليلا رعاياها (Ses sujets) وكتب في مجلته الشهيرة الأزمنة الحديثة (Les temps modernes) عدد أبريل 1962 ما يلي: "ينبغي أن نقول بأن الوقت ليس للابتهاج، منذ سبع سنوات وفرنسا كلب مسعور يجر في ذيله قدرا (...) لا أحد يجهل اليوم بأننا خربنا بلدا وجوعنا وذبحنا شعبا بائسا لإجباره على الركوع، لقد بقي ذلك الشعب واقفا، ولكن بأي ثمن ؟ !

بالمقابل نجد فيلسوف الوجودية ألبير كامو (أوخموس) وليد الجزائر على النقيض من سارتر ورفاقه المناضلين، فقد كان أقرب إلى عصابات الكولون منه إلى مُثُل الحق والعدل والحرية، فقد أنحاز طيلة حياته إلى الظلم والباطل ولا علاقة لهذا التقييم بأصله اليهودي، بل هو حكم على موافقة غير الشريفة، و ليس على العنصر أو الدين أو الجنسية .

إن الجزائريين في نظر "كامو" هم المستوطنون، أما أهل الجزائر الحقيقيون فإنه يسميهم العرب، وقد رفض سنة 1958 التوقيع على عريضة ضد الحرب والتعذيب في الجزائر موجهة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، عريضة وقعها عمداء الفكر والأدب في فرنسا من غير المحسوبين على اليسار نذكر منهم "أندري مالرو" و"فرونسوا مورياك".

ترددت مواقف "كامو" أثناء لهيب الحرب الظالمة على الجزائر بين رفض القمع بأسلوب يتحاشى الإدانة، و بين الانحياز الفاضح للمستوطنين، والتخفي وراء مهمة التمدين الكاذب الذي أدعته فرنسا الكولونيالية، لقد ذهب فيلسوف الوجودية الفرنسي الثاني بعيدا في الردة والتنكر لمبادئ الفلسفة الوجودية التي أشرنا إليها سابقا.

إن مجمل رواياته التي تحدث وقائعها في الجزائر، لا يظهر فيها شيء عن الجزائر، فهذا البلد مجرد ساحة أو امتداد "للمتروبول" وقد ختم مساره بمقولة شوفينية أخرجته من التيار الإنساني ومؤدي تلك المقولة: أفضل أمي (يعني فرنسا) على العدالة (Je préfère ma mère à la justice).

وأختم هذه الكلمة التقديمية بفقرة من دراسة **د/ عبد المجيد عمراني** التي نرجو أن تكون طبعتها الجديدة خالية من الأخطاء المطبعية، وبصياغة عربية سليمة.

يقول الكاتب في خاتمة كتابه: (أما التطور التاريخي لموقف سارتر تجاه قضية الشعب الجزائري العادلة كان مطابقا كليا ومنسقا تنسيقا علميا ومترابطا ترابطا وطيدا مع نظريته في الحرية التي كان يدافع عنها منذ الحرب العالمية الثانية).

و على هذا الأساس فهو على صدق عندما قال "قول الحقيقة هو قول كل كاتب متقدم".

نرجو أن يتواصل عمل **الكاتب الجامعي د/ عمراني** في مجالات البحث والتحليل والتعريف بملحمة الثورة وصداها في محيطها الجيوسياسي والثقافي وقد أشرت إلى أهمية هذا المجهود المعرفي في كتابي عن الإحتلال الإستيطاني للجزائر: مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، ط. ثالة، 2005.

نرجو أن تساهم النخبة الجزائرية في إثراء الدراسات المتعلقة بنظرية الثورة الجزائرية ووجهات نظر السياسة والمفكرين الجزائريين، وغير الجزائريين، سواء كانوا من أنصارها أم من أعدائها، وأن تسهر الجهات المعنية في الجامعات ومراكز البحث ووزارة المجاهدين ومنظمتهم العتيدة على بعث مشروع موسوعة تاريخ الجزائر وأنطولوجيا الثورة وما سبقها من إرهاصات، وأستشراف ما يتطلبه الحاضر والمستقبل من أجيالنا الصاعدة من علم ووطنية بهدف تحقيق العزة والمناعة والتقدم لوطننا على المستويين الجهوي والدولي، طبعا بالعربية أساسا، وبلغات أخرى.

إن ذلك يعد بلا ريب من أهم ما تقدمه نخب ما بعد التحرير من أمتنان وعرفان لشهدائنا الأبرار ولماضينا القريب والبعيد .

و الله المستعان

الجزائر في: 2007/06/25
أ.د/ محمد العربي ولد خليفة
رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

مقدمة

إن تاريخ الثورة الجزائرية ما زال موضوع نقاش وانتقادات في الدراسات التاريخية المعاصرة. وهذا في الحقيقة من خصائص الباحثين عامة والمؤرخين خاصة، وأيضا من اهتمامات أهل السياسة في مجرى الأحداث السياسية والتغيرات الفكرية التي حدثت في القرن العشرين. فعلا أن هذه الثورة التي حطمت آمال الفرنسيين وأنصار «الجزائر الفرنسية» (L'Algérie Française) ووقفت في وجه القوات العسكرية الفرنسية المسلحة بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية الحديثة التي يدعمها الحلف الأطلسي، قد غيرت عجلة التاريخ وشجعت الحركات التحررية في الخمسينيات والستينيات خاصة ودعمت كل من يطالب بالحرية والاستقلال. وهذا الانتصار الذي لم يكن في الحقيقة انتصارا للشعب الجزائري على الاستعمار الفرنسي فقط: بل هو انتصار الانسانية. وهذا الانتصار كلف الشعب الجزائري أكثر من مليون ونصف المليون شهيد لتحرير أرض الجزائر.

وهذه الدراسة المتواضعة والتي هي الأولى من نوعها حسب إطلاعنا، تهتم بالجرائم الفرنسية المرتكبة في حق الشعب الجزائري من القتل الجماعي وتطبيق أساليب التعذيب والتشريد والنفي إلخ.... وموقف النخبة الفرنسية المثقفة من هذه الجرائم المتوحشة في حق شعب يطالب بالحرية والاستقلال، التي ارتكبها الجيش الفرنسي باسم الثقافة والحضارة الغربية. حقيقة أن هناك بعض المثقفين الفرنسيين الذين نددوا بهذه الأعمال الوحشية وساندوا نضال وكفاح الشعب الجزائري في الإستقلال والحرية، والبعض الآخر لم يكتف بعدم التأييد والسكوت والتحفض بمبادئهم الفلسفية التي يؤمنون بها فقط بل أعلنوا عن حقيقة تفكيرهم المتمثل في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب الجزائري.

وهدفي من هذه الدراسة هو أن أبين حقيقة المثقفين الذين يؤمنون بفلسفتهم وحريتهم السياسية والذين التزموا بمبادئهم ودافعوا عنها منذ الحرب العالمية الثانية حتى الثورة الجزائرية وحاولوا تجسيدها في الواقع، حيث نجد بعض المثقفين الذين

شاركوا مشاركة فعلية في تحرير الجزائر، والبعض الآخر بالكتابة والمساندة المطلقة لشعب غير شعبهم. والمثقفون الذين أريد أن أتطرق إلى أفكارهم الفلسفية تجاه القضية العادلة للشعب الجزائري هم المثقفون اليساريون الذين اختلفوا في رأيهم وتعبيرهم تجاه الثورة الجزائرية على الرغم من همجية ووحشية الجيش الفرنسي الذي تحول إلى ڤاسطابو (Gastapo) وأصبح يمارس «النازية الهتلرية» في الخمسينيات وبداية الستينيات على الشعب الجزائري إلا أننا نجد مثقفين فرنسيين يذكرون الشعب الفرنسي والرأي العام العالمي بما كانوا علية أثناء الحرب العالمية الثانية منهم جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) وألبير كامو (Albert Camus) وفرانسيس جونسون (Francis Jeanson) وفرانس فانون (Frantz Fanon) وسيمون دي بوفوار (Simone De Beauvoir) وكلود بوردات (Cloude Bourdet) وبيار هنري سيمون (Pierre - Henri Simone) وجان ماري دومنيش (Jean - Marie Domenach) وجان جاك سيرفن شرايبر (Jean-Jacques Servan - Schreber) فرانسوا مورياك (François Mauriac) لكن في هذه الدراسة سأهتم بمعالجة أفكار ومواقف المثقفين الذين شاركوا في الثورة التحريرية أو الذين دعموها بكتاباتهم السياسية والذين لهم علاقة عمل وصداقة مع جان بول سارتر الذي كان مهددا ومطاردا من قبل السلطات الفرنسية وخاصة المنظمة العسكرية السرية الإرهابية التي كانت ترى بأن القضاء على سارتر هو القضاء على اليسار الفرنسي وتدعيم سياسة الإندماج والمحافظة على «إستمرارية الجزائر الفرنسية» مما جعلنا نهتم بكتاباته السياسية وبمواقفه الملتزمة «وبفكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. وما يلاحظ في هذه الدراسة هو التركيز على فلسفة سارتر وموقفه من الثورة الجزائرية أكثر من المثقفين الآخرين لأنه الفيلسوف الوحيد الذي ساند كفاح ونضال الشعب الجزائري ضد الإستعمار ودعم الثورة التحريرية بكتاباته السياسية وأعماله الأدبية ووظف فلسفته في تحرير الإنسانية من قيود الاستعمار والتي جعلت حياته مهددة بالقتل في بداية التسينيات.

وعلى هذا الأساس فإن سعينا من هذه الدراسة المتواضعة هو أن أوضح ما إذا كان موقف النخبة الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية نابعا من مبادئهم وأفكارهم الفلسفية أم من موقفي المسؤولية الإجتماعية التاريخية تجاه الشعب الجزائري.

وفي النهاية أريد أن أنبه القارئ العربي بأن هذه الدراسة: هي دراسة تحليلية لأفكار المثقفين الفرنسيين تجاه الثورة الجزائرية وهي موجهة ومصححة من قبل الباحثين الأجانب المهتمين بهذه الدراسات الفلسفية والتارخية. والترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية في هذا الكتاب هي ترجمة شخصية.

وبالإضافة إلى ذلك هناك إضافات وتعديلات جديدة إلى هذه الدراسات المعاصرة مما يجعلها مفيدة للباحث العربي عامة ومكتباتنا خاصة. وعلى هذا أريد أن أشكر بعض الباحثين والأساتذة الذين لهم أنا مدين، إذ وجهوني لإنجاز هذا البحث وهم:

الأستاذ كيث روبينس (Professor Keith G. Robbins) رئيس قسم التاريخ المعاصر بجامعة أقلاسقو (Glasgow) سابقا وعميد جامعة لامبتر بيلاد الغال حاليا ببريطانيا (St David's University College, Lampeter. Wales G.B) والأستاذة الدكتورة إيفا شابر (Profesor Eva Schaper) رئيسة قسم الفلسفة بجامعة أقلاسقو سابقا ومتقاعدة حاليا والدكتورة ميري هيت (Dr/ Mary R. Haight) أستاذة بقسم الفلسفة نفس الجامعة. والأستاذ ريتشر قان (Richard Gunn) أستاذ بقسم العلوم السياسية بجامعة أدنبورغ بسكوتلاندة (University of Edinburgh - Scotland). والأستاذة الدكتورة هيزل بارنس (Professor Hazel E. Barnes) أستاذة بقسم الفلسفة بجامعة كولورادو بولدر - بالولايات المتحدة الأمريكية (University of Colorado - Boulder - USA) التي كتبت عدة دراسات وبحوث أكاديمية عن فلسفة جان بول سارتر والثورة الجزيرية. وأشكر الأساتذة الأفاضل مرة ثانية على انتقاداتهم الموضوعية لهذه الدراسة وتوجيههم العلمي والمنهجي لإنجاز هذا البحث كما أشكر الدكتور عبد الله العشي والأستاذ السعيد لراوي أساتذة بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة باتنة على توجيههما وتصحيحهما للأخطاء النحوية واللغوية لهذا الكتاب.

الفسلفة هي البداية الحقيقية للحرية الفردية والإجتماعية
وهي النهاية الحقيقية للتاريخ الفلسفي للأفراد.

الفصـــــل الأول

فلسفة جان بول سارتر ونشاطاته السياسية في الحركة الفرنسية

1 - الانطولوجيا عند سارتر

2 - تأثير إيديولوجية اليسار على فكر سارتر

فلسفة جان بول سارتر ونشاطاته السياسية في الحركة الفرنسية

سأحاول في هذا الفصل أن أبين بإختصار فكرة «الأنطولوجيا» (Ontology) عند سارتر كنقطة الإنطلاق لتطوير فكره الفلسفي. ولكي نحلل فلسفة سارتر وموقفه تجاه الثورة الجزائرية، رأينا أنه من المهم أن نعود إلى ظهور «فكرة الحرية» السياسية عنده وكيف تأثر باليسار الفرنسي بخاصة والأوروبي بعامة قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. ولفهم هذه المواقف والمبادئ الأساسية لسارتر من هذه الحوادث التاريخية لابد أن نتطرق إلى علاقته بالحزب الشيوعي الفرنسي والتي كانت مترددة بين المد والجزر، أي بين المعارضة أحيانا والتأييد أحيانا أخرى.

1 - الأنطولوجيا عند سارتر:

قبل دراستنا لفكرة «الأنطولوجيا» عند سارتر يجدر بنا أن نتطرق أولا إلى حياته بإيجاز. إذن من هو سارتر؟

جان بول شارل أيمارد سارتر (Jean - Paul Charles Aymard Sartre) ولد في 21 جوان 1905 بباريس، بدأ حياته الدراسية في أكتوبر 1915 بثانوية هنري الخامس بباريس، وقد كان ناجحا في دراسته، إذ قال عنه أساتذته أنه كان «ممتازا في جميع الميادين»[1]. وفي 1924 دخل ساتر المدرسة العليا للأساتذة حيث إلتقى بعدة طلبة أصبحوا فيما بعد كنخبة فرنسية وسجلوا أسماءهم في تاريخ الفكر المعاصر أمثال ريمون أرون (Rymond Aron) وموريس مورلو بوانتي (1908 - 1961 - Maurice Merleau - Ponty) وبول نزان (Paul Nizan) إلخ... إذ قال سارتر فيما بعد في مقدمة لكتاب «عدن عربي» (Aden Arabie) لبول نزان: «إن المدرسة العليا للأساتذة في نظر أغلبيتنا وفي نظري أنا شخصيا،

(1) Archives of the lycée Henri IV, 1915 - 16 in Michel Contat and Michel Rybalka, "Chronologie", in Jean - Paul Sartre, Oeuvres Romanesques, (Paris: Gallimard, 1981).

كانت منذ تأسيسها بداية للإستقلال، ويعتقد الكثيرون، مثلما أعتقد بأنهم قضوا بها أربع سنوات من السعادة».[1]

وفي جويلية 1929 إلتقى سارتر لأول مرة بالكاتبة سيمون دي بوفوار (Simone de Beauvoir) بباريس وقال لها: «إنطلاقا من هنا سأخذك تحت رحمة جناحي»[2] وهي بداية التعرف والإرتباط المتبادل بينهما بحيث كان واضحا لها بأنه لا يمكن (لسارتر) الإبتعاد عن حياته ولو لحظة واحدة»[3]. وفي فيفري 1931 أنهى سارتر الخدمة العسكرية التي دامت 18 شهرا حيث تعلم منها مهنة بالإرصاد أي عالم بالأرصاد الجوية، ثم بدأ يدرس الفلسفة في ثانوية لوهافر. وفي سبتمبر 1933 ذهب إلى ألمانيا حيث درس الفلسفة الألمانية بالمعهد الفرنسي ببرلين، وأهتم بدراسة فلسفة إدموند هوسرل (Edmund Husserl - 1859 - 1938) وفلسفة مارتن هيدجر (Martin Heidegger - 1884 - 1976) وهنا كتب مقالته الأولى المشهورة بعنوان «التخيل» (L'Imaginaire) والتي ظهرت فيما بعد كدراسة سيكولوجية في «أبحاث فلسفية» (Recherches Philosophique - 1936) وفي عام 1938 كتب سارتر روايته الأدبية المشهورة «الغثيان» (La Nausée) حيث لقيت تشجيعا من قبل النقاد الأدبيين، ومن هنا بدأ سارتر يكتب المقالات والكتب الأدبية والفلسفية وأصبح معروفا في الأوساط الثقافية والعالمية كأديب وكفيلسوف ورجل يهتم بالسياسة. وفي جوان 1940 سجن ونقل إلى محتشدات بألمانيا وبقي إلى مارس 1941 وعمره أنذاك 35 سنة.

وفي 25 جوان 1943 كتب سارتر كتابه المشهور والقيم «الوجود والعدم» (L'être et le Néant) والذي جعله كمفكر ضمن الفلاسفة الوجوديين المعاصرين وما بين سنتي 1940 و1960 إلتزم بالكتابة وبالعمل وبمواقفه الفعلية وذلك حسب «فكرة الحرية» عنده وتطورها في كتبه والتي سنتطرق إليها في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

(1) Sartre in his preface to Paul Nizan's Aden - Arabie. (Paris: François Maspero, 1960) pp. 21 - 22.

(2) Simone de Beauvoir, Memoires of a dutiful daughter, Translated by James Kirkup, (London: Benguin Book, 1963) p. 339.

(3) Ibid, p. 345.

حقيقة لم يوجد في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر فيلسوف كتب كجان بول سارتر في عدة مجالات فكرية وأدبية، وفعلا لم يكن فيلسوفا فقط، بل كان أيضا مؤلف الروايات والمسرحيات والقصص، وعالما نفسانيا وعالما في السياسة والصحافة (بالإضافة إلى هذا فهو رجل يثير الدهشة والإعجاب) إذن فكل من يهتم بدراسة الفلسفة الوجودية المعاصرة كفكر وتيار معاصر يربطها أولا بسارتر ذلك لأنه كتب عنها بأسلوب مبسط ووظفها في مجالات عدة، وبعد ذلك يتطرق إلى معرفة الفلاسفة الآخرين الذين كتبوا عن الوجودية أيضا أمثال كيرك كجارد (Sören Kierkegaard - 1813 - 1855) وكارل جاسبيرس (Karll Jaspers - 1973 - 1883) ومارتن هيدجر، وبالرغم من هذا فقد عاش سارتر نصف حياته مهانا ومراقبا من قبل السلطات الفرنسية مما أدى إلى المساس بسمعته، حيث كان هدفا لعدة محاولات إغتيال من قبل المنظمة العسكرية السرية (OAS) التي ظهرت في الجزائر في بداية الستينيات نظرا لموقفه أثناء الثورة الجزائرية مثله مثل الكاتب أندري مالرو (André Malraux) وزير الثقافة (1958 - 1962) في عهد الجنرال ديغول، هذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصول القادمة. والآن سأهتم بأنطولوجيا سارتر كنقطة أساسية لتطوير فكره الفلسفي، ولمعرفة «فكرة الحرية» عنده، نرى أنه من الأجدر لنا أن نناقش فكرة «الأنطولوجيا» كبداية أساسية في فلسفته.

إن تعريف الأنطولوجيا أو علم الوجود كما جاء في المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا[1]: «هو فرع من الفلسفة الذي يبحث في الموجود في ذاته مستقلا عن أحواله وظواهره، وعلى هذا الأساس فهو يسمى بعلم الموجود من حيث هو موجود» كما جاء في فلسفة أرسطو (Aristotle - 384 ق، م 322 ق، م) ولم يستعمل هذا المصطلح في الفلسفة حتى القرن السابع عشر على يد الفيلسوف الألماني جوهانس كلوبارج (Johannes Clauberg - 1622 - 1665) الذي قال بأن الأنطولوجيا هو العلم الأول الذي يهتم بدراسة الوجود

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ج - 2) (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1979) ص 560.

كموجود[1]. بينما مارتن هيدجر يرى بأن «علم الوجود هو الوجود المحض الذي يشمل طبيعة الكائن الواقعي، أو الموجود المشخص وماهيته، وأهم مسائل هذا العلم تحديد العلاقة بين الماهية والوجود»[2].

أما الأنطولوجيا عند سارتر كما جاء في شرح مصطلحاته لعبد الرحمان بدوي هي: «دراسة تراكيب وجود الموجود مأخوذا ككل شامل. فهي تصف الوجود بما هو وجود، والشروط التي بها «هاهنا» عالم. فهي إذن وضعية محضة، ظاهرياتية وتعارض كل ميتافيزيقا تدعى تفسير الظواهر عن طريق مبادئ ليست ظاهرية ولا تجريبية»[3]. وفكرة الأنطولوجيا أي علم الوجود عند سارتر تهتم من الناحية الفلسفية بدراسة الفينومينولوجيا (Phenomenology) للوجود أي ما يسمى بالظاهراتية عند أيدموند هوسرل ويتمثل الأنطولوجيا عند سارتر في الوجود لذاته (Être - pour - soi - Being - for - itself) أي الإنسان أو الشعور أوالوعي، والوجود في ذاته (Être - en - soi - Being - in - itself) أي العالم أو المادة أو اللاشعور وبمعنى آخر الأشياء غير الواعية، وأخيرا الوجود للغير (être - pour - autrui - Being - for - others) أي كيف نرى الإنسان من حيث علاقته بالآخرين، وبمعنى أوضح فالوجود للغير هو أن الإنسان واع بوجوده كشيء معرف لدى الغير، وكذلك واع بوجود الغير ووجودهم في العالم. وعلى هذا الأساس فسارتر يؤكد ويقول لا نوجد لأنفسنا فقط بل نوجد للغير، على الرغم من أن سارتر أخذ المصطلحين الوجود لذاته والوجود في ذاته من هيجل (Fur - 1831 - 1773 - 1770 George wilhelm friedrich Hegel sich, an - sich) فإنه تعمق في دراستهما وطورهما خاصة من الناحية الفلسفية ووضح الفرق بينهما بالتفصيل في كتابه «الوجود والعدم»، وفعلا لقد أكد هاربرت سبيجلبرغ (Herbert Spegelberg) قائلا: «يمكن لأي أحد أن يعتقد في هذه

(1) William L. Reese, Dictionary of Philosophy and Religion. (Sussex: Harvester Press, 1980) p. 401.)

(2) د/ جميل صليبا، المعجم الفلسفي (ج، 2) ص: 560.

(3) جان بول سارتر، الوجود والعدم ترجمة عبد الرحمان بدوي (بيروت: منشورات دار الآداب، 1966) ص: 7.

المصطلحات حتى ولو في حالة مفهوم سارتر لهما، للوجود في ذاته والوجود لذاته والتي تبدو مأخوذة مباشرة من طريقة هيجل الفلسفية»[1].

إن فكرة الأنطولوجيا عند عند سارتر تبحث في الحقيقة لتحديد طبيعة الوجود عبر دراسة الوجود الإنساني حيث بينت جلبرت فاريت (Gilbert Varet) في كتابها «أنطولوجيا سارتر» (L'ontologie de Sartre) قائلة: «إن نقطة الإنطلاق في فلسفة سارتر ليست هي حقيقة الإنسان، أو الوجود أي الكينونة، أو سوء الطوية أي سوء النية، أو الإلحاد (بل هي الأنطولوجيا)»[2]. وعلى هذا الأساس نجد فكرة الأنطولوجيا سيطرت على فلسفة سارتر وعلى رواياته المسرحية وقصصه الأدبية وكتبه ومقالته السياسية فيما بعد. حقيقة إن إهتمامنا بتعريف الأنطولوجيا عند سارتر بإيجاز وكبداية لمعرفة تطور أفكاره من الناحية الفلسفية خاصة، وذلك لكي نتفهم ونستوعب «فكرة الحرية» التي هي الهدف الملموس لتحرير الإنسان من جميع العوائق والتي نادى بها سارتر قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وسارتر يحدد معنى الحرية قائلا: «إن إختيار حريتك في عالم الفعل أو النشاط الإجتماعي والسياسي أو الخلق الفني شيء واختبارها في فعل الفهم والإكتشاف شيء آخر»[3]. وعلى الرغم من أن سارتر يهتم بدراسة التحرر أكثر من الحرية فإن الحرية عنده تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الحرية الميتافيزقية وهي التي تجعل الإنسان واعيا وعيا كاملا بالحرية التي يملكها، ويجب عليه أن يواجه ويقاوم كل الأشياء التي تقف أو تعرقل أو تجعل حدودا لحريته.

(ب) الحرية الفنية وهي تتمثل في إختبار حرية الإنسان وعلاقته الفنية والخلقية بالآخرين.

---

(1) Herbert Spiegelberg, The Phenomenological Movement, vol. II. (The Hague: Nijhoff, 1965) p. 472.

(2) Gilbert Varet, L'ontologie de Sartre, (Paris: Presses universitaires, 1949) p. 2.

(3) Sartre, literary and philosophical essays مأخوذ من كتاب، سارتر .. مفكرا وإنسانا. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967): ص: 172.

(ج) الحرية الإجتماعية السياسية وهي تلك الحرية القائمة على العدم أو النفي، والعدم هو أصل الحرية، والحرية نفسها هي أصل العدم في هذا الكون، والإنسان في واقعه مشروع يعيش بذاته ولذاته، والحرية ملتزمة وتقتضي الإختيار، وحدود حرية الإنسان موضوعية وذاتية في آن واحد. وبالرغم من أن سارتر مهتم بالحرية الإجتماعية السياسية في تطور «فكرة الحرية» التي ينادي بها والتي تتحدث عن إستعباد وقهر الحريات الفردية وإستغلالها، فإنه يمزج أو يستعمل الحرية الميتافيزيقية إلى جانب الحرية السياسية كعنصر أساسي ومهم في الحياة الإجتماعية للفوارق أو الصراع الطبقي، هذا ما توصل إليه عندما كتب كتابه الثاني القيم «نقد العقل الجدلي» (Critique de la Raison Dialectique - 1960) وأصبح يهتم أكثر بالحرية السياسية في كتاباته الأخيرة ملتزما بما كان يقول في نهاية الأربعينيات حيث قال:

إن هدفنا الملموس الذي هو معاصر وواقعي جدا، هو أن نحرر الإنسان.

وهذا له ثلاثة جوانب: أولا الحرية الميتافيزيقية؛ جعل الإنسان واعي وحرا كلية وأنه يجب أن يكافح ضد أي شيء يساهم في تحديد أو تقييد الحرية. ثانيا الحرية الفنية؛ تتمثل في توسيع إتصالات الإنسان الحرة مع الأفراد الآخرين من خلال الفن، وبمساعدة ذلك لوضع الإتصالات مع مجال واحد من الحرية. ثالثا الحرية الإجتماعية والسياسية: تتمثل في تحرير المستضعفين والأفراد الآخرين...[1]

2 - تأثير إيديولوجية اليسار على فكر سارتر:

بالإضافة إلى الأدب والفلسفة وعلم النفس أصبحت السياسة تسيطر على فلسفة سارتر، وأهم الأحداث السياسية التي ظهرت بين الحربين العالمية الأولى والثانية في فرنسا هو بداية النشاطات السياسية للحزب الشيوعي الفرنسي في ديسمبر 1924 الذي يمثله أربعة أعضاء من العمال فقط، والأغلبية من ممثليه هم المثقفون، حيث بدأت علاقة سارتر بالسياسة مع نشاطات هذا الحزب الذي تأثر به عندما كان طالبا بالمدرسة العليا للأساتذة (1924 - 1929) إذ إستطاع أحد

(1) Jean - Paul Sartre a Berlin. discussion autour des mouches, verger (Baden - Baden) Paris, 1. N5 (1948): pp. 109 - 23.

الشخصيات البارزة في الحزب الشيوعي وهو بول نزان أن يؤثر على أفكار سارتر تجاه هذا الحزب. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول بأن الباحثة أني كوهن سولال (Annie Cohen - Solal) التي أصبحت فيما بعد سارتريه كانت على صواب عندما قالت: «... فالمدرسة العليا للأساتذة زرعت فيه روح الإحساس بالحرية، والشعور بضوء النشاط الفعال الذي كان كدليل لكل الأشياء التي حدثت هناك[1]. على الرغم من أن نشاطات الحزب الشيوعي وخاصة ديناميكية المثقفين إلا أن الإقبال على العضوية إنخفض في نهايات العشرينيات وبداية الثلاثينيات كما جاء في كتاب «اليعقوبيون الجدد: الحزب الشيوعي الفرنسي والجبهة الشعبية» (The New Jacobins: The French Communist Party and the Popular front) لدنيال بروير (Daniel Brower) حيث كتب يقول: «لقد إنخفضت العضوية من 50.000 في 1928 إلى 29.000 في 1933 وهذا أدنى عدد في تاريخ الحزب، وأهم جريدة شيوعية في تلك الفترة هي (L'Humanité) حيث كانت في معظم الأوقات أقلهم إقبالا، وهذا في 1932 و1933 وتطبع ما بين 100.000 و110.000 نسخة في معدل اليوم وتبيع من 70.000 إلى 80.000 في اليوم[2]. إلى جانب جريدة (L' Humanité) كانت هناك جرائد أخرى تتكلم عن الدعاية والأفكار السياسية والديماغوجية للحزب الشيوعي الفرنسي في العشرينيات والثلاثينيات هما (Clarté, Bulletin, Communiste, Monde, Nouvelle Age, Commune Pensée) وكان أول لقاء بين الحزب الشيوعي الفرنسي والأحزاب اليسارية الأخرى في سنة 1932، وهذا اللقاء التاريخي تم بنجاح حيث وافق موريس طوريز (Maurice Thorez) الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي، لمناقشة ما يسمى بوحدة البيروليتاريا أي العمال مع قيادة الحزب الإشتراكي، وهذا اللقاء جعل الشيوعيين يغيرون سياستهم وينادون بجبهة موحدة ضد الفاشية في ألمانيا والنمسا. وفعلا في 27 أوت 1934

(1) Annie Cohen - Solal, Sartre: A Life. Translated by the author herself. (London: Heineman, 1987) p. 63.

(2) Daniel Brower, The New Jacobins: The French Communist Party and the Popular Front. (Cornell university Press, 1968) p. 15.

قام الإشتراكيون والشيوعيون بامضاء ميثاق الوحدة أي عند إنعقاد المؤتمر العالمي بأمستردام الذي كان كخطوة نحو تأسيس دستور الجبهة الشعبية (Front de Populaire) حيث كتب دافيد كوت (David Caute) عن هذا الحدث التاريخي قائلا ما بين 2200 ممثل في هذا المؤتمر منهم 830 شيوعي و291 إشتراكي وهذا التجمع التاريخي لليسار العالمي يمثل دستور الجبهة الشعبية[1]، الذي تأثر به سارتر وأصبح من مجالات إهتماماته السياسية بالرغم من أن الحزب الشيوعي الفرنسي لم يعترف بأصالة وإيداع المثقفين، حيث كان الأمين العام للحزب موريس طورير، قد أعلن بأن العمال هم وحدهم الذين يستطيعون قيادة نشاطات الحزب السياسية والثقافية؛ لأنه تأسس من أجلهم للدفاع عن حقوقهم، أما المثقفون الذين يؤمنون بأيديولوجية الطبقة العاملة فإن عضويتهم ومشاركتهم محدودة.

وفي جويلية 1937 طلب جورج كوڤنيوت (George Cogniot) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي الذي هو أصلا فرع للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي سابقا، من المثقفين الفرنسيين الإنظمام إلى الحزب لكي يؤسسوا وحدة مشتركة للوقوف ضد الفاشية. وفعلا قاموا بتأسيس ما يسمى «بجمعية الكتاب والفنانين الثوريين» (Association des écrivains et des Artists-Revolutionnaires - AEAR) منهم بول نزان وأندري مالرو حيث قاموا بتأسيس مجلة (Commune) ومجموعة أخرى من المثقفين قاموا بتأسيس «لجنة الأمن الأهلية للمثقفين ضد الفاشية» (Comite de vigilance des intellectuels anti - fascistes CVIA) وذلك لمساندة وتدعيم سياسة الحزب الشيوعي والجبهة الشعبية. نستنتج من خلال ما تقدم بإيجاز بأن هناك أزمة سياسية حادة بين تأسيس الجمعيات والصراعات الحزبية، وهدفنا من ذلك هو طرح السؤال التالي والذي يهمنا في هذه الدراسة: ماهو موقف سارتر تجاه الصراعات السياسية في الثلاثينيات؟

---

(1) David Caute, Communism and The French Intellectuals 1914 - 1960 (London: André Deutsh, 1964) p. 107.

حقيقة أن سارتر كان مهتما بالأدب والفلسفة والسياسة فيما بعد، إذ كان موقفه تجاه هذه الصراعات القائمة والتنافس الحاد بين الجمعيات والأحزاب السياسية يتمثل في إستجوابه مع فرانسيس جونسون (França̧is Jeanson) فيما بعد إذ قال سارتر: «لم أكن شيوعيا ولم أكن إشتراكيا: أعتقد بأن بعض الإصلاحات يمكن أن تسمح للمجتمع البورجوازي بالبقاء وإنني مع هذا إصلاحي»[1]. علما بأن سارتر لم ينظم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في الثلاثينيات لأنه كان يعتقد ويرى بأن الحزب ضعيف سياسيا ودون قاعدة شعبية، زيادة على أنه كان مهتما بكتابة روايته الشهيرة «الغثيان» بالرغم من أنه كان يساند سياسة الجبهة الشعبية التي ينظر إليها بأنها تحقق الأمن والإستقرار والسلام والعدالة الإجتماعية في فرنسا والعالم، وتنتصر على أعدائها بحركتها النضالية إذ قال فيما بعد: «كنت أساند الجبهة الشعبية مساندة كاملة، لكنني لم أنتخب لكي أعبر عن قراري وموقفي، وكنت أشعر بأنني في وسط الجماهير المكتظة والمؤيدة للجبهة الشعبية... والفكرة الغامظة للإنتخاب لا تعبر أصلا وأبدا عن الفكر الإنساني الملموس»[2].

فعلا أن الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) هي التي غيرت حياة سارتر الفكرية وحولت شخصيته إلى إتجاه آخر إذ قال: «إن الحرب - حقا - قد قسمت حياتي إلى قسمين: بدأت عندما كنت في الرابعة والثلاثين من العمر، وانتهت وأنا في الأربعين، وهذا كان بحق الإنتقال من الشباب إلى سن النضج»[3]. وفي هذا الإطار أكدت كوهن سولال قائلة: «بأن سارتر 1945 لم يكن بسارتر 1939[4]» (وأنا بدوري أقول سارتر 1945 ليس بسارتر 1960) إذ ألقي عليه القبض في الحرب العالمية الثانية من قبل الألمان مع أكثر من 14.000 جندي فرنسي الذين زج بهم في محتشدات سطالاق (Stalagdxii) وبقي سارتر سجين الحرب حتى 1941 وفي 1954 وصف لنا المحتشد قائلا: «لقد فهمت ماذا كان في إحدى أمسيات

(1) França̧is Jeanson, Sartre dans sa vie. (Paris: le seuil, 1974) p. 294.
(2) Astruc, A et Contat, M. Sartre (Paris: Gallimard, 1977) p. 45.
(3) Sartre, Situation, x (Paris: Gallimard, 1976) p. 180.
(4) Annie Cohen - Solal, Sartre: Alife. p. 131.

أفريل 1941: ولقد بقيت شهرين في معتقل للمساجين، بل في علبة سمك، وفيها قمت بتجربة التقارب المطلق، وحدود المساحة الحية التي أعيش فيها كانت تتمثل في جسمي، وفي كل نهار وليل أحسست بحرارة كتف أو جهة من الجسم. وهذا لا يحرج: لأن الآخرين هم أيضا أنا[1]. ومن هذا المحتشد كتب سارتر رسالة شخصية إلى سيمون دي بوفوار قائلا: «لم أكن أشعر وأحس بفكرة الحرية إطلاقا» ليس لسبب الحرب أو لظروف أخرى هي التي جعلتني لم أفكر في «فكرة الحرية» بل لسبب «مذكراتي» التي دونتها في كتيب صغير فيما بعد وحررتني من العبودية والأفكار المسبقة، حيث كتبت بعض الأفكار العفوية التي تخطر ببالي وأنا أعيش نهايتي»[2]، وبعد وفاة سارتر بعدة سنوات قامت إبنته المتبناة أرلات الكايم (Arlette Elkaim) بجمع هذه المذكرات ونشرها ككتاب بعنوان «يوميات لحرب» (Carnet de la drôle de guerre). وفعلا عندما أطلق سراحه من السجن نظرا لصحته النفسية حاول سارتر أن ينظم ويوحد الأفراد لمقاومة النازيين حيث أكدت سيمون دي بوفوار فيما بعد قائلة: «لقد فاجأني سارتر في مسائه الأول كغير عادته، لم يعد إلى باريس للتمتع بحلاوة الحرية كما قال لي بل للعمل والنضال. كيف؟ ... أعتقد بأننا منعزلون وبدون قوة!... يجب أن نتحد، وننظم حركة مقاومة[3]. وتعتبر هذه الخطوة هي الأولى في حياة سارتر السياسية لإتخاذ موقف أساسي وسياسي تجاه الإستعمار الألماني حيث أصبح من هنا يهتم بالنشاطات السياسية والعملية التي تقوم ضد الحكم النازي في فرنسا وعلى هذا الأساس شارك سارتر في مساعدة تأسيس «فوج المقاومة» الذي سمي فيما بعد «بالحرية والإشتراكية» وأكد سارتر فيما بعد قائلا: «لقد أسسنا «الحرية والإشتراكية» وقد اخترت هذه التسمية الصغيرة لأنني كنت أعتقد بأن الإشتراكية أو الحرية يمكن أن توجد[4].

(1) Sartre, "les Peintures de Giacometti", **Les Temps Modernes**, N 103, Juin 1954, p. 2222.

(2) letter to simone de Beauvoir, october 26, 1939 quoted in Cohen - Solal's **Sartre: Alife** p. 140.

(3) Simone de Beauvoir, **The Prime of life**, Translated by Peter Green, (London: Penguin Books, 1965) P. 264.

(4) Simone de Beauvoir, **Adieux: A Farewell to Sartre**, translated by Patrick O'Brian (london: André D, W, N, 1977) p. 392.

وفي 1941 حاول سارتر لأول مرة أن يتصل بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان في مقدمة المقاومين أن يعمل ويناضل معهم لمحاربة العدو الألماني لكن الشيوعيين رفضوا طلبه والتعاون معه رفضا قاطعا لأنهم كانوا يعتقدون بأن سارتر كان عميلا وجاسوسا يعمل سريا لفائدة النازيين. وعلى هذا الأساس فهم لا يثقون فيه ثقة كاملة إذ أكد قائلا: «لقد حاولت في البداية التقرب إلى الشيوعيين إذ كانت إجابتهم لطلبي أو لرسالتي «لا تثقوا بسارتر لقد أطلق سراحه لكي يقوم بخدمة الألمان» فهو جاسوس، جاء لكي يتحصل على المعلومات من داخل نظال المقاومة»[1].

وفي 1943 أستدعي سارتر من قبل الحزب الشيوعي الفرنسي للتعاون معه ولكي ينظم إلى «اللجنة الوطنية للكتاب (Comité National des Écrivains - CNE)» والتي يشرف عليها الحزب، مع تقديم تنازلهم الكامل واعتذارهم لسارتر على الإتهامات التي وجهت إليه وحسب سيمون دي بوفوار التي كانت بجانب سارتر في السراء والضراء، فإن سارتر لاتهمه هذه اللجان أو الجمعيات السياسية بقدر ما تهمه «المقاومة» ضد الإحتلال الألماني، وتحقيق ذلك الحلم الذي كان في مخيلته أثناء سجنه، هو خلق مقاومة والقيام بحركة ثورية ضد النازية والمقاومة عند سارتر تعني الإنضباط والعمل السري والمهمة الصعبة التي يتحمل المناضل الحقيقي نتائجها.

وفعلا في ماي 1944 وصل ما يسمى بالملف السري (Top-Secret) إلى الجزائر العاصمة التي هي ملجأ لفرنسا خاصة والحلفاء عامة، وهذا الملف يحمل عنوان: «المقاومة: فرنسا وعالم الغد؛ من فيلسوف»[2] بينما أندري مالرو كان «... يعتمد على الدبابات الروسية والطائرات الأمريكية لكي ينتصر في الحرب»[3] وتجدر الإشارة بأن المقاومة الفرنسية التي كانت في الميدان الأمامي هي مقاومة الشيوعيين والديغوليين، وعلى الرغم من ذلك فإن سارتر رفض العمل والتعاون معهما.

(1) Sartre, Entretiens sur la Politique, (Paris: Gallinard, 1949) P. 71.
(2) Oudard file, French National, Archives quoted in Solal's Sartre: A Life. p. 198.
(3) Simone de Beauvoir, The Prime of Life. p. 393.

وفي 1945 قام سارتر بنشر أول عدد لمجلة «الأزمنة الحديثة» (Les Temps Modernes) حيث شارك فيها معظم المفكرين الفرنسيين كسيمون دي بوفوار وريمون آرون وموريس مورلوبوانتي إلخ... وتعهد سارتر في مقدمة المجلة قائلا: «والخلاصة، نيتنا هي أن نساهم في إحداث بعض التغيير في المجتمع المحيط بنا»[1]. وهو الهدف الأساسي الذي قامت من أجله هذه المجلة.

وفي 1947 وجدت فرنسا نفسها تعاني من عدة مشاكل أساسية وأزمات سياسية منها الداخلية والخارجية، فالمشاكل الخارجية تتمثل في المحافظة على مستعمراتها الخارجية لكي تحقق مصالحها الإستراتيجية وتنافس الدول الأوروبية الإستعمارية الأخرى بينما الداخلية تتمثل في التدهور الإقتصادي وخاصة التضخم الذي يشكل عاملا أساسيا لفرنسا في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات، وبالإضافة إلى ذلك عدم الإستقرار السياسي والتنافس على السلطة بين مختلف الأحزاب والجمعيات السياسية على الرغم من أن الحاكم الأول الفرنسي بول رمدي (21 جانفي – 23 نوفمبر 1947) (Premier Paul Ramadier) حاول أن يوفق بين حكومته والأحزاب اليسارية ولذلك لخلق ما يسمى بالقوة الثالثة. وفي هذه الظروف الصعبة والتنافس الحاد قام شارل ديغول بانتهاز الفرصة وقام بتأسيس «التجمع الشعب الفرنسي» (Rassemblement du Peuple Français - RPF) في أفريل 1947. (كما حاول بعض الجزائريين بإنشاء التجمع الوطني في بداية التسعينيات من أجل الوفاق الوطني).

وفعلا لقد وجد ديغول وأنصاره مساندة فعالة من بعض معارضي الحزب الشيوعي الفرنسي وأتباعه، وبهذا لعب تجمع ديغول دورا فعالا في الحياة السياسية الفرنسية فيما بعد، وفي ماي من نفس السنة اقترحت حكومة رمدي على جان بول سارتر وجميع أعضاء هيئة التحرير لمجلة «الأزمة الحديثة» بأن يؤيدوا سياسته الفرنسية الخارجية ويقوموا بدعاية في «الراديو الحر» حول الحرب الباردة بين الشرق والغرب (على الرغم من أن سارتر رفض سياسة الحرب الباردة بين الشرق

(1) Sartre, "Presentation", Les Temps Modernes. N1, 1945. p. 7.

والغرب) كما طلبت الحكومة منهم بنقد الأحزاب أو الجمعيات الإنتهازية بخاصة ديغول وأتباعه. وفعلا انتهز سارتر وأنصاره هذا الإعلان وقاموا بتوجيه عدة إنتقادات منها الشخصية والعملية لشارل ديغول، حيث قاموا بمقارنة سياسة ديغول في تجمعه بسياسة هتلر. وهذه الإنتقادات جعلت الديغوليين يثورون بغضب وبشدة على سارتر وأتباعه. ويقول الديغوليون ردا على السارتريين بأن ديغول شارك في تحرير فرنسا من وحشية وعبودية هتلر بينما العملاء الفرنسيون الذي ساعدوا جيش هتلر وحاولوا أن يحافظوا على مصالحهم الخاصة لم يذكر أسمهم. ولقد رد عليهم سارتر قائلا: «فالمواطن له الحق دائما أن يقول فيم يفكر»[1] ومن هنا يبدأ سوء التفاهم والإختلاف بين شارل ديغول وجان بول سارتر حيث ازداد هذا الإختلاف وتطور إلى سوء، مما كان عليه أثناء الثورة الجزائرية عند عودة ديغول إلى الرئاسة مرة ثانية، كما سنرى في الدراسة القادمة. حقيقة أن سارتر كان يهتم بسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي وتطور حركته المؤثرة والمتأثرة على الرغم من أن علاقة سارتر مع الشيوعيين كانت بين المد والجزر وبمعنى آخر أنه أحيانا يؤيد سياستهم وأحيانا يعارضها. وفي 1948 أعلن سارتر عن ابتعاده وانفصاله التام عن الحزب الشيوعي الفرنسي وهاجمهم قائلا: «إن خلايا الحزب الشيوعي مثلا منعزلة تماما عن بعضها البعض لا أحد من هذه الخلايا يعرف ماذا يجري في الخلايا الأخرى. وفي اعتقادي أن العمل الأول هو الإحتكاك بين كل العناصر، بمعنى، ما نطلق عليه المجموعات فيما بينها»[2].

فعلا أن سارتر دعم وساند سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي في البداية لأنه كان يعتقد بأنه هو العمود الفقري للعامل، وهو الحزب الذي يناضل من أجل القضاء على الظلم والطغيان والإغتراب وتحرير الإنسان من الإستغلال الهمجي والوحشي، بينما الشيوعيون كانوا ينظرون إلى سارتر بأنه رجل إنتهازي يتقرب دائما الفرص لتحقيق أهدافه ومصالحه الخاصة، حيث اتهم «بالبورجوازي الصغير»

---

(1) L'ordre de Paris, october 24, 1947 quoted in Solal's Sartre: Alife, P. 296.

(2) Sartre, "Entretiens sur la Politique", Les Temps Modernes, N 37, septembre 1948, p. 395.

(Petit - bourgeois intellectual) وأيضا أتهم كعميل للنظام الحاكم، وهذه الإتهامات والإنتقادات التي وجهت إلى سارتر خاصة عندام كتب روايته المسرحية «الأيدي القذرة» (Les Mains Sales - 1948) والتي كتبها أصلا ضد الشيوعيين على الرغم من أن سيمون دي بوفوار حاولت أن تؤكد بأن المسرحية ليست سياسية كما يقال بل هي تعالج وتهتم بمرحلة شاب شيوعي ينتمي إلى الطبقة العاملة الوسطى ويبحث عن أصله الحقيقي في هذا العالم وإثبات وجوده بالعمل الفعلي والتخلي عن الذاتية الفردية والأنانية المتوحشة، والبحث عن الحقيقة حتى ولو وصل به الأمر أن يقتل دفاعا عن وجوده.

لقد تطورت أفكار سارتر وكتاباته السياسية وتوسعت إلى عدة مجالات خاصة في بداية الخمسينيات أي عندما كتب مقاله السياسي بعنوان «الشيوعيون والسلام» (Les Communnistes et la Paix) الذي كان ردا على سجن السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي جاك دوكلوس (Jacques Duclas) في 28 ماي 1952 وهجومه العنيف والشديد ضد بورجوازية الدولة وتوسعها على حساب الطبقة العاملة، حيث قال بأن الحزب الذي يقف بجانب العمال هو الحزب الشيوعي الذي يتماشى مع صالحهم وتحقيق أهدافهم. إلى جانب ذلك دافع سارتر في هذا المقال عن الحزب الشيوعي الفرنسي وسياسة الإتحاد السوفياتي تجاه المعسكر الإشتراكي، على الرغم من أن سارتر إبتعد عن نشاطات الحزب والتعاون معه منذ 1948، هاهو قد عاد مرة أخرى لمساندته والوقوف بجانبه في ثوب جديد في 1952 لكي يكسر الإتهامات التي تقول بأنه من المؤيدين لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية. وفعلا هذا التأييد الكامل للحزب الشيوعي الفرنسي خاصة والإتحاد السوفياتي عامة لم يكن نهائيا، حيث تراجع سارتر عن موقفه مرة أخرى تجاه الشيوعيين عامة عندما هاجم الإتحاد السوفياتي بأسلحته الثقيلة شوارع بودابيست (Budapest) سنة 1956 وتكررت العملية مرة أخرى في تشيكوسلوفاكية والتي أصبح فيها الإتحاد السوفياتي يعتبر كقوة أمبريالية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، ومن هذه الحوادث الأليمة انقطعت العلاقة بين سارتر والشيوعيين التي كانت بين المد والجزر.

لقد ركز سارتر في مقاله هذا دفاعه على الحزب الشيوعي الفرنسي وسياسة الإتحاد السوفياتي الخارجية، وندد بالعماليات التي يقوم بها اليمين الفرنسي المتطرف، واليسار القائم ضد الشيوعيين، وهذا يتمثل في الإختيار السياسي لسارتر حيث قال: «كان من المهم رفض هذه الإتهامات إذا أراد الإنسان أن يكون بجانب الأمريكيين وبعد هذا يبين سياسة الإتحاد السوفياتي تجاه بودابيست التي لم توجد في عهد سطالين (Stalin) وعلاقاته مع يوغسلافيا في سنة 1948، وكذلك تكرار العمليات في تشيكوسلوفاكيا والتي كانت كأعمال القوة الأمبريالية»[1].

وقال في دفاعه عن سياسة الحزب الشيوعي الذي يمثل إرادة الأغلبية في ذلك الوقت بأنه هو الممثل الشرعي للطبقة العاملة في فرنسا حيث أعلن مساندته وتأييده الكامل لهذا الأخير مؤكدا: «أبرهن رفقا لمبادئي وليس لمبادئهم»[2]. وفي دفاعه عن سياسة الإتحاد السوفياتي قال سارتر بأن السوفيات يعملون من أجل تحقيق السلام والأمن في العالم، ويعتقد سارتر بأن الإتحاد السوفياتي في استطاعته أن يحتل أوروبا بكاملها في أسبوع بالرغم من القواعد العسكرية الأمريكية المتواجدة في القارة.

حقيقة أن سارتر لم يهتم بالحركة السياسية الفرنسية والدول الكبرى فقط، بل اهتم بما يجري في شرق آسيا أي حرب كوريا التي جعلت وسمحت للمثقفين أن يتحدوا ويندددوا بهذه الحرب المتوحشة ودفعت ممثل الإتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة جوزاف ماليك (Joseph Malik) أن يتدخل قائلا بأن حقيقة إستمرارية الحرب في كوريا يعود سببها إلى تدخل الولايات المتحدة الأمريكية[3].

لكن ماهو موقف سارتر تجاه الحرب الكورية؟

إن موقف سارتر من الحرب الكورية يتمثل في قوله: «أصبح الوعي الثوري في الطبقات الشعبية الكورية هدفا في الحسابات للقادة الروس»[4]. وبالإضافة إلى ذلك

---

(1) Sartre, **Betwen Extentialism and Marxism** Translated by John Mathews. (London: Verso edition, 1983) p. 119.

(2) Sartre "Les Communistes et la Paix" **Les Temps Modernes**, N 8186. 1952. p. 706.

(3) **Le Monde**, 19 Novembre, 1952.

(4) Quoted in Phillip Thody, **Jean-Paul Sartre, and Political Study**. (New York: Macmillan, 1961) p. 186.

قال: «والكوريون كانوا بالنسبة لأنفسهم عوامل التاريخ الواعية وبالنسبة للروس كانوا مجرد وسيلة مديرة من الخارج»[1]. وهنا تجدر الإشارة بنا بأن الحزب الشيوعي الفرنسي هو الحزب الوحيد القائم ضد سياسة الحرب، وهذا ليس في كوريا فقط بل في الهند الصينية أيضا (وهنا يمكن طرح السؤال التالي: لماذا تخلى الحزب الشيوعي الفرنسي عن هذه السياسة أثناء الثورة الجزائرية!؟) ويعتبر سارتر أول المثقفين الذين نددوا بالحرب في الهند الصينية، وذلك حسب رأيه القائل: «نحن من الأولين الذين نددوا بالحرب في الهند الصينية في مجلة «الأزمنة الحديثة» ولدينا عدد كبير من الأصدقاء الفيتناميين»[2]. بالإضافة إلى ذلك كان سارتر يعتقد بأن: «هتلر صرح علانية في نيته عن إبادة اليهود، واستعمل القتل الجماعي كوسيلة سياسية مقصودة. اليهودي لابد أن يقتل في أي مكان لأنه يهودي... هل نستطيع أن نقول أن القوات المسلحة الأمريكية هي بصدد قتل الفيتناميين لسبب بسيط وعادي على أنهم فيتناميون؟... وبنية الحرب تتغير بتغير البنية التحتية»[3].

وتجدر الإشارة هنا بأن سارتر قد صرح بأنه عندما كتب «الشيوعيون والسلام» لم تكن له أي علاقة مع الحزب الشيوعي الفرنسي وإنما تحرك بمحض إرادته وإلتزاما بمبادئه وأيضا «لفكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. وفي أكتوبر 1952 طلبت مجموعة من الشيوعيين من سارتر أن يكون عضوا في لجنة هنري مارتان (Henri Martin) الشيوعي البحار والذي حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات في ماي 1950 متهما بالقيام بالنشاطات السياسية ضد الحرب في الهند الصينية. وفعلا وافق سارتر على طلب الشيوعيين حيث كتب كتيبا عن الحياة الإجتماعية والسياسية لهنري مارتان وأكدت سيمون دي بوفوار فيما بعد قائلة: «لقد رحب سارتر بأول خطوة أساسية نحو الإتفاقية التي أبرمت. والوضع الذي أقنعه هو الحل الوحيد الذي مازال مفتوحا أمام اليسار لإيجاد الطريق وإعادة الإتحاد العملي مع الحزب الشيوعي»[4].

(1) Ibid. p. 186.
(2) Simone de Beauvoir, Adieux: A Farewell to Sartre, p. 397.
(3) Sartre, Between Existentialism and Maxism.p .67.
(4) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance, p. 272.

حقيقة أن الكتيب الذي حاول أن يكتبه سارتر لصالح هنري مارتان لم ينشر حتى جويلية 1953 أي عندما أطلق سراح مارتان من السجن. وهذا الكتيب يتضمن مجموعة من الرسائل والوثائق التي كتبها مارتان وعلق عليها سارتر. ومن بين الرسائل التي بعثها مارتان من سايغون إلى والديه، حيث كتب يقول:

والدي العزيزين:

نحن نستطيع أن نكون فخورين بمهمة اليوم: فالطفل يموت والمرأة جريحة دون الإهتمام بالجثث الأخرى التي تركناها في حقول الأرز...

لقد قتلنا الأبناء وجرحنا الأمهات... وأصبح السكون يعم في كل مكان هذا ما أكتبه لكم يا والدي الليلة - أقبلكم - هنري[1]

حقيقة أن سارتر لم يتأثر بسياسة الأحزاب اليسارية الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها فقط، بل تأثر أيضا بفلسفة كارل ماركس (Karl Marx 1818 - 1883) على الرغم من أن الماركسية كانت هي سلاح الحزب الشيوعي الفرنسي، بينما حقيقة الماركسية عند سارتر تعني كشف النقاب عن الوجودية وفي نفس الوقت... إجابة للسؤال الذي هو شرعية لهذا الكشف»[2]. والماركسية أيضا في رأي سارتر في فلسفة العصر، وهي الفلسفة التي لا يمكن تجاوزها، بينما الفلسفة الوجودية (Existentialisme) فهي الأيديولوجية المستمدة من الخارج وتستعمل عند زوال الماركسية لكي تتطور بطريقة علمية، وفي هذا المعنى يقال بأن سارتر حاول التوفيق بين الماركسية والوجودية وهل كانت هناك حقيقة محاولة للتوفيق؟

فعلا إذا كانت هاتان الطريقتان متحدتين في التفكير والتجربة، فهذا يعني بأن مشروع التوفيق ممكن أي بمعنى أنه يمكن التوفيق بين الوجودية والماركسية إذ نجد أن سارتر يدعي بأن الوجودية والمادية التاريخية يمكن التوفيق بينهما لكن لا يمكن للوجودية أن تتفق مع المادية الجدلية، والماركسية التي انتقدت بشدة وجوديته التي يمثلونها بالبورجوازية الصغيرة فهم في الحقيقة فلاسفة يهتمون بالمادية الجدلية، إذن

(1) Sartre, "L'Affaire Henri Martin", quoted in Solal's Sartre: Alife. p. 326.

(2) Sartre, Critique of Dialectical Reason, Translated by Alan Sheridan Smith. (London: New left Books, 1976) p. 19.

فسارتر يعتقد بإمكانية التوفيق بين وجوديته والمادية التاريخية لكارل ماركس، ويتهم الماركسيين الذين يهتمون بالمادية الجدلية بعدم فهم معنى الوجودية والتي هي تيار معاصر تطور بعد الحرب العالمية الثانية.

حقيقة إن تجربة الحرب العالمية الثانية لها تأثيرها العميق في فكر سارتر، حيث أنه تخلى عن مايسمى بالفلسفة التأملية إذ يرى بأن الحرب هي التي كانت السبب الرئيسي في تفكيرنا - الإستعمار، والمقاومة - وعلى الرغم من هذه الصعوبات والمحن التزم سارتر بمبدئه ووقف بجانب المظطهدين حيث كان يدرك بأن التاريخ سيسجل الأحداث، وفعلا لقد كتب سارتر عند نهاية الحرب قائلا:

«إننا لم نكن أبدا أحرارا بمثل ماكنا في ظل الإحتلال الألماني، لقد فقدنا كل حقوقنا، وخاصة حق التعبير... وأن الإختيار الذي اختاره كل واحد لنفسه كان أصيلا لأنه كان يعمل بحضور الموت... وهكذا فإن أقوى الجمهوريات قد تأسست في الظل وفي الدم. كل واحد من مواطنيها يعلم بأنه مسؤول أمام الجميع، ولكنه لا يمكن له إلا الإعتماد على نفسه. وكل واحد منهم يحقق دوره التاريخي في ظل اللامبالات التامة. كل منهم يعمل من أجل أن يكون هو بذاته في حرية ضد المستغلين، كما يختار حرية الجميع»[1].

وعندما انفجرت الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954 وبدأت تؤثر في الأوساط السياسية والثقافية وجد سارتر نفسه يواجه وضعا سياسيا جديدا: أي التزام نحو وطنه فرنسا من جهة، والتزام نحو فلسفته التي تنادي بتحقيق «فكرة الحرية» من جهة أخرى وانطلاقا من مبدئه الذي يقول بأن حريتي هي حرية الغير. وفي استجوابه مع سيمون دي بوفوار وضح سارتر قائلا: «أنظر إلى موقفي تجاه الثورة الجزائرية... وهي الفترة التي تخليت فيها عن الحزب الشيوعي لأن مطالب الحزب ومطالبي لم تكن واحدة. فالحزب يرى إستقلال الجزائر بطريقة خاصة وغامضة. بينما نحن متفقون مع جبهة التحرير الوطني لتحقيق الإستقلال في المستقبل القريب»[2].

(1) Sartre, **Situations, III**, (Paris: Gallinard, 1949) pp. 11-14.
(2) Simone de Beauvoir, **Adieux: A Farewell to Sartre**, p. 367.

حقيقة أن هناك عدة مثقفين يساريين ويمنيين اهتموا بسياسة فرنسا تجاه مستعمراتها وخاصة الطرق والأساليب التي تستعملها القوات العسكرية الفرنسية ضد المستعمرين، ومن جملة المثقفين جون ماري دومنيش (Jean - Marie Domenach) وكلورد بوردات (Cloud Bourdet) وفرانسوا مورياك (François Mauriac) وألبير كامو (Albert Camus) وجاك سرفن أشربي (Jean - Jacques Servan Schreiber) وفرانسيس جونسون وزوجته كلوت جونسون وفرانس فانون إلخ... أما المجلات التي تقوم بنشر وثائق الإحتجاج والتنديد أحيانا فهي: (L'Express), (France-Observateur), (Espri), (Les Temps Modernes).

ومن أهم المثقفين الذين وقفوا إلى جانب الشعب الجزائري بصدق وإخلاص حتى تحقيق استقلاله وحريته كما يتبين لنا من خلال كتاباته ونشاطاته السياسية هو جان بول سارتر الذي صرح عدة مرات بأن هدفه يتمثل في تحقيق «فكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها وفي استجوابه مع المجلة الأمريكية (Playboy) أكد سارتر قائلا: «أنا من النخبة المثقفة، ولست من رجال السياسة، لكن كمواطن في استطاعتي أن أشارك مع جماعة الضغط. وهذا يبين لماذا كنت صادقا ومخلصا مع الجزائريين. وهذا هو في رأي عمل المواطن. وبما أن مهارتي وبراعتي تكمن في ثقافتي، أستطيع كمواطن أن أخدم أو أشارك بالكتابة»[1].

وبالإضافة إلى ذلك يبقى البحث عن الحقيقة مجالا واسعا بالنسبة لسارتر إذ يعتقد بأن: «الحقيقة تبقى دائما للبحث لأنها ليست لها نهاية... والحقيقة الكلية يمكن التوصل إليها بالرغم من أنه لا يوجد أي إنسان بإمكانه الوصول إليها اليوم»[2].

نستنتج من خلال ما تقدم من المبحث الذي هو عبارة عن أرضية لكتابات ونشاطات سارتر السياسية قبل الحرب العالمية الثانية وأثنائها، حيث أن هذه الأعمال المتمثلة في التجربة الفعلية جعلته يحدد لنفسه موقفا تجاه الشعوب الأخرى، وسوف نرى كيف بدأ يهتم بالثورة التحريرية للشعب الجزائري مع بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين.

---

(1) **Playboy**, interview Jean-Paul Sartre, May 1965. p. 74.
(2) **Sartre**, Situations x, (Paris: Gallimard, 1976) pp. 148 - 9.

بالنسبة للأنا والآخر:
فالآخر يعتقد بأن حريتي هي حرية الآخرين
إذا كنا فعلا نؤمن بهم فالمطلوب من الأنا أن يفكر
في التغيير الجذري نحو الفلسفة الجديدة للتاريخ الحقيقي

الفصـــل الثاني

إندلاع الثورة الجزائرية والنخبة الفرنسية المثقفة

1 - ميلاد جبهة التحرير الوطني في نوفمبر 1954.
2 - النخبة الفرنسية المثقفة والثورة التحريرية.

إندلاع الثورة الجزائرية والنخبة الفرنسية المثقفة

سأحاول في هذا الفصل دراسة الثورة الجزائرية التي بدأت في أول نوفمبر 1954، وسأقوم بتحليل عدة جوانب لهذه الثورة خاصة ظهور وميلاد جبهة التحرير الوطني وتحديد أهدافها المتمثلة في الإستقلال والحرية. وأيضا سوف أبين التنظيم المحكم للثورة، وكيف كان رد فعل إدارة فرنسا لهذه الحركة.

ولكي نتفهم وندرك حقيقة إندلاع الثورة الجزائرية وأهداف جبهة التحرير الوطني يجب علينا أولا أن نبين بعض الحوادث التي كانت السبب المباشر في ثورة نوفمبر وخاصة حوادث 8 ماي 1945.

أما النقطة الثانية والأساسية في هذا الفصل التي أريد أن أعالجها من الناحية الموضوعية تتمثل في موقف النخبة الفرنسية المثقفة تجاه الثورة الجزائرية والتي تساعدنا على فهم التطور التدريجي لموقف سارتر وكيف أصبح ملتزما «بالمشكلة الجزائرية» كما يسميها الغربيون، وبما أن الكتاب مهتم بدراسة تجاه النخبة الفرنسية المثقفة وخاصة جان بول سارتر الذي إلتزم واهتم بكتاباته السياسية والنشاطات العملية ومواقفه الفلسفية تجاه الثورة التحريرية، فإننا نقتصر على تحليل موقف بعض المفكرين الذين لهم علاقة عمل وصداقة مع سارتر منهم ألبير كامو، وفرانسيس جونسون وفرانس فانون والذين لهم أيضا علاقة عملية وفعلية مع الثورة الجزائرية.

1 - ميلاد جبهة التحرير الوطني في نوفمبر 1954:

قبل أن نبحث ونتحدث عن ظهور وميلاد جبهة التحرير الوطني وتفجيرها لثورة نوفمبر يستلزم علينا أن نتطرق إلى مجزرة 8 ماي 1945 بإيجاز وذلك كعامل أساسي وكأرضية لتحضير ثورة نوفمبر 1954.

عندما غزت واحتلت فرنسا الجزائر في 5 جويلية 1830 كانت تحاول أن تطبق سياسة الإندماج والإستقرار وذلك لإغراء الفرنسيين بالهجرة إلى الجزائر «أرض السعادة» وخاصة العمال والفلاحين والمستثمرين وكذلك أصحاب المهن الحرة وذلك طمعا في كسب المال والشهرة، وكانت هذه الجالية المختلطة من مختلف الأجناس

تحتفل سنويا بأعيادها وأفراحها في أرض الجزائر، حيث كانوا يعتقدون ويزعمون بأن الجزائر لا تستطيع أن تتخلى عن فرنسا وتكون دولة مستقلة. وفعلا استطاعوا بهذه السياسة أن يستوطنوا الجزائر ويكسبوا أنصارا من الجزائريين وما أكثرهم.

وعند بداية القرن العشرين بلغ عدد الأوروبيين وخاصة الفرنسيين في الجزائر 1.200.000 نسمة، بالإضافة إلى الجالية اليهودية التي بلغ عددها 140.000 نسمة، والسبب الرئيسي الذي جعل هذا العدد الهائل يستقر في الجزائر هو الهجرة المتتالية من أوروبا نحو شمال إفريقيا هروبا من ويلات الحربين العالمية الأولى والثانية بالإضافة إلى ذلك تشجيع وتسهيل طرق الهجرة إلى الجزائر بخاصة. وهكذا أصبح الأوروبي عامة والفرنسي خاصة يؤمن بأن الجزائر قطعة تابعة لفرنسا، ولكن الجزائر لم تكن أبدا منطقة سلام وأمن تحت نير الإستعمار الفرنسي، لقد ظهرت عدة جعيات ومنظمات سياسية جزائرية تكونت في باريس ضد سياسة التفرقة العنصرية والإستعمار الفرنسي. على الرغم من تأسيس جمعيات سياسية بعد الحرب العالمية الأولى تطالب بهوية الشعب الجزائري والمساواة بين الشعبين كحزب نجم شمال إفريقيا (1927) وجمعية العلماء المسلمين (1931) وأحباب البيان للشعب الجزائري (1943) وعند إنتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ الشعب الجزائري يحتج ويطالب بحقوقه الشرعية مثل جميع شعوب العالم في تقرير مصيرهم. ولا يخفى على البال بأن المؤسسين الأوائل لهذه الجمعيات السياسية هم: مصالي الحاج وعبد الحميد بن باديس وفرحات عباس. من هم هذه الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية؟

الحاج عبد القادر مصالي الذي يدعى مصالي الحاج المولود في 1898 بتلمسان من أسرة فقيرة حيث كان والده يكسب قوته من تصليح الأحذية، وثقافته كانت بسيطة، وشارك في الحرب العالمية الأولى مع فرنسا مثل أغلبية الجزائريين الذين يطبق عليهم قانون التجنيد الفرنسي (1914 - 1918). وعند نهاية الحرب ذهب إلى فرنسا كمهاجر بحثا عن لقمة العيش وهناك تزوج بفرنسية وانخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي وانفصل عنه فيما بعد نتيجة التفرقة العنصرية، وفي 1930 حضر

أكبر مؤتمر شيوعي عالمي بموسكو. أسس جريدة **الأمة** والتي توقفت فيما بعد من قبل السلطات الإستعمارية. وفي 1933 توقف مصالي الحاج وسجن نتيجة مطالبته بالمساواة والحقوق لشعب المغرب العربي، ونتيجة أيضا لأفكاره الثورية ونضاله المستمر ضد طغيان الإستعمار الفرنسي في الجزائر. وفي سنة 1935 أسس الإتحاد الوطني الإسلامي لشمال إفريقيا والذي انحل فيما بعد وذلك سنة 1937. وفور إنحلال هذا الإتحاد كون مصالي الحاج حزب الشعب الجزائري الذي إستطاع أن يكسب أنصارا في أوساط الجماهير ويناقش المعطيات السياسية الفرنسية في الجزائر وخاصة ما كان يسمى بالحزب الشيوعي الجزائري، وفعلا بفضل سياسته استطاع أن ينجح في نضاله عندما حاول الإنضمام وجمع الشمل مع حزب البيان والحرية الذي أسسه فرحات عباس في مؤتمر 1945. وفي 9 ماي 1945 أي بعد مجزرة سطيف بيوم واحد نفي مصالي الحاج من وطنه الجزائر نهائيا من قبل السلطات الإستعمارية إلى برازافيل حيث بقي في المنفى حتى 1947.

فرحات عباس ولد في 24 أكتوبر 1899 بطاهير ولاية جيجيل حاليا، ويقال بأن والده كان يتسم بالأخلاق والتقاليد الفرنسية، وكان من البشاغات درس مع الفرنسيين بأحد ثانويات قسنطينة، واشتغل صيدلي بمدينة سطيف، تأثر فرحات عباس بالعادات والتقاليد الفرنسية وأصبح يتسم بالصفات الفرنسية حتى أصبح ينظر إلى الجزائر وشعبها وحضاراتها بنظرة فرنسية (إذ طلق زوجته المسلمة وتزوج بفرنسية كرفيقة مصالي الحاج). ولقد إهتم في ريعان شبابه بالسياسة والنقد الموضوعي والمناقشة المثمرة حيث يقال عنه بأنه كان من أروع وأبرز «المجادلين» أو المناضرين في الحوار السياسي في ذلك الوقت. وفي 10 فيفري 1943 قام فرحات عباس مع مجموعة من المثقفين الجزائريين كالأطباء والمحامين والمعلمين وبعض السياسيين بإمضاء «بيان الشعب الجزائري»، وفي 14 مارس 1944 أسس عباس «أحباب البيان والحرية» وأيده مصالي الحاج وأنصاره وبعض الوطنيين. وفي سبتمبر 1958 أصبح فرحات عباس رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة في المنفى (سبتمبر 1958 – أوت 1961)[1].

---

(1) **Jean la Couture, Cinq Hommes et la France** (Paris: Editions du Seuil. 1961) pp. 265 - 324.

لقد كان أهم حدث تاريخي في تطور الحركة الوطنية هو إنفجار مظاهرات 8 ماي 1945 ببعض مدن الشرق الجزائري منها سطيف والتي لم تحظ بأهمية ودراسة المؤرخين الجزائريين في الوقت الذي نجد عن هذه الدراسة بحوث تاريخية عن مجزرة القرن في الجامعات الأجنبية والتي مازالت تهتم بجذور تاريخ الثورة الجزائرية، إذن فانطلاق هذه المظاهرة حسب المؤرخين الأوروبيين والمتوفرة في حوزتنا أنطلقت في صبيحة يوم 8 ماي 1945 من أحد المساجد الكبرى بمدينة سطيف، حيث كانت نسبة المتظاهرين مرتفعة جدا حاملي شعارات الحرية والسلام ومنهم لأول مرة حاملي راية ملونة نصفها أخضر اللون والنصف الآخر أبيض اللون والذي أصبح فيما بعد «علم الجزائر»، ويقال بأن بعض المجموعات من المتظاهرين رفعوا الأعلام الوطنية لدول الحلفاء وشعارات التنديد بالفاشية والنازية، بينما بعض المجموعات الأخرى حاملين شعارات تقول «سقوط الإستعمار» «يحيا الشعب الجزائري» «الحرية والإستقلال للشعب الجزائري» «نريد المساواة» «أطلقوا صراح مصالي» (وتجدر الإشارة هنا بأن مصالي كان في المنفى - برازافيل -) إلخ...[1] وأمام هذه المطالب الشرعية للمتظاهرين وجدت السلطات الفرنسية نفسها أمام الأمر الواقع، وتدخلت بقواتها العسكرية المتوحشة بإنطلاق النار على المتظاهرين بدون تمييز حيث حطمت آمال وأهداف المتظاهرين في نيل جزء من مطالبهم.

أما عدد الضحايا في هذه المظاهرات التي تطالب بالمساواة والحرية والإستقلال لم يحدد بالتدقيق إلى حد الآن من قبل المؤرخين على الرغم من إهتمام بعض المؤرخين الجزائريين والأوروبيين بهذه الحوادث التاريخية. حقيقة أن نتائج هذه المظاهرات والحوادث لم توضح أسبابها السلطات الفرنسية للرأي العام بالرغم من اللجنة التي شكلتها للتحقيق في هذه المجازر اللاإنسانية فإن عدد الضحايا مازال جهولا وغامضا وبعيدا كل البعد عن الحقيقة المروعة. إذ أنهم لا يريدون أن يتذكروا أعمالهم الهمجية التي تشوه تاريخهم.

(1) Alistair Horne, A **Savage war of Peace: Algeria 1954 - 1962** (London: PaPermac, 1987). p. 25.

وبعد التحقيق صرحت هذه اللجنة بأن عدد الضحايا الأوروبيين قد بلغ حوالي 103 قتلى وأكثر من 100 جريح، بينما عدد الضحايا الجزائريين حسب المصادر الرسمية للجنة قد بلغ 1005 قتيل، أما المصادر غير الرسمية، أي من بعض العسكريين الفرنسيين الذين لهم إتصال مباشر بالحوادث، قد صرحوا بأن عدد الضحايا في صفوف الجزائريين بلغ حوالي 8000 قتيل، أما بعض المراسلين الأجانب الذين كتبوا «لنيويورك تايمز» (New York Times) قائلين بأن عدد الضحايا يتراوح بين 18.000 و20.000 قتلى[1]. بينما عدد القتلى في رأي السكان الأصليين يتراوح ما بين 45.000 و50.000 قتيل (في مظاهرات المدن الجزائرية سطيف، ڤالمة، عزابة، خراطة) حيث يؤمن الشعب الجزائري بهذا العدد الهائل إيمانا قاطعا لأنهم هم الذين دفعوا ثمن الإستقلال والحرية، ودفعوا بأبنائهم إلى التضحية والجهاد في سبيل اللّه والوطن[2]. ومع ذلك فالسطات الفرنسية لم تعط أي معلومات رسمية ولم تزودنا بأي تحقيق موضوعي حول بحر الدم الذي روت به الهضاب العاليا (فالشيوخ والعجزة مازالوا يتذكرون هذه المجزرة التاريخية الأليمة) حيث كتبت سيمون دي بوفوار قائلة:

«لقد سمعنا القليل جدا عن ما حدث في سطيف»[3]. أما جريدة (L'Humanite) الناطقة باسم الإنسانية كما يدعون كتبت تقول بأن الحادث خلف حوالي 100 قتيل وبعض الجرحى من الجانبين، بينما الحزب الشيوعي الجزائري الذي يتكون أغلبيته من «الأقدام السوداء» وبعض الجزائريين الذين يعتقدون بأن التعاون والإخاء والمساواة يمكن تحقيقها مع فرنسا، وصف هذه الحوادث «بمجزرة هتلرية». إلى جانب ذلك كتب عمار أوزڤان الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري في جريدة (Liberte) يقول: إن الذين دعوا إلى هذه المشاكل والإضطرابات والفوضى يجب معاقبتهم بسرعة وبدون رحمة وشفقة والتعامل معهم بالصرامة[4].

---

(1) Ibid, p. 27.

(2) وفي استجوابه مع المؤرخ البريطاني ألستير هورن صرح الرئيس السابق الحبيب بورقيبة بأن عدد القتلى في صفوف الأبرياء أكثر من 50.000 (نفس المصدر ص: 27).

(3) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance. p 39.

(4) Amar Ouzegane, Liberté, mai 1945.

وفي 8 ماي 1945 أي يوم المجزرة التاريخية الأليمة ذهب فرحات عباس، القائد الجزائري الليبرالي كما يسميه الفرنسيون، إلى الجزائر العاصمة لكي يهنئ الحاكم العام عن إنتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. لكن مع الأسف فالإستعمار الفرنسي لا يرحم وعنصري حتى في حالة النصر، لأن لم يرحم حتى الجزائريين المقربين لسياسته. فقد أوقف الفرنسيون فرحات عباس وسجنوه نتيجة المظاهرات (أعتقد أن هذا درس لعباس لكي يعرف من هو العدو الحقيقي الذي له حضارة عريقة) وفي كتابه «مشكلة الجزائر» (The Algerian Problem) إدوارد بهر (Edward Behr) (مراسل نيويورك تايمز من الجزائر) كتب يقول:

«إن هذه الحوادث التي كانت بطريقة أو بأخرى قد بينت لكل مسلم جزائري مصيره في ذلك الوقت... وكل من كان يلوح بيده من الجزائريين الوطنيين في هذه المظاهرات برزوا في جبهة التحرير الوطني وحددوا خطتهم الثورية إنطلاقا من مظاهرات 8 ماي 1945... وكل واحد منهم أيضا كان يتصور بعد ماي 1945 بأن الثورة المسلحة أصبحت حتمية لا مفر منها، وستنفجر عاجلا أو آجلا»[1].

وكان رد فعل الحكومة الفرنسية المزيف، والذي كان منتظرا، المتمثل في محاولة إقناع الشعب الجزائري ببعض البرامج السياسية لمستقبل الجزائر. وفي سبتمبر 1947 قامت الحكومة الفرنسية بتأسيس ما يسمى «بالمجلس العام الجزائري» الذي يتكون أغلبيته من المعمرين الفرنسيين و«الأقدام السوداء» وهو الذين يتولون تسيير شؤون المجلس، والحاكم العام هو المسؤول الأعلى في «الجزائر الفرنسية» حيث يطبق أوامر وزير الداخلية الفرنسية بباريس.

أما أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى إنتفاضة 8 ماي 1945 والتي يتجاهلها المؤرخون الأوروبيون خاصة؛ فهي حقيقة تتمثل في التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الجزائريين وذلك لمحاربة النازية إلى جانب الفرنسيين مقابل حريتهم واستقلالهم من طغيان الإستعمار. حقيقة أن وقوف الجزائريين مع الفرنسيين لمحاربة عدوهم يعتبر في حد ذاته «لعبة سياسية» لأن الفرنسيين وعدوهم

(1) **Edward Behr The Algerian Problem** (London: Penguin Books, 1961) p. 49.

بالإستقلال والحرية عندما يمنحون الحرية لأنفسهم أولا ويحررون بلادهم من الألمان، لكن حقيقة هذه الوعود عبارة عن إستغلال للشباب الجزائري لكسب الحرب فقط بل إن مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الثانية أثبتت تاريخيا بأن الجزائري يفضل حريته وتحرير غيره وحتى لعدوه، وعلى الرغم من هذه التضحية التاريخية من أجل الوعود السياسية المزيفة والكاذبة فإن الإدارة الفرنسية خاصة والحلفاء عامة تجاهلوا هذه التضحية واعتبروها من الواجبات المفروضة. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية توصل الجزائريون إلى معرفة نوايا الإستعمار الفرنسي وحقيقة تاريخهم، حيث أدركوا واقتنعوا بأنهم كانوا يعيشون في غيبوبة ويشعرون «بعقدة النقص» أكثر من قرن تجاه الفرنسيين لأنهم حاولوا أن يخلقوا عقدة نفسية في نفوس الجزائريين مثل العنصر البشري الأبيض الذي فرق وولد الإختلاف الموجود بينه وبين العنصر البشري الأسود، ولكي أبين أكثر فالجزائريون كانوا يعتقدون بأنهم متخلفون ولا يستطيعون الوقوف أمام الجنس البشري الأوروبي في مجالات عديدة. وتجدر الإشارة هنا، عندما احتلت فرنسا الجزائر قامت بحرق وتدمير كل ما يتعلق بالتراث والثقافة الوطنية وذلك من أجل الإختلاف الحضاري والثقافي الموجود بين الأوروبيين والمسلمين وفعلا لقد استطاع الإستعمار الفرنسي أن يخلق فجوة بينه وبين الشعب الجزائري ويخلق «عقدة النقص» في الجزائريين إتجاه الأوروبيين وذلك لعدم توفرها للمؤسسات التعلمية والمرافق الضرورية، حيث كان الشعب الجزائري في ذلك الوقت يخضع ويقبل كل ما جاء من الإستعمار الفرنسي إعتقادا منه بأنهم مثقفون ومتحضرون عنه. وفي 1942 أخذت الإدارة الفرنسية الجزائريين بالقوة لمحاربة الألمان إلى جانبهم وإلى تحرير وطنهم فرنسا، وأثناء الحرب لم يبرهن الجزائريون عن مساواتهم بالجيش الفرنسي فقط بل برهنوا عن شجاعتهم وتفوقهم في عدة ميادين.

وفعلا أن هذه التجربة الميدانية جعلتهم يكتشفون ضعف الجندي الفرنسي أمام العدو، وبهذه العوامل استرجعت الثقة الكاملة للشعب الجزائري لكي يقوم بثورة ضد الإستعمار الفرنسي ويحرر الجزائر من الظلم والطغيان. وهنا ليس من الضروري ذكر

الأسباب وتعداد نتائج مظاهرات 8 ماي 1945 بالتفصيل وتطور أبعادها السياسية وكذلك لا داعي إلى ذكر الحركة الوطنية بين 1945 و1954 لأنني مهتم في دراستي هذه بثورة نوفمبر 1954 ورد فعل الفرنسيين لهذه الثورة وموقف النخبة المثقفة منها.

بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ومجزرة سطيف بتسعة سنوات والتدهور الإجتماعي والإقتصادي والسياسي والعسكري لفرنسا، والشعب الجزائري مازال يعيش تحت نير الإستعمار على الرغم من التغيير السياسي الذي حدث على الجناحين أي في كل من تونس والمغرب في بداية الخمسينيات، وانتصار الهند الصينية في معركة ديان بيان فو (Dien Bein Phu) في ماي 1954 والتي كونت عقده الإحباط النفسي للجيش الفرنسي والهروب من المسؤولية التاريخية والزعامة السياسية التي كانت تتمتع بها السلطة الفرنسية في مستعمراتها خاصة بعد الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) حقيقة أن هذه العوامل الأساسية ساعدت الجزائريين الوطنيين والغيورين على وطنهم وعلى دينهم الإسلامي الحنيف بتكوين جبهة التحرير الوطني والتي ضمت فيما بعد معظم الشرائح الإجتماعية والمنظمات السياسية. لقد تكونت أول خلية للجبهة تسمى «باللجنة الثورية للوحدة والعمل» وهذه اللجنة تأسست في مارس 1954 من قبل محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، مراد ديدوش، بلقاسم كريم، رابح بيطاط ومحمد العربي بن مهيدي. وفي كتابه (Le Meilleur Combat) كتب عمار أوزڨان يقول:

«إن اللجنة الثورية للوحدة والعمل مسحت الماضي بالقطع مع الأيديولوجية السياسية المرابوطية (الزوايا) للوطنية التوفيقية... واللجنة الثورية للوحدة والعمل المستمرة والوراثة للمنظمة الخاصة والمغذية للحركة من أجل الإنتصار للحريات الديموقراطيّة، لم تبق إنعكاسا لأي إتجاه أو لأي حزب أو لأي وطنية خاصة، ولكنها تعد المترجم الحقيقي للوطنية المتجذرة، تتماشى مع روح المجتمع كله»[1].

وفعلا قامت هذه اللجنة بتأسيس جبهة التحرير الوطني التي تحملت ثقل المسؤولية التاريخية ليس في عهد الثورة التحريرية فقط بل أيضا في عهد

(1) Amar OUZEGANE, Le Meilleur Combat. (Paris: Julliard, 1962). P 158.

الإستقلال الوطني لمدة 26 سنة من معركة البناء والتشييد. وبهذا إلتزمت جبهة التحرير الوطني في مبادئها بتحقيق الحرية والإستقلال للشعب الجزائري حيث قامت في بداية عملها بتقسيم القطر الجزائري إلى ولايات وتوزيع المهام على أعضاء «اللجنة الثورية للوحدة والعمل» وهذا التقسيم كان كالتالي:

- الولاية الأولى: الأوراس - النمامشة - وقائدها مصطفى بن بولعيد.
- الولاية الثانية: الشمال القسنطيني وقائدها مراد ديدوش.
- الولاية الثالثة: القبائل الكبرى وقائدها بلقاسم كريم.
- الولاية الرابعة: الجزائر العاصمة وقائدها رابح بيطاط.
- الولاية الخامسة: الصحراء الكبرى (تأجل تعيينه)[1].

أما محمد بوضياف فقد عين كمنسق بين أعضاء جبهة التحرير الوطني في الداخل والخارج، بالإضافة إلى أحمد بن بلة (تولى رئاسة الجمهورية 1962 - 1965) ومحمد خيظر وحسين آيت أحمد أرسلوا كوفود إلى القاهرة للتعريف بالثورة التحريرية وشرح أبعادها وأهدافها السياسية وتسجيلها ضمن الحركات التحررية في العالم.

إن أهم ما يقال عن هؤلاء القادة أثناء الثورة وبداية الإستقلال أنهم صانعوا ومؤسسوا تاريخ الثورة الجزائرية حيث أطلق عليهم اسم «التسعة الأحرار» أو «الأباء التسعة للثورة الجزائرية».

فعلا لقد كانت أرضية إنطلاق الثورة الجزائرية التي بدأت على الساعة 1.00 ليلا في شهر نوفمبر 1954 لها عدة أسباب وعوامل كما أن لها حركة سرية استطاعت أت تفجر هذه الثورة، ونتيجة للوضع الإجتماعي والسياسي والإقتصادي الذي كان سائدا في الجزائر والإختلاف والتفاوت الطبقي بين الجزائريين والفرنسيين كانت الظروف النفسية للشعب الجزائري مهيئة لتأييد قيام الثورة ضد الإستعمار قصد الحرية والإستقلال.

---

(1) Abdelkader Yefsah, Le Processus de Légitimation du Pouvoir Militaire et La Construction de L'état en Algerie. (Paris: Anthropos, 1982) p. 26.

حقيقة أن تقسيم القطر الجزائري إلى خمسة ولايات وتوزيع المهام على أعضاء الحركة السرية كانت مدروسة دراسة دقيقة لمفاجئة الإستعمار الفرنسي، وعلى هذا الأساس كانت ناجحة وهذا النجاح يتمثل في الهجوم على الأماكن والقواعد الإستراتيجية والعسكرية للإستعمار في كل أنحاء القطر الجزائري، وفي ليلة واحدة ووقت واحد حيث كان هذا الهجوم المنظم على مختلف الأماكن الإستعمارية منها الثكنات العسكرية، وكبار المستوطنين ورجال الجندارم خاصة وحسب المؤرخين لتاريخ الثورة الجزائرية وفلسفتها فإن هذا الهجوم التاريخي كان على حوالي 70 أماكن إستراتيجية وأهداف إستعمارية على مستوى القطر الجزائري. إذن كيف كان رد فعل الإسعمار الفرنسي لهذه الثورة في البداية؟

حقيقة أن الإدارة الفرنسية حاولت أن تتجاهل الثورة في البداية لكي تزول وتخمد، ولكي لا تؤثر على سياسة فرنسا التوسعية، وأيضا لكي لا تكسب ثقة الشعب الجزائري. أما رد فعل السلطات الفرنسية في أول خطوة تجاه الثورة التحريرية فهو توقيف وسجن مناضلي الحركة من أجل الإنتصار للحريات والديموقراطية، إذ سجنت حوالي 160 مناضل والذين هم في الحقيقة لم تكن لهم علاقة أو إتصال بهذه الثورة المنظمة. أما المستوطنون «والأقدام السوداء» فقد كان ردهم عنيفا تجاه ميلاد الثورة الجزائرية حيث كتبت (La Dépeche Quotidienne) عن لسان هذه الفئة الفرنسية القليلة التي تعيش في أحلام اليقظة وذلك من أجل ضمان أرض السعادة في الجزائر البيضاء، قائلة: «فالأشرار يستلزم مطاردتهم ومعاقبتهم أينما وجدوا، وقلع جذور زعماء الفتنة أينما كانوا... وقوات الأمن يجب أن تكون مدعمة»[1].

أما ممثل «الأقدام السوداء» في ما يسمى بالمجلس الشعبي الجزائري الفرنسي أكد قائلا: «فالسكان الأصليون لا يحبوننا ويرفضوننا ولا يريدون قبولنا... وأنا ضد هؤلاء الذين يعتقدون بأن السكان الأصليون يشعرون بالعاطفة نحونا، والتجمع معهم غير طبيعي وغير ممكن، وهذا أخطر خداع حيث يجب الإبتعاد عنه وبحذر[2].

(1) **La Dépêche Quotidienne**, 2 Novembre 1954.

(2) **Vincent Conifer, France and Algeria, The Problem of Civil and Political Reform**. (Syracuse, University Press, 1966) p. 69.

«بينما راديو القاهرة الذي أيد إنطلاق الثورة في الجزائر قد أعلن في صبيحة أول نوفمبر بأن: «على الساعة الواحدة من هذا الصباح... الجزائر بدأت تعيش حياة شريفة وجديرة بالإحترام»[1].

وفي صبيحة أول نوفمبر 1954 على الساعة التاسعة 9.00 رن الهاتف في مقر رئيس الحكومة مانديس فرانس (Pierre Mendes France) حيث كانت المكالمة من وزير الداخلية فرانسوا متيران (Francois Mitterrand) وفي مكالمته حاول ميتران أن يبين لمانديس فرانس مل وقع وما حدث في الليلة الماضية في أحد مستعمراتهم - الجزائر - إذ قال له بأن مجموعة من الإرهابيين قاموا بهجوم مسلح ضد قواعدنا وأهدافنا العسكرية في جميع عمليات (مقاطعات) الثلاثة بالجزائر. على الرغم من أن ميتران وزير داخلية كان عنيفا وشديد اللهجة ضد ما يسمى عندهم بالإرهابيين إلا أنه حاول أن ينقل الأحداث كما وقعت في أول ليلة نوفمبر حيث قال بأن إختيار الوقت والأهداف المقصودة يدل على أن هناك أيدي خفية منظمة ضد أهدافنا العسكرية في الجزائر، وعلى هذا الأساس فالقمع هو السلاح الوحيد الذي يؤمن به ميتران الذي صرح عند تعيينه كوزير للداخلية قائلا: «أعتقد بأنه يجب علينا أن نهتم بالجزائر فورا، إذا أردنا أن نبتعد عن الإنفجار المنتظر»[2]. بينما مانديس فرانس كان يؤمن بفكرة «الجزائر هي فرنسا» قبل وبعد مجيئه إلى السلطة، فهو يحاول أن يقنع ما يسمى بالمجلس الوطني بهذه الفكرة التي تولدت عند كل من يؤيد «الجزائر الفرنسية». وفعلا قامت الحكومة الفرنسية بتدعيم قواتها العسكرية في الجزائر قصد القضاء وإخماد هذه الثورة الفتية التي قامت ضد الطغيان والظلم والتي قامت من أجل تحرير الإنسان من عبودية الإستعمار.

وفي 25 جانفي 1955 قامت حكومة مانديس فرانس بتعيين جاك سوستال (Jacques Soustelle) كحاكم عام للجزائر المحتلة؛ إذ تعتقد هذه الحكومة بأن سوستال هو الرجل المناسب لإخماد نار الثورة. سوستال الذي يمثل النخبة المثقفة

---

(1) Edward Behr, The Algerian Problem, p. 67.

(2) Frantz - Olivier Giesbert, **Mitterrand ou La Tentation de l'histoire**. (Paris: editions du seuil, 1977) p. 120.

الفرنسية والذي كان يقود في 1934 «لجنة الأمن ضد فاشية المثقفين» (Comite de Vigilance des intellectuels Anti-fascistes) وفي 1940 عينه الجنرال ديغول رئيسا للمنظمة السرية لفرنسا الحرة. وعندما تولى ديغول رئاسة الجمهورية عينه وزيرا للمستعمرات الفرنسية، ولما وصل إلى الجزائر حاول أن يتعامل مع الثورة الفتية بصرامة قصد إخمادها في فترة قصيرة حيث قال فيما بعد: «في شمال إفريقيا... إما أن تكون هناك سياسة التوفيق أو سياسة القمع والقوة بجميع أنواع الرعب والطرق البشعة مع نتائجه المخيفة (والتاريخية)...»[1] وفعلا فقد دعم سوستال سياسته قصد القضاء على الثورة بالعدد الهائل من القوات العسكرية للحلف الأطلسي، وحاول أن ينبه الرأي العام العالمي بأن «الجزائر فرنسية» وستبقى فرنسية، إذ أكد قائلا: «يجب أن يعرف الجميع، هنا وفي أي مكان، بأن فرنسا لا يمكن لها أن تتخلى عن الجزائر... والإبتعاد عن الجزائر بمعناه الإبتعاد عن بروفانس (Provence) وبريطاني (Brittany). ومهما حدث، فإن قدر الجزائر هو فرنسا....»[2]

وبهذا العمل الثوري إستطاعت جبهة التحرير الوطني أن تنفرد وتتغلب عن الأحزاب السياسية التي تأسست قبل إنطلاق الثورة التحريرية، وتذوب هذه الأحزاب في حركة الجبهة التي تطالب بالحرية والإستقلال للشعب الجزائري وتنظم الأفراد والجماعات إلى صفوف الجبهة. وبهذا توسعت الحركة النضالية والسياسية لجبهة التحرير الوطني، واستطاعت أن تكسب ثقة الشعب ومؤيدين في جميع الأوساط الشعبية داخل الجزائر وخارجها في مدة قصيرة. بينما الحركة النضالية لمصالي الحاج التي ظهرت ما بين الحربين العالمية الأولى والثانية إلتجأت إلى المعارضة وأسست «الحركة الوطنية الجزائرية» واستطاعت أن تكسب أنصارا في أوساط العمال المهاجرين الجزائريين في فرنسا بخاصة. مما أدى بجبهة التحرير الوطني إلى خلق عدة منظمات وجمعيات تقوم ضد سياسة هذه الحركة وبهذا إستطاعت الجبهة أن تتغلب على نشاطات الحركة المعارضة وتحطم آفاق سياستها، ونفي قائدها مصالي الحاج، وانضمام بعض أعضائها إلى الإستعمار الفرنسي

(1) Jacques Soustelle, **La Page N'est pas Tournée**. (Paris: Plon, 1965). p. 13.
(2) Jacques Soustelle, **Aimée et Soufrante Algérie**. (Paris: Plon, 1956) p. 43.

ومحاربة أهداف جبهة التحرير الوطني وتأييد فكرة «الجزائر فرنسية»، وعلى الرغم من حل هذه الحركة المعارضة أثناء الثورة التحريرية وتجميد نشاطاتها السياسية إلا أنها برزت في مفاوضات إيفيان في 1962. ولقد أكدت فيما بعد الجمعية البريطانيا المؤيدة لسياسة جبهة التحرير الوطني قائلة عن الرجل الذي ساهم في تاريخ الحركة النضالية ضد الإستعمار الفرنسي وفي الجزائر (مصالي الحاج) قبل ثورة نوفمبر 1954 حيث قالت مؤكدة: «... أعتبر مصالي الحاج بمثابة مأساة رجل تجاوزه التاريخ، ونتيجة لذلك إستنجد وبمرارة بمشورة مستشارين مزيفين».[1]

حقيقة عندما استطاعت جبهة التحرير الوطني أن تفرض عملها وسياستها الثورية على الإستعمار الفرنسي وتكسب أغلبية الشعب إلى جانبها قامت عدة منظمات سياسية بتأييدها والإنضمام إليها وفي أفريل 1956 قام كل من فرحات عباس وتوفيق المدني ممثل جمعية العلماء المسلمين بالإنضمام إلى الحركة الثورية لجبهة التحرير الوطني في القاهرة، وعلى الرغم من هذه المشاركة الفعلية والتأييد الكامل للصيدلي فرحات عباس فجبهة التحرير الوطني لم تنس الخطأ التاريخي أو بالأحرى «التكفير عن الذنب» الذي يتمثل في إنكاره التاريخي «للجزائر كأمة» «وكأرض الأجداد» في 1936 إذ أكد قائلا:

«إن أكتشفت ما يسمى بالأمة الجزائرية سأكون وطنيا... لكنني لن أموت من أجل أرض الأجداد (الجزائر) لأنها لا توجد. لقد سألت التاريخ، وكذلك الأحياء والأموات لكن لا أحد أجابني عنها (الأرض). وفعلا لقد اكتشفت ما يسمى «بالإمبراطورية العربية» وكذلك الإمبراطورية الإسلامية التي شرفت الإسلام وعرقنا، لكن هذه الإمبراطوريات قد زالت وتجاوزها الزمن... ومن هنا يجب التخلص والإبتعاد عن كل الأفكار الغامضة والتخيلات الجامدة لنتمكن من ربط مستقبلنا نهائيا بمجهودات فرنسا في هذا البلد».[2]

---

(1) **Free Algerian**, April 15, 1960. Vol. 1, N1. (Published monthly by the British Freinds of the Algerian Revolution).

(2) Ferhat Abbas, "la France C'est Moi" **L'entente**, 23 Feverier, 1936.

وبالإضافة إلى ما تقدم لم يفاجئ فرحات عباس السلطات الفرنسية فقط بل فاجأ أيضا الشعب الجزائري عندما أصبح أول رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة في المنفى أثناء الثورة التحريرية، وبهذا قد يكون الفرنسيون على حق عندما أعلنوا قائلين عنه: «بمثابة عمل سياسي على درجة عالية من التفنن والذي سمح له بحفظ ماء وجهه».(1) بينما جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في 1931 على يد عبد الحميد بن باديس قد حذرت ونبهت الإستعمار الفرنسي على سياسته في الجزائر في 1933 حيث قامت بحركة التوعية وتهيئة النفوس وتحديد هوية الشعب الجزائري، ووسعت نشاطاتها السياسية في العالم العربي والإسلامي قبل الثورة التحريرة وأثنائها كما أكد هنري كليمنت مور (Henry Clement Moore) في كتابه «السياسة في شمال إفريقيا» (Politics in North Africa) قائلا: «... يبدو إلى حد ما في الإجابة لتحدي الغرب، وكنتائج للأزمة بأن الإسلام كان ذا تجربة وخبرة في ذلك القرن»(2)

حقيقة أن الثورة الجزائرية عند إندلاعها بدأت جهادها وكفاحها المسلح ضد الإستعمار الفرنسي قد بدأت بأسلحة خفيفة تقليدية عددها يتراوح ما بين 350 إلى 400 وأحدثها هي بنادق الصيد. وتطورت هذه الثورة في عامها الثاني حيث توسعت وشملت كل المناطق الجزائرية والريفية بخاصة مما جعلها تزداد شعبية هائلة ومساندة كاملة من جميع الفئات. وعلى هذا الأساس كانت قيادة الحركات التحررية في العالم تقول عنها: «لو عرفت ثورات العالم حقيقة الثورة الجزائرية لركعت ساجدة». وفعلا أن هذا الإعتراف جعل مراسال نيويورك تايمز (New york Times) مايكل كلارك (Michael Clark) الذي يحمل أفكارا متطرفة ضد الحركات التحررية في العالم وخاصة الثورة الجزائرية إذ يقول بأن منح الإستقلال لتونس جعلها في نهاية عام 1956: «... أرض يدرب فيها عدد

---

(1) Paris, AFP (**Broad Cast**, April 8,1958,1729 GMT-E).
(2) **Henry Clement Moore, Politics in North Africa**, (Boston: Little, Brown and CO, 1970) p. 322.

هائل، وتبقى معسكرا ومستودعا للذخيرة والمعدات العسكرية للثوار».[1]
وبالإضافة إلى ذلك فهو يحاول بحقده العنصري والمتطرف أن يبين للرأي العام الغربي بأن يتخذوا موقفا صارما ضد تونس وذلك لتوقيف الإمدادات والقضاء على الأماكن الإستراتيجية التي تمول الثورة الجزائرية حيث يؤكد قائلا أن هناك حوالي 200.000 جزائري يعيشون في تونس في 1956. وأكثر من 5000 منهم مسلح و 2000 منهم يتدربون تدريبا عسكريا متطورا[2].

نستنتج بأن مايكل كلارك لم يحاول أن يدفع الغرب للتدخل في شؤون تونس الداخلية وقطع الإمدادات لجيش التحرير الوطني فقط، بل تأسف عن إستقلال الجناحين أي تونس والمغرب وانتشار الثورة الجزائرية بسرعة حيث يرى بأن «لولا المساعدة والحماية التي تقدمها تونس والمغرب ولو تم تطويق الحدود التي يعتمد عليها الثوار لتحطمت الثورة قبل نهاية عام 1957 كما كانت تجربة الولايات المتحدة الأمريكية في كوريا...»[3]

وفعلا إن توسع الثورة الجزائرية وتطورها في كفاحها المستمر ضد الإستعمار الفرنسي، أدى بقيام جبهة التحرير الوطني إلى خلق الولاية الجديدة تحت اسم «القاعدة الشرقية» وفي الحدود التونسية الجزائرية وذلك لتمديد المؤن والذخيرة للولايات الأخرى داخل الجزائر وفك الحصار عنها وكذلك الإتصال بالعالم الخارجي[4].

إن الثورة التحريرية التي بدأت في عامها الأول بحوالي 3000 مجاهد قد أعلنت في عامها الثاني بأنها جندت حوالي 42.000 جندي للدفاع عن الحرية والإستقلال للشعب الجزائري، كما قام بتعداده سارج برومبرجي (Serge Bromberger) في كتابه «الثوار الجزائريون» (Les Rebelles Algeriens).

(1) Michael K. Clark, **Algeria in Turmoil**, (New York: Grosset and Dunlap, 1959) p. 353.
(2) Michael K. Clark, **New York Times**, February 12, 1958.
(3) Ibid. (نفس الصفحة).
(4) Otto Heilbrunn, "The Algerian Emergency, 1954 - 1962". **Journal of Royal united Services Institute**, 1966. p. 231.

تونس والقاعدة الشرقية	8000
الولاية الأولى الأوراس أنمامشة	5000
الولاية الثانية شمال قسنطينة	5000
الولاية الثالثة القبائل الكبرى	8000
الولاية الرابعة الجزائر العاصمة	7500
الولاية الخامسة وهران	8500
المجموع:	**42000**

أما الصحراء الكبرى فقد قسمت نشاطاتها الثورية والسياسية بين الولاية الثالثة - القبائل الكبرى والولاية الرابعة - الجزائر العاصمة[1].

أما رد فعل الحكومة الفرنسية لتطور الثورة الجزائرية وتوسعها فقد كان عنيفا جدا، حيث أهملت سياستها الداخلية والخارجية وأهتمت بما يسمى عندها «بمشكلة الجزائر» إذ تعمل كل ما في وسعها لإخماد نار الحرب إيمانا منها بأن الإنتصار سيكون حليفا حتى ولو كانت ضد إرادة اللّه[2]. وعلى هذا الأساس قامت دول الحلف الأطلسي بتدعيمها العسكري والسياسي لفرنسا لكي تحافظ على سياسة الإندماج وإستمرارية «الجزائر الفرنسية» في قلب شمال إفريقيا. وفي 1956 وصل عدد الجيش الفرنسي إلى أكثر من 400.000 جندي يحاربون مجموعة أوكمشة من الثوار أو المتمردون أو الفلاقة أو «الفلوز» كما تطلق عليهم وسائل إعلامهم أثناء الثورة التحريرية.

نستنتج من خلال ما تقدم بأن رد فعل السلطات الفرنسية للثورة الجزائرية كان عنيفا وخاصة من قبل أنصار «الجزائر الفرنسية» وهذا يعود إلى عدة أسباب أهمها:

(1) Serge Bromberger, **Les Rebelles Algeriens**. (Paris: Plon, 1958) p. 249.
(2) George Armstrong Kelly, **Lost soldiers: The French Army and Empire in Crisis: 1947 - 1962**. (Cambridge: the mit press, 1965) p. 145.

- إذا تخلت فرنسا عن الجزائر وابتعدت عن ميادينها الإقتصادية الحيوية، ستصبح أفقر دولة في أوروبا[1].

- الموقع الجغرافي أو الإستراتيجي للجزائر وقربها من فرنسا حيث أن البحر الأبيض المتوسط يفصل بينهما بساعة واحدة فقط مما جعل رجال السياسة وأنصار «الجزائر الفرنسية» يقولون عن هذا البحر «حوض فرنسا» (un bassin français) والرقعة الجغرافية للمنطقة «فرنسا الكبرى من دانكارك إلى تمنراست» (La plus grande france de Dumkerque a Tamanrasset).

- إن الشعب الفرنسي يؤمن إيمانا كاملا بأن فرنسا هي التي قامت ببناء الجزائر وتطوير مشاريعها الإقتصادية والثقافية ولا يمكن أن تتخلى عنها.

- إكتشاف الثروات الطبيعية من البترول والغاز الطبيعي في الجزائر وذلك سنة 1956 التي دفعت فرنسا من جديد للمحافظة على «الجزائر الفرنسية» ولو لمدة قصيرة.

- أصبحت فرنسا أمام الأمر الواقع حيث أنها لم تعلن الحرب ضد الفلاقة أو كمشة من المتمردين كما تسميهم بل وجدت نفسها أمام المطالب الشرعية للشعب الجزائري التي تتمثل في الحرية والإستقلال. وبالإضافة إلى ذلك فالشعب الفرنسي لا يعتقد ولا يتصور بأن عصابة جبهة التحرير الوطني المتمردة والمتوحشة والتي تطلق عليها عدة أسماء ستقود الجزائر المستقلة في يوم ما.

---

(1) Source: Annuare Statistique de la France. 1954

Payé	Export	Import	Balance
Algeria	172.28	115.76	+56.62
Marocco	77.63	51.30	+26.33
Tunisia	42.02	28.75	+13.27
West Germany	123.13	119.69	+3.44
USA	54.07	113.31	-79.24
Iraq	1.29	77.70	-76.41

Christopher Harrison, "French attitudes To Empire and The Algerian War". African Affairs. Vol. 82. 1983. p. 76.

ومن هنا نستنتج بأن إنفجار ثورة نوفمبر 1954 هي التي غيرت سياسة فرنسا تجاه الشعب الجزائري. وأهم ما ذكرناه في هذا المبحث، وما سنتطرق إليه في المباحث القادمة هو أهم الحوادث التاريخية في الثورة الجزائرية، وموقف النخبة الفرنسية المثقفة تجاه هذه الثورة.

2 - النخبة الفرنسية المثقفة والثورة التحريرية:

في هذه الدراسة سأحاول قدر الإمكان دراسة أفكار ومواقف النخبة الفرنسية المثقفة تجاه الثورة الجزائرية. حقيقة أن بعض المثقفين الفرنسيين ساندوا نضال الشعب الجزائري من أجل تحقيق الإستقلال والحرية، والبعض الآخر لم يكتفوا بعدم المساندة والسكوت والتحفظ بمبادئهم فقط بل أعلنوا عن حقيقة فلسفتهم المتمثلة في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب الجزائري. أما المثقفون الذين يؤمنون بفلسفتهم السياسية فقد التزموا بمبادئهم ودافعوا عنها منذ الحرب العالمية الثانية حتى الثورة الجزائرية، منهم من شارك مشاركة فعلية، ومنهم من شارك بالكتابة والمساندة المطلقة للشعب غير شعبهم. والمثقفون الذين أريد أن أركز عليهم في كتابي هذا، هم المثقفون اليساريون الذين اختلفوا في رأيهم وتعبيرهم تجاه القضية الجزائرية والذين لهم علاقة عمل وصداقة مع سارتر وهم: البير كامو (Albert Camus) فرانسيس جونسون (Françis Jeanson) وفرانس فانون (Frantz Fanon) إن هناك بعض المثقفين الذين لم تعط لهم الأهمية المطلوبة على الرغم من مشاركتهم ومساندتهم للثورة التحريرية. وما يلاحظ أنهم أغفلا من قبل المؤرخين الجزائريين إذ لم يوضحوا كيف كانت مساندتهم وكتاباتهم السياسية تجاه الثورة الجزائرية، ولم يوضحوا أيضا الأسباب التي جعلتهم يقفون بجانب الشعب الجزائري من أجل الحرية والإستقلال. وما نسعى إليه في هذه الدراسة هو أن أوضح ما إذا كان موقفهم ينبع من مبادئهم وأفكارهم الشخصية أم من موقفي المسؤولية الإجتماعية تجاه المجتمع الجزائري. في إطار هذه الملاحظات نقدم هذه الدراسة المتواضعة، وهي الأولى من نوعها.

حقيقة أن هناك بعض المثقفين الذين أعلنوا عن حقيقة أفكارهم وفلسفتهم المتمثلة في العداوة والعنصرية ضد حرية الشعب الجزائري وخاصة ألبير كامو (Albert Camus 1913 - 1960) المفكر والأديب والفيلسوف الذي ولد بالجزائر من طبقة فقيرة وترعرع في حي بلكور بالعاصمة، حيث كان يعتز بالثقافة والحضارة الفرنسية في الجزائر، ومعجبا بالمناظر الطبيعية الخلابة الجميلة في شواطئ الجزائر. وأهم كتبه «الغريب» (L'Etranger) و«الطاعون» (La Peste) وهي كمرآة عن فلسفة «الأقدام السوداء» في الجزائر والفكر الأوروبي عامة، كامو المفكر اليساري الذي يمثل النزعة الذاتية الأوروبية في الجزائر إنظم إلى الحزب الشيوعي الجزائري في الثلاثينيات وهو فرع تابع للحزب الشيوعي الفرنسي. وفعلا فموقفه في «المقاومة» وفلسفته المنافية للعقل وكتاباته الثورية، كل هذه الأشياء طبعته بصبغة إنسانية في الأوساط اليسارية وجعلت منه رجلا ذا شهرة يحكم على الأمور بالوعي العقلي، حيث كان يؤمن بالبورجوازية الصغيرة ويظهر هذا في كتابه «المتمرد» (L'homme Révolté - 1951) والذي يبين فيه تضامنه مع المجتمع الرأسمالي، على الرغم من أنه كتب ضد الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية وشارك مع المقاومة الفرنسية، إضافة إلى ذلك إعترافه بإنحداره الطبقي.

وقبل أن نتطرق إلى موقف كامو من الثورة الجزائرية رأينا من الأحسن أن نبين المناظرة الفلسفية التي حدثت بين جان بول سارتر وألبير كامو والتي تسمى «بمناظرة 1952»، تعتقد سيمون دي بوفوار بأن العلاقة بين سارتر وكامو كانت بعد الحرب العالمية الثانية متذبذبة ومتوترة ومتناقضة مما جعلها تتطور إلى اللهجة العنيفة والغليظة وأحيانا اللاأخلاقية وازداد هذا العناد مع تطور السنين، حيث تولدت الكراهية بين الفيلسوفين، فكامو كان رجلا مثاليا وأخلاقيا، ومفكرا ضد الشيوعية وضد الأجناس غير الأوروبيين، بينما سارتر عمل جاهدا منذ 1940 لكي يتخلى ويبتعد عن المثالية، وتحرير نفسه من الذاتية الفردية ليسجل اسمه في التاريخ، حيث كان يهتم بالشيوعية والماركسية وتطورهما كما كان يؤمن بحقيقة الإشتراكية. حقيقة لقد هاجم سارتر بشدة وبعنف كامو في مقاله الذي نشر لأول مرة في مجلة

«الأزمنة الحديثة» (Les Temps Modernes) بعنوان «الجواب لألبير كامو» حيث أكد وقال يجب أن نعمل من أجل التاريخ موضحا: «لأننا نحن أيضا، كامو، فإننا ملتزمين، وإذا أردتم حقا منع دخول حركة شعبية في حالة طغيان، لا تبدأ بالحكم عليها نهائيا دون إستئناف ولا طعن والتهديد بانسحابكم إلى الصحراء في حين أن صحاريكم ماهي في الحقيقة إلا قسما قريبا من المهجور في حيزنا، ولكي تملكوا حق التأثير في رجال يكافحون، لابد لهم أولا من المشاركة في حربهم، ولابد أولا من قبول أشياء كثيرة، وذلك إذا ما أردنا محاولة تغيير بعضهم»[1].

لقد أكد سارتر بأن التاريخ سيوظف لخلق الإنسان الحر في مجتمع الحرية، وكلف سارتر فرانسيس جونسون (Françis Jeanson) بمراجعة الكتاب «المتمرد» (L'homme révolte) والتعليق عليه، على الرغم من تحفضه لكي لا يقال على الكتاب ما لا يمكن قوله. وفعلا قام جونسون بنقده الشديد للكتاب والذي شجع سارتر فيما بعد أن يوبخ ويؤنب كامو قائلا:

«هل للتاريخ معنى؟ اسألوا أنفسكم، هل له نهاية؟ بالنسبة لي، فهي المسألة التي ليس لها معنى: ذلك أن التاريخ، خارج الإنسان الذي صيغه ماهو إلا مفهوم مبهم وغير متغير، ولا نستطيع القول عنه له نهاية أو ليس له نهاية، والمشكل ليس في معرفة نهايته، ولكن من أجل إعطائه... ليس المطلوب هو معرفة أن التاريخ له معنى، ولا أن إخلاص المشاركة فيه، ولكن، مادمنا داخله إلى حد الأذقان، علينا محاولة إعطائه المعنى الذي يظهر لنا الأحسن، وذلك دون رفض منح مساعدتنا، مهما كان ضعفها - لكل عمل حاسم ينجز التاريخ»[2].

وهكذا انقطعت العلاقة بين سارتر وكامو، إلى أن هذا الأخير كتب رسالة شخصية إلى مدير مجلة «الأزمة الحديثة» أي إلى سارتر والذي قال عنها: «بأنها كانت مضحكة، بحيث لم يكن أي لقب بينهما»[3] وأكد سارتر فيما بعد قائلا: «على الرغم من أن سياسته كانت أجنبية تماما بالنسبة لي، وبخاصة موقفه أثناء حرب الجزائر»[4].

---

(1) Sartre, **Situations**, iv, (Paris: Gallimard, 1964) p. 110.

(2) Ibid, pp, 124 - 5.

(3) Simone de Beauvoir, **Adieux: A Farewell to Sartre**. p. 269.

(4) Ibid, p, 269.

حقيقة أن الثورة الجزائرية جعلت كامو في مشكلة عويصة أمام شعبه «الأقدام السوداء» خاصة والجالية الأوروبية في الجزائر عامة، وكذلك أمام عدالة «الجزائر فرنسية» وبعد عملية ملعب سكيكدة 1955 كتب كامو للحزب الشيوعي الجزائري قائلا بأنه يائس (ready to despair) من الوضع المتدهور. كامو الذي كان ينتقد الإدارة الفرنسية وتاريخها في الجزائر وعدم إهتمامها بالسكان الأصليين، هاهو الآن ينتقد ويندد بشدة عمليات جبهة التحرير الوطني، حيث يرى بأن الحل الوحيد لحل ما يسمى «بمشكلة الجزائر» هو خلق فيديرالية جزائرية تظم المسلمين والأوروبيين ويخضعون للقانون الفرنسي والذي يقوم بحماية الجزائر، وهنا يمكن القول بأن كامو تجاهل أهداف ومطالب جبهة التحرير الوطني المتمثلة في الإستقلال والحرية. وعند عودته إلى فرنسا سنة 1956 كتب كامو قائلا: «لقد عدت من الجزائر وأنا في أشد اليأس، ما يحدث يؤكد إداناتي. وهذا يتمثل في محنتي الشخصية، لكن يجب أن لا نستسلم. كل شيئ لا يمكن أن يكون متساويا».[1] نستنتج من هذا القول بأن كامو لا يهمه المستوطنين الأوروبيين كما كان يدعي بل كانت «محنته الشخصية» تتمثل في بقاء أمه وأخيه في الجزائر العاصمة؛ أي أنهم مازالوا يعتقدون بأن الجزائر بعد الهزة الحقيقية ستعود وتبقى مقاطعة فرنسية. وفعلا بعد 1956 كامو رفض رفضا قاطعا التعليق على الثورة الجزائرية إلى أن نشرت (Actuelles, Chroniques Algériennes 1938 - 1958) أين قام بجمع مقالاته وبحوثه الأدبية التي كتبها عن منطقة القبائل الكبرى بعد مجزرة سطيف في 8 ماي 1945 وما كتب أيضا في مجلة (L'Express 1955 - 1956) وفي تدوينه لهذه المقالات لم يذكر الحرية أو الإستقلال للشعب الجزائري، وفعلا كما كان متوقعا، فالمثقفون اليساريون الفرنسيون أحتجوا على سياسة السكوت لكامو تجاه «القضية الجزائرية» وهذا الإحتجاج جعل كامو يخرج من صمته قائلا: «... أنه لا حكم لحكومة المترويول على الجزائر ولا حتى روبير لاكوست (Robert La Coste)، ولا لأي كان[2]. قد لا يخطر على البال بأن المفكر الأديب الذي نال جائزة نوبل أن يصرح ويقول لا توجد

(1) Albert Camus "Lettres a jean Gillbert" **Revue d'Histoire du Theatre, N: 4. 1960, p 359.**

(2) **Albert Camus, Actuelles iii chroniques Algériennes** (1939 - 1958).

أمة جزائرية. وفي اعتقاده أن الشعب الجزائري المسلم كان عبارة عن امتزاج لشعوب مختلفة و«الأقدام السوداء» هم السكان الأصليون والحقيقيون للجزائر، إضافة إلى ذلك كتب يقول: «لقد حاولت في هذا الإطار تحديد موقفي بوضوح. أن الجزائر مكونة من شعوب فيدرالية موحدة، ومرتبطة بفرنسا، تبدو لي أفضل، بدون مقارنة ممكننة في نظر العدالة البسيطة، من جزائر مرتبطة بالأمبراطورية الإسلامية التي لن تنجز تجاه الشعوب العربية إلا إضافة البؤس والآلام وإقتلاع فرنسي الجزائر من موطنهم الأصلي[1].

حقيقة أن كامو كان يؤيد ويساند فكرة «الجزائر الفرنسية» حتى ولو كان بتعذيب وقتل آلاف الأبرياء من المسلمين، حيث أيد مجيئ مانديس فرانس (Mendes France) في 1955 إلى الجزائر وذلك لتحقيق أمنيته وأحلامه وقال بأنه هو الرجل المناسب الذي يقوم بحل «المشكلة الجزائرية» وعودة النظام والقانون الفرنسي إلى مجراه الطبيعي في أرض الجزائر، حيث كتب في مجلة (L'Express) في 1955 يبحث عن حل فيدرالي للجزائر يمثله مانديس فرانس وبعض الأعضاء من الحزب الشيوعي الجزائري - كالعضو عزيز كسوس - والجمعية الجزائرية، ولذلك أيد الحوار وفكرة المائدة المستديرة بين الممثلين الذين يؤيدون ما يسمى «بفدرالية الجزائر» إلا أنه وقف ضد العمليات الفدائية لجبهة التحرير الوطني والتي هي السلاح الوحيد لمحاربة الإستعمار الفرنسي إذ كتب كامو قائلا:

في حالة قيام إرهابي برمي قنبلة في سوق بلكور أين تقوم أمي بقضاء حاجياتها، ويترتب عن هذا الرمي وفاة أمي، سأكون مسؤولا في هذه الحالة للدفاع عن العدالة وأكون قد دافعت أيضا عن هذا الإرهاب وإني أحب العدالة كما أحب أيضا أمي...[2] حقيقة أن أغلبية المثقفين اليساريين التزموا الصمت تجاه موقف كامو من الثورة الجزائرية حيث نجد أن صديقه جول روي (Jules Roy) الذي ينتمي بدوره إلى «الأقدام السوداء» والذي كتب في كتابه «حرب الجزائر» (1960 La GUERRE D'ALGÉRIE) يقول فيه بأنه يوافق كل من يقر العدالة للمجموعة الواحدة بدون حرمان الآخرين من عدالتهم وحريتهم في نفس

(1) Ibid. p. 28.

(2) Lettre to Emmanuel Robles, Essais, (Paris: Gallimard, 1965) p, 1843.

الوقت وبعد وفاة كامو ذهب صديقه روي إلى مخيم اللاجئين الجزائريين بتونس للإطاع على وضعهم الإجتماعي والصحي. وعند عودته إلى فرنسا أصبح مقتنعا بأن تضامنه يجب أن يكون مع الشعب الجزائري في تقرير مصيره، لا مع الجماعة الأوروبية وبهذا أعلن روي عن جوابه لكامو قائلا: «فالسؤال المطروح هنا لم يكن في تفضيل أمك على العدالة بل السؤال هو أن تحب العدالة مثل ما تحب أمك»[1] بيد أن موقف كامو تجاه نضال الشعب الجزائري كان سلبيا، حيث أنه رفض رفضا باتا الإعتراف بتاريخ وشرعية وأصالة الشعب الجزائري المسلم، إذ لا يتصور بأن جبهة التحرير الوطني ستقود الجزائر في يوم ما، ويعود المعمرون والأوروبيون من مواطني الدرجة الثانية في الجزائر ويخضعون لأوامر قيادة جبهة التحرير الوطني، على الرغم من أن الطلبة الجزائريين في كل من فرنسا والسويد في حفل تسليمه جائزة نوبل للأدب في 1957 عن عمر يناهز 43 سنة، حاولوا أن يقنعوا كامو بأهداف جبهة التحرير الوطني المتمثلة في الحرية والإستقلال للشعب الجزائري المسلم والضمانات التي ستمنح للأوروبيين عامة، فقد رفض كامو هذا الإقتراح وقاطع المناقشة مع الطلبة. وفعلا لقد صدق الكاتب الجزائري أحمد طالب الإبراهيمي ووزير الخارجية السابق عندما قال:

لم يكن كامو في مستوى هذه المثالية، على الرغم من أن الجزائريين قد خولوا له لقب «كامو الجزائري»، لقد كان في أعيننا بمثابة جائزة نوبل أخرى أو شيء يشبه جائزة نوبل لتصفية الإستعمار الفرنسي، وهي القضية التي مثلت أكبر حركة في التاريخ المعاصر. لكن كامو لا يستحق هذه الجائزة. ومع ذلك فإنه يبقى في نظرنا ككاتب كبير، أو بالأحرى مؤلف كبير لكنه يبقى غريبا» (ألبير كامو من وجهة نظر إنسان جزائري)[2].

حقيقة أن ألبير كامو المفكر والأديب الفرنسي الذي كتب في فلسفته عن الجزائر المسلمة وأيد فكرة «الجزائر الفرنسية» وشجع الجيش الفرنسي على استعماله لشتى طرق وأساليب التعذيب لحماية 1.200.000 أوروبي حيث قال في

(1) Jules Poy, La Guerre d'Algérie, (Paris: Gulliard, 1960) p 207.

(2) Ahmed Taleb Ibrahimi, De la décolonisation a la Révolution culturelle: (1962 - 1972) (Alger: SNED, 1981) p. 184.

أكتوبر 1959 لصديق له: عندما يعلن عن الإستفتاء في الجزائر سيقوم بنشاطات مكثفة ودعاية ضد تقرير المصير للشعب الجزائري، ولسوء حظه لم يحضر إستقلال الجزائر ولاكتظاظ الموانئ والمطارات الجزائرية بالأوروبيين الهاربين إلى الدول الأوروبية وإسرائيل والأرجنتين[1].

أما المثقف الفرنسي الثاني الذي سنتطرق إلى آرائه الفكرية والفلسفية تجاه الثورة الجزائرية فهو فرانسيس جوسون الذي يختلف تمام الإختلاف عن ألبير كامو. جونسون كان صديقا حميما لسارتر وخاصة في الفترة ما بين 1951 و1956 أي عندما رفض جونسون مساندة سارتر في كتابة مقاله الذي عارض فيه التدخل السوفياتي لبودابيست في 1956. ولقد عادت الصداقة بين المثقفين أثناء الثورة التحريرية أي في ماي 1959، وقبل أن نتقاش أفكاره ومشاركته الفعلية تجاه نضال الشعب الجزائري من أجل الإستقلال والحرية يجدر بنا أن نتعرف عن حياته بإيجاز.

فرانسيس جونسون كاتب ومفكر سياسي فرنسي وأستاذ الفلسفة، وأثناء الحرب العالمية الثانية هاجر إلى إسبانيا تجنبا لوحشية الحرب وهمجيتها، وهناك انظم إلى «الجبهة الشعبية» مثل معظم المثقفين الفرنسيين، إذ وجد نفسه في أحد المحتشدات للاجئين الفرنسيين بإسبانيا والتي أثرت فيما بعد على حياته النفسية والصحية، وعندما أفرج عنه واصل طريقه إلى الجزائر التي كانت ملجأ الفرنسيين حيث تعرف على عدة شخصيات وطنية في الحركات السياسية واطلع على سياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر التي تميزت بالنهب والسلب والتدمير والإستغلال الفاحش الذي كان مطبقا على الشعب الجزائري المسلم، وعندما عاد إلى فرنسا حذر الشعب الفرنسي وقال بأن فرنسا إستوطنت «أرض بركانية» وهي مستعدة للإنفجار في أية لحظة، وفي 1955 نشر كتابه الأول وذلك بالإشتراك مع زوجته كولات جونسون (Colette Jeanson) بعنوان "L'Algérie hors le loi" (الجزائر خارجة عن القانون) والذي أنتقد فيه بشدة سياسة الإستعمار الفرنسي، ودافع فيه عن حقوق وحرية الشعب الجزائري، وهو أول كتاب يتطرق إلى الثورة الجزائرية وأبعادها

(1) Jean Bloch - Michel "Albert Camus et la Nostalgie de L'innocence" Preuve N 110, 1960 pp 3 9.

السياسية، إذ حاول أن يبين فيه مبادئ ثورة نوفمبر 1954 على الرغم من أن الإنتقادات التي وجهت إليه فيما بعد، وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى الكتاب الآنف الذكر الذي إشترك في تأليفه جونسون وزوجته يقول: «إن إستمرارية القمع في الجزائر سيكلف الوطنيين الفرنسيين حريتهم المدنية والعمال الفرنسيين سيبقون محل صفقات السلطة[1]. وفعلا كان كتاب جونسون وزوجته أول تعبير ونداء اليسار الفرنسي تجاه الثورة الجزائرية، علما بأن الكاتب لم يكن معروفا في الأوساط اليسارية الفرنسية بحركاته السياسية با اشتهر كفيلسوف غني بفلسفة جان بول سارتر التي تهتم بالوجودية كنزعة إنسانية معاصرة، بالإضافة إلى هذا العمل العلمي الأكاديمي كان صديقا حميما لجان بول سارتر حيث اشتغل عدة سنوات معه في مجلة «الأزمة الحديثة» (Les Temps Modernes)، وعند إندلاع الثورة الجزائرية ابتعد عن سارتر وذلك من أجل مواقفه السياسية، وأسس جبهة عملية تدافع وتساند حرية الشعب الجزائري واختلف في ذلك مع سارتر لأن هذا الأخير لم يتسرع ويعجل موقفه في تأييد القضية الجزائرية إذ قال جونسون فيما بعد:

أنت أيها الفرنسي، تطلب من القوات العسكرية لبلادك أن تواصل عملها فقط، وذلك بإتفاق مع بعض الشروط الأساسية لا للتعذيب المستمر والطويل للمناضلين والمشبوهين، لا «للتجمعات» والإبادة المستمرة للشعب الجزائري. إن وجودك يبقى رسالة ميتة... أنت تصغر إلى أحد العجز الكامل للإنسان... (ومع ذلك) فأنت تتحمل الأسباب والنتائج سواء أردت ذلك أو لم ترده والكلمة المحتشمة التي تتفوه بها في إتجاه واحد لن تعادل النتائج المطبقة في إتجاه آخر لخضوعك وامتناعك لتحمل هذه النتائج: أنت إلى جانب الطغاة والجائرين... يجب أن تختار، وهذا الإختيار لا يكون ناقصا وبمعنى آخر لا يكون بنصف قلبك، ولديك فقط حياتك لخلق إرادة الإنسان، فالإنسان ضد كل إنسجام، وضد كل مساواة وضد كل النيات الحسنة والتي تكون متواصلة ونابعة من احتياجاتك لأجل أمنك، إن

(1) Françis Jeanson et Colette Jeanson, L'Algerie hors la loi, (Paris: Editions du Seuil, 1955) p 17.

خوفك وانضباطه الأعمى لطائفة معينة أو لحزب، والذي تضعه موضع احترام وواجب لنفسك وذلك لكي تتجنب حقيقتك العملية والفعلية[1].

وانطلاقا من هذه النقطة الأساسية نلاحظ موقف جونسون تجاه الثورة الجزائرية يناقض تناقضا قاطعا موقف ألبير كامو الذي يرفض بشدة أن يجد فرنسا متهمة إذ يصرح قائلا: فرنسا هي دولة الخطيئة في التاريخ... إنه من المؤسف جدا أن يضرب قرينته، كما يفعل قضاتنا النادمين والمتأسفين على صدر الآخرين، ليس من الضروري أن نحكم على عدة قرون من التوسع الأوروبي... إنني أرى في الجزائر سياسة الإصلاح، وليس بسياسة الإستغفار والتكفير عن الذنب[2].

أما جونسون فهو يؤيد ويساند أهداف جبهة التحرير الوطني المتمثلة في الحرية والإستقلال للشعب الجزائري، حيث يرى بأن اليسار الفرنسي سيفوز مستقبلا في سياسته إذا دعم وساند نضال وكفاح الشعب الجزائري في تحقيق الإستقلال والحرية. وفعلا فجونسون وأنصاره شكلوا منظمة سرية لتقديم يد المساعدة للمهاجرين الجزائريين في فرنسا عامة والفدائيين خاصة، وهذه المنظمة ظهرت كشبكة سرية تقف إلى جانب الحركة الثورية لجبهة التحرير الوطني في فرنسا، حيث لا يتمثل نضالها في التنديد بمختلف المنشورات واللوائح فقط بل كان أيضا فعليا وعمليا للنشاطات السياسية لجبهة التحرير الوطني. وهذه «الشبكة السرية» غير الشرعية التي ظهرت في فرنسا في الحقيقة تعتبر شكلا من أشكال التعبير السياسي والتمرد والعصيان على السلطة الحاكمة، والتي قام بتأسيسها فرانسيس جونسون وسميت باسمه **Jeanson Network (Reseou Jeanson)** من قبل الصحافة الفرنسية فيما بعد أي في سبتمبر 1960، عندما حكمت عليه المحكمة الفرنسية وعلى معاونيه غيابيا والإعلان التالي يوضح ذلك:

منذ 1956.. فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، لقد رأيناها وهي تبحث عن الفرنسيين المساندين للقضية الجزائرية وذلك للمساهمة ماديا بطريقة مباشرة «وبسرية كاملة» والمساهمة في بعض النشاطات: كالنقل من الحدود الفرنسية

(1) Françis Jeanson, Notre Guerre, (Paris: Edition de Minuit, 1960) pp, 59 - 60.
(2) Albert Camus, Actuelles, III, chroniques Algeriennes (1939 - 1958) pp. 22 - 23.

للأموال الموجهة لمقاتلي جبهة التحرير الوطني، وضمان السكن وحماية المناضلين العاملين فوق التراب الفرنسي، وخلق شبكات تسهل الإتصال بالخارج إلخ... وعدة شبكات أخرى مؤيدة، وذلك إبتداءا من سنة 1957... وأشهر شبكة وأهمها هي التي قام بتنظيمها في نهاية 1957 فرانسيس جونسون...[1]

ومن الواضح أن الأعمال الأساسية التي تقوم بها الشبكة هي جمع الإشتراكات والأموال والألبسة والأغطية والأدوية من العمال المهاجرين الجزائريين والفرنسيين المؤيدين والمتعاطفين مع الثورة الجزائرية حيث تقوم بتهريب هذه المواد إلى الدول الأوروبية المجاورة لمساعدة اللاجئين والمتشردين إذ يقول جونسون:

«... من خدمات فدرالية فرنسا التابعة لجبهة التحرير الوطني: في البداية كان الناس ينتمون إلى نفس الوسط الذي كنت أشتغل فيه لأنني أنا الذي بدأت في تشكيل أول خلية للمساعدة. ونحن نعلم كل العلم مثلا أن هناك عملا لتوظيف وجلب في وسط المثلين في وقت لا حق من أجل الحصول على حق الإقامة في فرنسا... وقد كان هناك وقت أين كنت لا أستطيع النوم ليلتان متتاليتان في مكان واحد وأتذكر أنني كنت أنام مع أفراد مختلفين عن بعضهم البعض...»[2]

كما تقوم هذه «الشبكة السرية» أيضا بتقديم يد العون لتهريب الفدائيين من فرنسا وتسليحهم حسب تصريح جونسون الذي يؤكد قائلا: «نعم، فالأسلحة الممولة قد تكون مصوبة لطعن الجيش الفرنسي من الخلف»[3]. ربما جونسون كان على صواب، لأن طريقة الفدائيين في المواجهة قد أدهشت الجيش الفرنسي في المدن الجزائرية بإطلاق الرصاص عليهم من الخلف، ومع ذلك فجونسون ناضل وقاوم لمدة ثلاثة سنوات إلى جانب جبهة التحرير الوطني بحركته السرية والتي تعتبر القاعدة الأساسية للنشاطات السياسية السرية أثناء الثورة التحريرية بدون مقابل

(1) **La Guerre d'Algerie**. Sous La direction d'Henri Alleg, Jacques de Bonis, Henri J. Douzan, Jean Ferreire et Pierre Houdiquet. Collection realisée avec la Collaboration de Gibertt Alleg. (Paris: Temps Actuels, 1981) pp 232 - 3.
(2) Ibid, P, 233.
(3) Françis Jeanson, **La Révolution Algérienne Probleme et Perspectives** (Milan: Feltrinelli, 1962) P 19.

مادي، أو تدعيم معنوي، أو تشجيع من قيادة جبهة التحرير، وفي سنة واحدة استطاع جونسون أن يهرب من فرنسا عشرة ملايين فرنك فرنسي مع ستة جزائريين إلى البنوك السويسرية[1]. حيث قال عنه روبار أستون (Robert v, Stone) أحد الفلاسفة الأمريكيين وأحد المهتمين بالفلسفة الوجودية والفينومينولوجية (الظاهراتية): كيف نستطيع المحافظة على الغموض بين مصداقية الفرد وثورته التحريرية والتي كانت عبارة عن نظريات وأصبحت آلة للتطبيق عند جونسون، وأعظم جهده الذي كان جدير بالملاحظة لا يتمثل في أعماله الفلسفية ولا في أدواره... بل في سياسته العملية أثناء حرب الجزائر 1954 - 1962[2].

وعلى الرغم من أن «الشبكة السرية» كانت منظمة ومباشرة لمشروع سياسي مثالي وجدي إلا أنها تعطي تفسيرات معنوية لأعمالها المستقلة للتحليلات الإجتماعية والسياسية التي تسهم في نجاحها. ويرى جونسون ومساندوه بأن الجهد الأول والأساسي الذي يجب تحقيقه هو: «المحافظة على إستمرار صداقة فرانكو الجزائر»[3]. والجهد الثاني الذي نأمله مستقبلا هو «أن تنقد شرف فرنسا، وأعظم تقاليدها الثمينة»[4] حقيقة أن جونسون وأنصاره هنا يؤكدون بأن وطنيتهم واقتناعهم جعلهم يعملون في الإتجاه الصحيح لصالح الشعب الفرنسي لتحقيق أمنيته، حيث كتب يقول:

إيماننا القوي بأن أفعالنا كانت عادلة ونتمنى أن تقنع الأغلبية من مواطنينا بذلك الإيمان. لكن نحن لا نحس بجوهر آخر غيرهم، وإذا كانت رد أفعالنا إليهم وحشية أحيانا، ومع ذلك سيبقون إخوة، وجميعنا ستتغلب على الوضع أو سنهلك جميعا... لا نتصور بأننا سنفصل أنفسنا تمام على فرنسا، بل نطالب بإلحاح بإمكانية كوننا فرنسيين حقيقيين. وعلى هذا الأساس نشرع في العمل لكي نقوم بإعادة إنشاد أو تكوين جمعية وطنية[5].

---

(1) **Vérité - Liberté**, Juin 1960.

(2) **Françis Jeanson, Sartre and the Probleme of Morality**. Translated by Robert V. Stone. (Bloomington: Indiana. U.P 1989) PX viii.

(3) **Les Temps Modernes**, Avril, Mai 1960. p. 1536.

(4) Ibid. pp. 53 - 4.

(5) Françis Jeanson, Notre Guerre, pp. 12 - 14.

فعلا لقد كانت «الشبكة السرية» لجونسون تؤيد وتساند مواقف جبهة التحرير الوطني وخاصة من الناحية النظرية والعملية حيث يبين جونسون ويقول: «لقد كان تعهدنا وإلتزامنا لهم كليا[1]. وبالإضافة إلى ذلك فجونسون وأنصاره يطالبون إدانتهم لأن اليسار الفرنسي يجب أن يكون إتحادا كليا وعمليا مع جبهة التحرير الوطني، ولم يجد هذا المطلب أو الإقتراح صدى في الأوساط اليسارية الفرنسية ماعدا في مجلة «الأزمنة الحديثة» والباقية من الصحف والمجلات لم تكتف بالإدانة لمطالبهم فقط بل نادت بتكوين وتأسيس جبهة جديدة ضد مواقف جونسون وأنصاره للثورة الجزائرية. ومع ذلك واصل جونسون نضاله العلمي والثوري إلى جانب كفاح الشعب الجزائري في تقرير مصيره لتحقيق الإستقلال والحرية حيث صرح بأن الأفواج المساندة له ولموقفه العادل قد شرعت في العمل الفعلي والتطبيقي للتضامن مع الثورة الجزائرية، وكانت هذه المساعدة ترد بقناعة تامة ويجب الإعتراف بها وتدعيمها لكي تكون عبرة وقدوة للشعوب التي تناضل من أجل حريتها واستقلالها، وفي رسالته «الأزمنة الحديثة» شرح ذلك قائلا: «منذ ضياع اليسار وعي المعركة، كان من الواجب أن يعمل ويقوم بمهمة إبعادها ويعمل في الإتجاه الذي يحقق له التضامن. ومنذ أن أصبح اليسار عاجزا على توحيد صفوفه، كان من الواجب أيضا أن كل وحدة من هذه التعهدات تكون لنفسها مثلا للوحدة في العمل...»[2]

لقد كان جونسون وأنصاره يعتقدون بأن مساندة ومساعدة جبهة التحرير الوطني يعتبر من مهمة اليسار الفرنسي لأن وحدتهم العملية والفعلية مشتركة، يضاف إلى ذلك عدوهم صار ماثلا في الإستعمار والأمبريالية[3].

ولا غرابة في ذلك أن الجيش الفرنسي «والأقدام السوداء» والعملاء الجزائريين مع الإستعمار الفرنسي يحاربون محاربة جماعية أهداف جبهة التحرير الوطني وحركاتها

---

(1) Ibid, pp. 53 - 4.

(2) Françis Jeanson, **Les Temps Modernes**, Avril, Mai 1960. pp. 1542 - 3.

(3) Paul Clay Sorum, **Intellectuals and Decolonization in France**. (Chapel Hill: the university of N.C. P 1977) p. 169.

النضالية في الجزائر، حيث يقومون بقتل الأبرياء دون تمييز، وذلك مماثل لنظام القوات الفاشية الموجودة في فرنسا. وفعلا وفي شكل الإستعمار فجونسون يرى بأن النظام الرأسمالي يستغل الطبقة العاملة الفرنسية كما يستغل الشعب الجزائري.[1] وعلى هذا الأساس فهو يعتقد بأن أهداف جبهة التحرير الوطني واليسار الفرنسي مشتركة في النضال والعمل من أجل تحقيق الوحدة والحرية والعدالة الإجتماعية، إذ يبدو لنا بأن المؤرخ المعاصر الأمريكي بول كلاي صوريم (Paul Clay Sorum) كان على صدق عندما قال: اليسار الفرنسي مستمر مع الطريقة الأبوية الأصلية، بشكة لمدة طويلة تجاه الثورة الجزائرية التي يعتبرها تقدمية إجتماعية[2].

ومع ذلك يمكن القول بأن الوضع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي للجزائر هو الذي يجعلها أن تقوم بإصلاحات جذرية وتغيرات تتماشى مع وضعها الإجتماعي والسياسي وعلى هذا الأساس فنصيبها يفرض على الجزائر أن تتبنى الإشتراكية عند إسترجاع سيادتها الوطنية وفي (Veritè - liberté - 1960) قال سارتر: في اللحظة التي نحن فيها، فالطريقة الوحيدة التي تؤثر على الرأي العام، هو أن تتجاوزه إلى أبعد ما يتصوره[3].

حقيقة لقد تعقدت الأمور على الحكومة الفرنسية وأصبحت فرنسا تواجه حربين حرب في الجزائر وحرب أخرى في فرنسا الذي استطاعت جماعة من الفدائيين التابعين لجبهة التحرير الوطني تفجيره داخل فرنسا، والقيام ببعض العمليات الفدائية في المدن الفرنسية الكبرى وهذه العمليات الناجحة تكتيكيا وسيكولجيا أصبحت تهدد المجتمع الفرنسي، إلى جانب هذا اكتشفت الحكومة الفرنسية «الشبكة السرية» لجونسون، وقامت بإلقاء القبض على معظم أعضائها في فيفري 1960 دون مؤسسها وقائدها جونسون مما يسمح بإستمرارية نشاطاتها كحركة سرية لمساندة الثورة الجزائرية. وفي 5 سبتمبر 1960 بدأت السلطات الفرنسية بمحاكمة أعضاء «الشبكة السرية» لجونسون أي 19 فرنسيا (رجالا ونساء) وستة جزائريين متهمين بحمل

(1) Françis Jeanson, (Press Conference) Vérités Pour. N 1.20 Septembre 1958. pp. 18 - 9.
(2) Paul Clay Sorum, Intellectuals and Decolonization in France. p. 75.
(3) Sartre, Vérité - liberté. 3 juillet 1960.

الذخيرة والمؤن والوثائق لجبهة التحرير الوطني، وكذلك المتعاونين في إخفاء الجزائريين وتهريبهم عن الشرطة الفرنسية. أربعة من المتهمين منهم ناطقها الرسمي جونسون نفذت الأحكام عليهم غيابيا. والمتهمون كانوا متهمين بعدة قضايا المتمثلة بتدعيم ومساندة جبهو التحرير الوطني إلا أن المحكمة العسكرية لم تثبت عليهم أي هجوم أو تخريب ضد الممتلكات الخاصة أو العمومية. وهذه المحاكمة دامت حوالي شهر، ومن بين المحامين الذين دافعوا عن هذه «الشبكة السرية» لجونسون الأستاذ جاك فيرجي (Jacques Verger) المحامي الأساسي اليساري والمتعاطف مع المستغلين والمحامي الثاني هو رولاند دوماس (Roland Dumas) حقيقة أن محاكمة «الشبكة السرية» لجونسون تحولت إلى عملية سياسية بالنسبة للمثقفين الفرنسيين كما جاء في رسالة جان بول سارتر للمحكمة: «... فالتضامن مع الجزائريين المقاتلين لم يأت إملاء على هذه «الشبكة السرية» في مباديء سامية أو في إرادة عامة لمحاربة الظلم والطغيان أينما كان، فهو ينبثق من التحليل السياسي للوضعية في فرنسا نفسها»[1].

حقيقة أن جونسون أراد أن يوسع شبكته السرية مع الطبقة المثقفة وذلك لقيادة الحركة النضالية إلى جانب الثورة الجزائرية، ومن بين المثقفين الفرنسيين الذين يسعون لتحقيق نفس الهدف نجد فرانس فانون Frantz 1925 - 1960) (Fanonالذي تعرف عليه جونسون قبل إندلاع ثورة نوفمبر أي في سنة 1952، حيث قرأ كتابه القيم (سود الوجوه بيض الأقنعة (Peau Noir: Masque (Blanc وكتب له مقدمة كتشجيع لأفكاره الثورية وعند وفاة فانون كتب جونسون عن هذا اللقاء التاريخي قائلا: «في سنة 1952، كانت علاقتنا غير مستمرة (هو وأنا)، وفي اليوم الأول من لقائنا وجدت وثائقه المهمة، وقمت بتصحيح الأخطاء والتعليق على كل ما كتبه، مما جعله يشك في الإنتقادات، على الرغم من أنني وضحت له الطريق والمنهج وعبرت له بالمفردات التي أراها مناسبة لأفكاره»[2].

(1) François Maspero, **Le Droit à L'insoumission "Le dossier des 121"** (Paris: François Maspero, 1961) p. 85.

(2) Frantz Fanon, **Black Skin, White Masks.** Translated by Charles L Markmann (New York: Grove Press, 1967) p. 213.

وفي نهاية عام 1956 أي في العام الثاني من عمر الثورة الجزائرية قدم فانون إستقالته إلى الحاكم العام بالجزائر من منصبه كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، وألتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني الذي إلتزم بنضالها وتحقيق أهدافها روحا وجسدا وفعلا، ولد فانون 1925 في جزر المارتنيك (Martinique) كمواطن فرنسي من الدرجة الثانية والذي أصبح فيما بعد كجزائري بالإرادة والإختيار،[1] وأثناء الحرب العالمية الثانية إلتحق بالقوى الفرنسية الحرة (فرنسا الحرة) مثل معظم المثقفين الفرنسيين الذين انظموا مع هذه الحركة. وفعلا جرح فانون في أحد المعارك الحربية لتحرير فرنسا، وهناك اكتشف حقيقة بنيه المجتمع الأوروبي عامة والمجتمع الفرنسي خاصة حيث لاحظ بأن الرجل الأسود لا يعامل مثل الأبيض في الجيش الفرنسي وأدرك حقيقة وجوده كأسود اللون في المجتمع الأبيض الذي يطلق عليه نيقرو (Negro) درس العلوم الطبية في جامعة ليون (Lyon) وهناك أدرك واكتشف بأنه لا يمكن تحقيق ما يسمى بالمساواة بين الجنسين الأبيض والأسود فالصراع قائم بينهما «إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها» وكان مرضاه يلقبونه بعدة ألقاب من بينهم «لدينا دكتور نيقرو: فإن يديه مباركة». أما الطلبة كانوا يقولون عنه: «لدينا أستاذ فهو من أكبر العباقرة!» وفي ديسمبر 1953 جاء فانون إلى الجزائر[2] وبقي فيها لمدة سنتين حيث تعرف على أعضاء جبهة التحرير الوطني وقدم لهم مساعدات عديدة منها العلاج والدواء بخاصة. وفي 1957 أصبح مكلفا بالإعلام وطبيبا للمقاتلين الجزائريين في الحدود التونسية الجزائرية. فانون مات ولن ينعم بالحرية وبإستقلال الجزائر، حيث اكتشف بأنه يعاني من مرض لوكاميا (Leukaemia) وأرسل للعلاج من قبل جبهة التحرير الوطني إلى المستشفى العسكري بواشنطن الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي 6 ديسمبر 1961 توفي فانون عمره ستة وثلاثون سنة وفعلا فالجزائر لم تنس نضال المجاهد فانون أثناء الثورة التحريرية فقامت بإنشاء مؤسسات بإسمه. وكتب

---

(1) Alistide R. Zolberg "Frantz Fanon" **Encounter**, Vol. 27. November 1966, p. 56.
(2) Irenel Gendzier, **Frantz Fanon: A Critical Study**. (London: Wildwood House, 1973) p. 57.

في مقدمة كتابه القيم «معذبو الأرض» (Les Domnés de La Terre - 1961) مايلي: «في الجزائر المستقلة، تلقت الأوساط المناضلة هذه الرسالة مباشرة حيث كانت تعبر عن قيمهم وانشغالاتهم المقلقة... وتحول فانون شيئا فشيئا إلى رمز أعطى اسمه لشارع ولثانوية وللمستشفى القديم، ولا يقرأ له فعلا إلا القليل من الناس»[1].

وعندما إستقال فانون من مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، ذهب إلى تونس عن طريق باريس أين إلتقى مرة أخرى بفرانسيس جونسون. وفعلا أثناء دراسته لسوسيولوجية الثورة تحدث فانون عن معاملة الأطباء الفرنسيين للثوار الجزائريين قائلا:

«لقد رأينا أطباء عسكريين طلبوا سريرا لجندي جزائري جرح في المعركة حيث رفضوا معالجته، وكانت الحجة الرسمية أنه لم يكن هناك حظ كافي لإنقاذ حياة المجاهد، وبعد أن أستشهد هذا الأخير، سلم الطبيب هذا الحل يبدو له أجدر وأفضل من البقاء في السجن أين يمكن تقويته ريثما ينتظر إعدامه. إن مواطني منطقة البليدة يعرفون مدير المستشفى تمام المعرفة يرمي بمنزو في الحرب المجروحين بينما هم ممددين في رواقي إقامته»[2].

وفي تونس رحبت قيادة جبهة التحرير الوطني بشخصية فرانس فانون الذي كلف بمهمة الإعلام في «جريدة المجاهد» (El-Moudjahid 1957 - 1961) الناطقة الرسمية باسم الثورة الجزائرية حيث كان موقفه السياسي يتمثل في تحقيق الوحدة الإفريقية التي تستطيع العمل مع آسيا وأمريكا اللاتينية واستقلالها السياسي والثقافي والإقتصادي من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا المعنى أكدت سيمون دي بوفوار قائلة: كان (فانون) يحلم بالوحدة الإفريقية المتحررة من كل الإستغلال الأجنبي[3]. وبالإضافة إلى الإعلام كان فانون يقوم بمعالجة جيش التحرير الوطني في الحدود التونسية الجزائرية وكان يكلف أيضا بمهام أخرى تجاه المقاتلين الجزائريين في الحدود المغربية الجزائرية. وكتب فانون

---

(1) فرانس فانون: معذبو الأرض ترجمة السيدة منور تقديم ل شولي (الرغاية: رقم النشر 1990) ص: xx.

(2) **Frantz Fanon, A Dying Colonialisme. Translated by Haakon chevalier (New york: Grove press, 1967) p. 139.**

(3) **Simone de Beauvoir, Force of Circumstance p. 597.**

عن هذه الثورة قائلا: «إن الثورة في عمقها، وحقيقتها هي التي تحول الإنسان وتجدد المجتمع، فهي متطورة جدا. وهذا الأكسجين الذي يبدع وينظم الأفراد وتلك هي... الثورة الجزائرية[1]. فعلا أن فانون أدرك حقيقة الثورة الجزائرية لشملها لجميع الفئات والشرائح الإجتماعية، وخاصة كفاح ومشاركة المرأة الجزائرية التي برهنت بعملها الفعال في تحرير الجزائر، ويرى فانون بأن الإستعمار الفرنسي أدرك بأن: «إذا أردنا تحطيم بنية المجتمع الجزائري، وقدرته على المقاومة يجب علينا أولا أن نغزو النساء، ويجب علينا الذهاب إليهم ووجودهم وراء اللحاف أين يخفون أنفسهم وفي بيوتهم أين يمنعونهم الرجال من الخروج»[2]. لقد اقتنع فانون بأن مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية كان عملها يتمثل في حمل الحقائب المملوءة بالقنابل اليدوية والمختفئة تحت العباءة التقليدية ووضعها في الأماكن الإستراتيجية للجيش الفرنسي.

إلى جانب حركته الفعالة في الثورة الجزائرية من القيام بمعالجة جيش التحرير الوطني إلى الإعلام، كان فانون يؤيد كل الحركات الثورية الإفريقية وخاصة التي تساند الشعب الجزائري في تحقيق الإستقلال والحرية حيث كتب في جريدة «المجاهد» مؤكدا أن الثورة الفتية وحركتها السياسية هي تعبير عن إستقلال الحركات التحررية في العالم الثالث. وهذا الإستقلال سيعبر عن الثورة الإجتماعية والديموقراطية الشعبية. والجزائر أمة إسلامية تنتمي إلى دول المغرب العربي والتي هي شكل من نصف الهلال لمنطقة شمال إفريقيا، حيث كتبت جريدة «المجاهد» قائلة: إن المغرب العربي الكبير استغل لإحتياجات ولفائدة إستراتيجية الإستعمار، سوف يتغلب على هذه المحن ويتحد لكي يكون مغربا قويا قادرا على تطوير إمكانياته المادية لفائدة شعب شمال إفريقا[3]. إضافة إلى النشاطات السياسية والفعلية لفانون، فإنه كان يتمنى بأن دول شمال إفريقيا تتحد مع إفريقيا السوداء لكي تتغلب على الصعوبات وحماية إستقلالها الإقتصادي والثقافي من التبعية لأوروبا حيث يرى

(1) Frantz Fanon, A Dying Colonialism. p. 140.
(2) Ibid. p. 42.
(3) El-Moudjahid, décembre, 1957.

فانون بأن الثورة الجزائرية أثرت في شعوب إفريقيا السوداء، وبدأت هذه الشعوب تتحرك نحو التخلص من التبعية الإستعمارية. وكان فانون يتمنى تضاف القاعدة العسكرية الثامنة لجيش جبهة التحرير الوطني في الصحراء الكبرى لفك الحصار على الشمال الجزائري. وبعد 1958 قام فانون بزيارة لكل من مالي والنيجر لتهيئة الظروف ودراسة الأوضاع لإنشاء هذه القاعدة الإستراتيجية[1].

لقد التزم فانون بمشاركته الفعلية في الثورة التحريرية وعمل من أجل نجاحها كمثقف ثوري، حيث قالت عنه سيمون دي بوفوار: «من أجل الصداقة التي كانت بيننا، لقد شعرنا نحوه، وكذلك ماذا يستطيع أن يقدم لمستقبل الجزائر وإفريقيا... حقيقة أنه كان رجل فذ»[2].

نستنتج من خلال ما تقدم بأن العلاقة التي دعمت فيما بعد بين المثقفين جونسون وفانون من أجل الهدف الواحد والمشترك بينهما أثناء الثورة التحريرية وخاصة عندما قامت «شبكته السرية» بتنظيم الإتصال أو اللقاء السري الذي سهل لفانون الإنضمام إلى صفوف جبهة التحرير الوطني وذلك في جانفي 1957، وبذلك يكون جونسون وفانون قد قرارا الدفاع والنضال من أجل القضية العادلة للشعب الجزائري دون أن يأخذا بعين الإعتبار موقف الرأي العام الفرنسي عامة أو الإتجاه اليساري خاصة الذي كان موقفه سلبيا أي بين المد والجزر تجاه الثورة الجزائرية. وفعلا فقيادة جبهة التحرير الوطني رحبت بشخصية فرانس فانون وبمواقفه السياسية والثورية التي تساهم في تطوير فلسفة الثورة الجزائرية الفتية، إذ التزم بالدفاع عن الشرعية التاريخية للشعب الجزائري فكرا وروحا وعملا، حيث كلف بتمثيل الجزائر في عدة مناسبات دولية وفي مارس 1960 عين كممثل للحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA) في أكرا (غانا) إذ قالت عنه سيمون دي بوفوار مؤكدة: «فالحكومة الجزائرية المؤقتة أرسلته كسفيرا في أكرا، وقام بعدة رحلات عبر إفريقيا لكي يؤكد مساندة الجزائر لكل الذين قاموا بثورة ضد السيطرة الإستعمارية..»[3].

---

(1) Peter Geisman "Frantz Fanon: Evolution of a Revolutionary - A Biographical Sketch" **Monthly Review,** may 1969. p. 28.

(2) Simone de Beauvoir, **Force of Circumstance**. p. 611.

(3) Simon de Beauvoir, **Force of Circumstance**. pp. 607 - 8.

وبمعنى آخر أن تأييد فانون للثورة الجزائرية والوقوف بجانبها هو كسب مئات المثقفين إلى جانب القضية العادلة. وعندما كتب سارتر تمهيدا لكتاب فانون «معذبو الأرض» وضح بأن فانون أكد تضامنه الكامل مع الشعب الجزائري - كفرد فرنسي».[1] وعند تشييع جنازة فانون صرح ممثل عن الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد كريم بلقاسم قائلا: «فرانس فانون! مثالك يبقى دائما حيا نم واسترح في سلام فالجزائر لن تنساك أبدا».[2] وفعلا فالجزائر في عهد الإستقلال لم تنسى فانون بل شيدت مؤسسات باسمه وكتبت عنه عدة كتب وبحوث أكاديمية في الجامعات الجزائرية.

إذن فموقف كل من جونسون وفانون كان لصالح الثورة الجزائرية لا بالعاطفة أو بالتدعيم المعنوي أو بالكتابة فقط بل بالعمل الميداني الفعلي الذي كان ضد وطنهم الأصلي. (ولا يمكن إنكاره أو تجاهله إذ يجب الإعتراف بهذا النضال والتضحية في سبيل الجزائر) لأن هناك مثقفين فرنسيين يؤمنون بإيديولوجية ما يسمى بدكتاتورية البروليتاريا، كما أنهم كانو ينادون بدعم الحركات التحررية من الإستعمار التي كانت تخدم المنظمات السرية أثناء الحربين العالمية الأولى والثانية، وتدافع عن الحرية الفردية مثل الأديب أندري مارلو (الصديق الحميم لشارل ديغول) الذي عبر عن أفكاره الأدبية وتجربته من الحرب العالمية الأولى في كتابه: (La Condition Humaine - 1933) والذي سجن فيما بعد وعانى من المعاملة الوحشية كأي سجين أثناء الحرب العالمية الثانية من قبل الألمان[3] وأصبح وزيرا للثقافة في حكومة الجنرال شارل ديغول (1958 - 1962) وهنا تنازل عن أفكاره ومواقفه والتي كانت تنادي بالحرية الإنسانية، وأصبح مارلو مثل كل السياسيين حيث رفض رفضا قاطعا الإعلان والتصريح بأن الحكومة الفرنسية أمرت السلطة العسكرية في الجزائر بتطبيق أوامرها المتمثلة في التعذيب والإستنطاق للشعب الجزائري[4]، وعندما طلب منه في سنة 1958 بأن يشارك

(1) Ibid. p. 611.
(2) Belkacem Krim, "Frantz Fanon!" **El-Moudjahid**, N 88, 21 decembre 1961.
(3) Jean - lacouture, **André Malraux**. Translated by Alan Sheridan. (London: André Deutsh, 1975) p. 407.
(4) Ibid, p. 401.

ضمن مجموعة من المثقفين الفرنسيين الذين نددوا بالإستعمار ومختلف أشكاله قال مارلو: «وفي هذه الفترة أنت تعلم «تعرف» نحن لسنا مستعمرين، نحن نوحد وندمج، نحن نحتفظ بالوضع مهما كان ممددا لأيدينا، نحن في الحرب لأنه لا يوجد شيء أخذ بجديه كاملة مسبقا... وأيضا لنقصنا ولإفتقارنا لإيديولوجية معينة، فالنترك الأشياء تأخذ مجراها الطبيعي، ولو إلى حد نقطة التعذيب[1]. ومن خلال ما تقدم يبدو لي بأن أحد الضباط الفرنسيين كان صادقا عندما صرح وقال: «لا نثق ثقة كاملة في المثقفين الفرنسيين، فهم يستسلمون بسهولة»[2].

ومن بين المثقفين الفرنسيين الذين تراجعوا عن مواقفهم الفكرية نجد أيضا ألبير كامو الذي ولد بالجزائر وعاش تحت ضل الإستعمار وانخرط في الحزب الشيوعي الجزائري قبل ثورة نوفمبر 1954، وأنتقد بشدة الإدارة الفرنسية إتجاه الفقر المدقع في منطقة القبائل وذلك سنة 1939، وعرف أيضا بمقالاته الفلسفية والسياسية التي كانت تنشر في مجلة (Combat) السرية أثناء الحرب العالمية الثانية، كما أصبح أيضا معروفا ضمن المفكرين اليساريين الفرنسيين، إلا أنه تراجع عن مبادئه ومواقفه التي كان ينادي بها قبل الثورة الجزائرية على الرغم من أنه منح جائزة نوبل للآداب سنة 1957، وكان يلقب «بالرجل العادل» وفاءا لمبادئه وأحكامه العقلية وفي ندوة صحفية بستوكهولم فوجئ الجميع عندما صرح وقال: أؤمن بالعدالة، لكن سأدافع على أمي قبل العدالة...»[3] إذن أوافق سيمون دي بوفوار عندما قالت: «الرجل العادل من دون عدالة»، لأن كتاباته ونشاطاته السياسية كانت تساند وتدعم الوجود الفرنسي في الجزائر، وذلك باستعمال جميع الحيل والطرق لكي تبقى «الجزائر فرنسية» (L'Algérie Française) عملا بنظرية مكيافلي (Niccolo Machiavelli 1527 - 1469) المفكر السياسي الإيطالي «الغاية تبرر الوسيلة» أي بمعنى أولوية الإستعمار هي كبديل للأولوية الأخلاق والدين

(1) Ibid. p. 390.
(2) Jules Roy, La Geurre d'Algérie (Paris: Julliard, 1960) p. 87.
(3) Albert Camus, ESSAIS, (Paris: N.R.F, Gallimad, 1965) p. 1882.

والحرية والإستقلال وعلى الرغم من أن ماكيافلي مفكرا واقعيا يتحاشى كل خيال وكل مثالية في فلسفته إلا أنه وطني وقومي يحلم دائما بوحدة الشعوب ويهتم بتاريخها العريق وينطلق من واقعي العنف إذ يعتبره شيئا إيجابيا في ميداني الإستغلال والإضطهاد، والتاريخ هو الذي يبين بأن العنف الإيجابي تتولد عنه الدولة ومكتسباتها.

أما المثقف اليساري الرابع الذي نحاول دراسة أفكاره الفلسفية ومواقفه السياسية تجاه الثورة الجزائرية فهو جان بول سارتر الذي كانت له علاقة صداقة وعمل مع المثقفين الذين تطرقنا إلى مبادئهم ومواقفهم نحو «القضية الجزائرية».

وفعلا إن سارتر يختلف في فلسفته عن جميع المثقفين الفرنسيين تجاه الثورة التحريرية لأنه إلتزم بما كان ينادي به قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها حيث كان ينادي «بفكرة الحرية» وتحقيقها في الواقع الإجتماعي وهذا الإلتزام والنداء جعله يهتم بتحقيق مقولته أي «حرية» هي «حرية الآخرين» في نهاية الخمسينيات وفي بداية الستينيات. وعلى هذا الأساس رأينا من الأجدر أن نطرح الأسئلة التالية قبل أن نحلل أفكاره ونشاطاته السياسية تجاه الثورة الجزائرية. إذن كيف بدأ سارتر يهتم بتطور الثورة الجزائرية؟ وكيف كان رد فعله في البداية؟ وهل الثورة الجزائرية قامت لتحرير الإنسانية؟ وهل سارتر يدعو حقا إلى تحرير الإنسانية أم إلى إلتزامه بتحقيق «فكرة الحرية»؟ كل هذه الأسئلة سنحاول قدر الإمكان الإجابة عنها في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

إن جان بول سارتر الأديب والفيلسوف الذي يمثل الفلسفة الوجودية المعاصرة هو في الحقيقة عند إندلاع الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954، كان مهتما بالنشاطات العلمية والثقافة في فرنسا وخارجها، حيث حضر عدة مؤتمرات وملتقيات وندوات في كل من بلجيكا وموسكو وبرلين وبكين صحبة سيمون دي بوفوار. وفي جوان 1955 حضر مؤتمر «حركة الإسلام» في هلسنكي مع سيمون دي بوفوار حيث ناد في تدخله في هذا المؤتمر بنوع جديد من السلام الذي يعني أوروبا المستعمرة فقط بل يمتد ليشمل كل العالم بما فيه العالم المستعمر خاصة. وهناك قابل الوفد الجزائري الذي شارك في «حركة السلام العالمية» حيث

ناقش معهم الوضعية المأسوية في الجزائر والعوامل الأساسية التي أدت إلى قيام الثورة وأكدت سيمون دي بوفوار قائلة: «نعم... لقد إلتقينا ببعض الجزائريين الذين شرحوا لنا الوضعية في الجزائر.[1] يبدوا أن سارتر تجاهل بطريقة أو بأخرى عوامل إنفجار الثورة الجزائرية مثل أغلبية المثقفين الفرنسيين لأنه كان مهتما بكتابة روايته (Nekrassov) المكونة من ثماني حلقات والتي نشرت فيما بعد في مجلة «الأزمنة الحديثة»، وكذلك كان مشغولا بتدعيم علاقته السياسية مع المعسكر الإشتراكي. وتدريجيا لاحظ سارتر بأن فرنسا تواجه وضعية جديدة في الجزائر وأدرك حقيقة هذه الثورة الفتية في 27 جانفي 1956 عندما نادى أندري ماندوز (André Mandouze)[2] أستاذ الأدب في جامعة الجزائر، بجمعية عامة «للجنة والعمل» (Comite d'Action) بباريس وقال لهم: «كنت في عاصمة الجزائر هذا الصباح... أبلغكم تحية الثورة الجزائرية»[3] علما بأن الحاضرين في القاعة وأقرم (Salle Wagram) قدموا إحتجاجهم وقالوا: «من أجل إحترام حقوق الشعب يجب أن يحكم نفسه بنفسه... من أجل الحل السلمي لمشكلة الجزائر إلخ...»[4]

ومن هذه الجمعية العامة للمثقفين بدأ سارتر يفكر في تحديد موقفه من الثورة الجزائرية، حيث كان يراها في البداية على أنها «مشكلة إقتصادية» ويجب توفير الخبز لتسعة ملايين نسمة، وتقييمه للوضع يرد في العبارة التالية: الشيء الوحيد الذي يمكننا ويجب علينا محاولته - هو اليوم الأهم - من أجل النضال بجانبه لكي ننقذ كلا من الجزائريين والفرنسيين من طغيان الإستعمار[5].

---

(1) Simone de Beauvoir, **Adieux: A Farewell to Sartre**. Translated by Patrick o'brian. (London: André deutsh, 1984) p. 366.

(2) أندري ماندوز كان من المقربين لقيادة جبهة التحرير الوطني أمثال عبان رمضان ويوسف بن خدة، وقد حاول أن يخلق جسر وساطة بينهم وبين الحكومة الفرنسية. أنظر كتابه La Révolution Algérienne Par Les Textes (Paris: François Maspéro. 1961).

(3) Annie Cohen - Solal, **Sartre: Alife**. Translated by the, author herself (London: Heinemann, 1987) p. 368.

(4) Ibid, p. 368.

(5) Sartre, "Le Colonialisme est un Systéme" Les Temps Modernes, N 123. 1956. p. 1368.

وعندما بدأ معظم المفكرين الفرنسيين يكتبون عن الثورة الجزائرية ويبينون نتائجها وأبعادها السياسية وطرق التعذيب التي تمارسها الوحشية والهمجية العسكرية الفرنسية على الجزائريين في المحتشدات المملوءة بالمواطنين الأبرياء، كتب سارتر مقاله الأول في مجلة «الأزمنة الحديثة» (1956) بعنوان «الإستعمار هو النظام» (Le colonialisme est un Systéme) ونادى بالإعتراف بالجزائر كدولة والدخول في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي للشعب الجزائري. وفعلا لقد حقق سارتر في صلب الموضوع أو المشكلة وأدرك بأن البعد السياسي والإقتصادي كان مخططا من قبل الإدارة الفرنسية إذ يحلل ويقول:

نحن فرنسي المتربول، الدرس الوحيد الذي نستنتجه من المعطيات السابقة إن الإستعمار في حالة تحطيم نفسه بنفسه... ودورنا هو مساعدة الإستعمار لكي ينتحر ليس فقط في الجزائر ولكن أينما كان أن أولئك الذين يفكرون في التخلي هم أغبياء لا يمكن التخلي عن شيء لا نملكه أصلا. بل بالعكس يجب إنشاء علاقات جديدة مع الجزائريين بين فرنسا حرة وجزائر متحررة[1].

وتدريجيا لاحظ سارتر بأن المشكلة ليست إقتصادية أو سياسية فقط بل تطورت وأصبحت إستغلالية ووحشية حيث طبق الجيش الفرنسي طرق وأساليب التعذيب على الشعب الجزائري وعلى الرغم من أن التعذيب محرما في الأديان السماوية وممنوعا في جميع القوانين الوضعية. ويذهب معظم المفكرين في تعريفاتهم بأن التعذيب هو الفعل الذي يسبب للإنسان الشعور بالألم القاسي والذي يقوم بالعمل الوحشي اللاإنساني كعقوبة إلخ... والتعذيب عند سارتر أثناء الثورة التحريرية للجزائر: ليس التعذيب مدنيا أو عسكريا ولا فرنسيا على وجه التخصيص أنه وباء يكتسح العصر كله... ولكنه يطبق بانتظام خلف ستار المشروعية الديمقراطية، يمكن تعريفه بأنه مؤسسة نصف سرية، فهل أسبابه واحدة في كل مكان؟[2]

---

(1) Ibid. p. 1371.

(2) سارتر، عارنا... في الجزائر، ترجمة عايدة وسهير إدريس (بيروت: دار الأدب، 1975) ص، 56، 57.

وفعلا في مقدمة كتابه الاستجواب (La question - 1958) لهنري آلاق (Henri Alleg) كتب سارتر عن التعذيب بعنوان (Une Victoire) (الإنتصار)، حيث أدرك بأن الضحية التي تقاوم طرق التعذيب بنجاح مثل هنري آلاق – اليهودي الاصل والعضو في الحزب الشيوعي الجزائري ومحرر جريدة (Alger - Republicain - 1950 - 1955) والذي ألقي عليه القبض من قبل جلادي الجنرال – جاك ماسو (Jacques Massu) في جوان 1957 – ويجب على الضحية التي تقاوم بشدة أن تبين إرادتها وشجاعتها فوق ذلك الذي يسمى «بالإنسانية»، أي بمعنى آخر ينبه المعذبين ويشجعهم لمقاومة أساليب التعذيب والإستنطاق المفروضة عليهم من قبل الإستعمار الفرنسي الذي كان يعذب من قبل قاسطابو (Gestapo) الألمان أثناء الحرب العالمية الثانية حيث يؤكد سارتر ويقول: أما في التعذيب، هذه المباراة الغريبة فإنما يقيس الجلاد نفسه بالضحية من أجل صفة الإنسان، وكل شيء يحدث كما لو أنهما لا ينتميان معا إلى الجنس البشري... يجب على خيانتهما أن تحطمها وتخلص المجتمع منها إلى الأبد وأن من يستسلم للإستجواب لم يكن يراد فقط قسره على الكلام وإنما هو قد دفع إلى الأبد بصفة كونه: أقل من إنسان[1].

يبدو لي أن سارتر تجاهل تعذيب الجزائريين الذين قاوموا مختلف أساليب وطرق التعذيب وعانوا من كثرة التشريد منذ نوفمبر 1954. وتدريجيا أصبح سارتر مثل أغلبية المثقفين الأجانب، يعي ويدرك حقيقة التعذيب في الجزائر، وهذا عندما قامت (Gestapo) الجنرال ماسو بتعذيب هنري ألاق. وهنا يمكن القول بأن سارتر لم يتفهم ولم يسمع عن وضعية التعذيب في الجزائر أو يعلن عنها مثل بقية المثقفين الفرنسيين، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نوجه إنتقاداتنا لموقف سارتر نحو تجاهله لطرق التعذيب المفروضة على الجزائريين لأنه لم يشاهد الضحايا، لكن كمثقف يجب أن يلتزم ويقبل هذه «المسؤولية الإجتماعية التاريخية» التي جعلته يوضح قائلا:

(1) المرجع السابق، ص. ص: 60 - 61.

«... إنهم يعتقلون هنا، وهناك بالمصادفة كل مسلم «قابل للإستجواب» طوعا: إلا إذا قدموا شهاده كاذبة أو أتهموا أنفسهم مجانا بجريمة ما تخلصا من العذاب. أما أولئك الذين يستطيعون أن يتكلموا، فمن المعلوم أنهم يصمتون، كلهم أو جلهم، فلا (أودين)[1] ولا (أليغ)[2] ولا (غاروج) قد فتحوا أفواههم. ولا شك أن جلادي (الأبيار) أوسع معرفة هنا في هذا الصدد»[3].

فعلا أن أبشع أنواع طرق التعذيب التي فرضت على الجزائريين المسلمين أثناء الثورة التحريرية، أصبحت كملحمة تاريخية مر بها الشعب الجزائري (ومن المفروض أن يكون هناك إنتقام عاجلا أو آجلا) لأن الحكومة الفرنسية كانت تعلم علم اليقين بهذه الطرق الإنسانية والبشعة والقذرة، ولا يمكن للإنسان العادي أو الضعيف أن يستوعبها أو يسمع عنها حيث تدعي هذه السلطة السياسية بأنها منفصلة تماما عن القوات العسكرية، ولهذا فهي ليست مسؤولة عن هذه الجرائم البشرية وعلى الرغم من أن الأدلة التي قدمها أحد الضباط العسكريين قودارد (Godard) عند محاكمته في المحكمة العسكرية بتهمة التمرد والعصيان على سيادة الدولة والإنضمام إلى المنظمة العسكرية السرية (OAS) حيث اعترف محاميه وقال: أصرح بشرفي أن قودارد، مثل المئات الآخرين من الضباط، يتلقى أوامر من السلطات العليا الفرنسية للتعذيب لكي يتحصل على المعلومات وأنا لا أعرف ماهي المصالح العليا في السلطة التي تعطي الأوامر في هذا الشأن. ولا نستطيع أن نجد لها أثرا[4].

لقد اهتم سارتر بتطور الثورة الجزائرية لأنه يرى بأن المثقف الواعي يجب أن يقبل «المسؤولية الإجتماعية» لا كممثل عامة المواطنين فقط بل كفرد له مميزات خاصة وفرصة ثمينة، وعبقرية فذة قد تجعله يؤثر على عامة الناس. والمثقف يجب

(1) موريس أودين (Maurice Audine) أستاذ بجامعة الجزائر وعضو في الحزب الشيوعي الجزائري، ألقي عليه القبض قبل هنري ألاق وعذب بأبشع أنواع طرق التعذيب.

(2) السيدة جاكلين غاروج (Jacqueline Guerroudj) كانت طالبة سيمون دي بوفوار، وهي الطالبة الممتازة التي جاءت إلى الجزائر كمعلمة وتزوجت مع أحد أعضاء جبهة التحرير الوطني، وتعذبت مثل الجزائريين.

(3) المرجع السابق ص 58.

(4) J.M. Théolleyre, Ces Procès qui Ebranlèrent la France. (Paris: Bernard Grasset, 1966) p. 338.

عليه أيضا أن يلتزم بمبادئه ومواقفه لكي يدافع عن الإنسان كمفهوم إجتماعي. وهذا المفهوم الذي يكون فيه الوجوديون متفقون باهتمام. يمكن القول بأن هذا هو الذي جعل سارتر يهتم ويلتزم شخصيا بالثورة الجزائرية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات حيث صدق عندما قال: «يختار الإنسان موقفا وأن يظل مخلصا لهذا الموقف الذي يختاره... وهذا ما أفعله دائما».

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن سارتر إلتزم بمبادئه ومواقفه التي أعلن عنها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها في مؤلفاته الأدبية والفلسفية والسياسية عامة وأثناء الثورة الجزائرية خاصة والتي قامت ضد الظلم والطغيان والعبودية.

نستنتج من خلال ما تقدم أي من المواقف الأساسية للمفكرين الفرنسيين تجاه الثورة الجزائرية الفتية بأن ألبير كامو كان يؤيد وجود «الأقدام السوداء» والمعمرين في الجزائر، وسياسة «الجزائر الفرنسية» ويتأسف عن ضعف السلطة الفرنسية أمام الحركة الثورية للشعب الجزائري ويؤيد أي فكرة أو قرار سياسي يحمي الوجود الفرنسي في الجزائر ويحافظ على إستمراريته بينما فرانسيس جونسون وفرانس فانون لم يؤيدا الثورة فقط بل شاركوا مشاركة فعلية إلى جانب نضال الشعب الجزائري من أجل الحرية والإستقلال. أما سارتر لقد اهتم في البداية بكتاباته السياسية والتنديد بالأعمال الوحشية ضد الشعب الجزائري وسوف نرى كيف تطور موقفه تجاه الثورة التحريرية في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

فلسفة التعذيب تؤدي حتمًا
إلى الإعتراف بالمواطنة والقيام
بالثورة الفلسفية لتغيير فلسفة الآخر

الفصل الثالث

أعمال السلطة العسكرية الفرنسية في الجزائر وموقف النخبة الفرنسية المثقفة من التعذيب

1 - جرائم القوات الفرنسية المسلحة في الجزائر.
2 - موقف النخبة الفرنسية المثقفة من أساليب التعذيب في الجزائر.

أعمال السلطة العسكرية الفرنسية في الجزائر
وموقف النخبة الفرنسية المثقفة من التعذيب

سأحاول في هذا الفصل الحديث عن وحشية الجيش الفرنسي في الجزائر، وكيف شنت فرنسا حربها على مستعمرتها الجزائر. وذلك من خلال نقل قواتها العسكرية من أوروبا إلى الجزائر قصد إخماد نار الثورة الجزائرية التي تطالب بالحرية والإستقلال للشعب الجزائري؛ وهذه القوات العسكرية الفرنسية لم تكتف بمواجهة أفراد جيش التحرير الوطني بقوة السلاح فقط بل قامت بتقتيل الشعب الأعزل دون تمييز ولم تستثن حتى الأطفال والنساء والشيوخ إلخ... إلى جانب ذلك فالقتل الجماعي والتعذيب والتشريد أصبحت أعمال جد عادية للجندي الفرنسي ومجرد «**متعة وتسلية**». وهذا ما سنحاول مناقشته في المبحثين، والمبحث الثاني سأتناول فيه تطور كتابات سارتر السياسية حول أساليب التعذيب في الجزائر والتي سأدعمها بشهادات حية لشهود عيان في شهادة هنري ألاق (Henri Alleg) والملازم بيار ليوليات (Sergeant Pierre Leulliette) وجميلة بوباشة وآخرون.

1 - جرائم القوات الفرنسية المسلحة في الجزائر:

بالإضافة إلى «الأقدام السوداء» والجزائريين توجد كتلة سياسية ثالثة في الجزائر؛ وهي السلطة العسكرية الفرنسية التي أضافت على البلد نار الحرب: إذ كان عدد الجيش الفرنسي يفوق أحيانا عدد السكان الأصليون في المدن والقرى الجزائرية، وكان الجيش الفرنسي بالإضافة إلى الشرطة العسكرية والجندارم ممثل «في فرقة المظليين الأجانب» (Régiment Etranger Parachutistes - REP) و«فرقة المظليين الإستعماري» (Régiment Pairachutistes Colonial - RPC) و«فرقة الصيادين المظليين» (Régiment de Chasseurs Parachutistes-RCP) إلخ... إذ بلغ عدد الجيش الفرنسي في الخمسينيات أكثر من 500.000 جندي يحاربون من أجل «الجزائر الفرنسية» ومن أجل المحافظة على فرنسا العظمى من دانكارك إلى تمنراست. وعلى هذا الأساس نجد في كل قرية ودوار ومشتة عدد العساكر

الفرنسيين يفوقوا عدد المدنيين وخاصة عند العمليات العسكرية وهو الشيء الذي يدفع كل من الجزائريين «والأقدام السوداء» إلى المكوث والبقاء بمنازلهم خشية من الموت. وفعلا أن الجزائري أصبح يخشى ويهرب من وجه الجيش الفرنسي الذي يمارس القتل الجماعي دون تمييز كما أن المعمرين و«الأقدام السوداء» يخشون بدورهم إنتقام جيش التحرير الوطني. هكذا كان حال المدنيين في الجزائر المعذبة.

على الرغم من أن ڤيمولي (Guy Mollet) الأمين العام للحزب الإشتراكي نجح في الإنتخابات وأصبح رئيسا في فيفري 1956 ونال ثقة البرلمان إلا أنه عانى من إنتقادات الحزب نفسه وشكلوا معارضة قوية ضده وذلك خلال مؤتمرهم المنعقد بمدينة ليل الفرنسية حيث طالب أعضاء الحزب بتوقيف إطلاق النار والدخول في المفاوضات بالجزائر.[1] والشيء الملفت للإنتباه بعد تولي مولي منصبه هو تعينه الأخير لروبير لاكوست (Robert Lacoste) كحاكم عام للجزائر والذي كان يلائمه هذا المنصب في إعتقاد الفرنسيين. لاكوست شارك في «المقاومة الفرنسية» أثناء الحرب العالمية الثانية وأسر أبوه ورمي بالرصاص من قبل النازية. وكان لاكوست يشتغل في الأعمال الإقتصادية والصناعية في الحكومة السابقة، كانت عبارته المفضلة والمشهورة «لا أدع أحدا يزعجني» (Je ne me laisse pas emmerder) كما قال فيما بعد للصحافي الأمريكي إدوارد بهر (Edward Behr) «أطلب منكم شيئا واحدا أيها الصحافيون الأجانب، هو كف إزعاجكم لي»[2].

حقيقة لم يستطيع إطلاقا جاك سوستال أو روبير لاكوست إيقاف الحرب المتوحشة كما وصفها فرحات عباس فيما بعد: «لقد بقيت سماء الجزائر مفعمة بالرعود التي لم يفلح سوستال ولا لاكوست من تفكيك الموقف وتقريب المجموعتين إلى بعضهما، وذلك من خلال لعب دور النخبة ضد التحررين الفرنسيين وضد جبهة التحرير الوطني، لقد إستبعد ممثلوا السلطة ساعة الوفاق والسلام»[3].

---

(1) Le Monde, 18 Mai 1956. p. 4.

(2) Edward Behr, The Algerian Problem, p. 101.

(3) Ferhat Abbas, Autopsie d'une Guerre, (Paris: Garnier Fréres, 1980) p. 223.

حقيقة أن الحكومة الفرنسية أهملت ونسيت كل المفاوضات التي تؤدي إلى وقف القتال التي وعد بها مانديس فرانس قبل إنتخابات المجلس الوطني سنة 1956 مما زاد في وحشية الحرب حيث قال مانديس فرانس:

«إن المهمة الأساسية للحكومة المشكلة بعد الإنتخابات سنقوم بإعادة الأمن والإستقرار والسلام في شمال إفريقيا. إن ما يجب القيام به قبل كل شيء هو إيقاف «الكذب»، وعدم الوقوع في الأخطاء القديمة التي وقعنا فيها في كل من الهند الصينية والمغرب وتونس. أجل يجب حماية سكان الجزائر، كما يجب إيقاف هذا القمع الأعمى والوحشي»[1].

إن الهدف الأساسي والأول للوزير الإشتراكي ڤيومولي هو القضاء على الثورة الجزائرية التي تطالب بحرية وإستقلال الشعب الجزائري أكثر من سابقيه وتأسيس عدة نشاطات غير التي لا يمكن تغييرها قبل مجيء الجنرال ديغول إلى الحكم، وفعلا في عهد الوزير الإشتراكي الذي من المفروض أن يطالب بالعدالة الإجتماعية ومحاربة الإستغلال والوقوف ضد البورجوازية المتوحشة كما يقول مذهبهم الإشتراكي لكن هذه المبادئ وضعت جانبا، ورفع عدد الجيش الفرنسي حتى تجاوز عدد الجنود المحاربين نصف مليون في عهد الإشتراكيين، بالإضافة إلى 150.000 جندي آخرين ينتظرون بالمغرب و20.000 في تونس. (هل هذا التطبيق هو ما يسمى عندهم الإشتراكية أم المحافظة على السلم والأمن والإستقرار في الجزائر! لا بل لقتل شعب وإحياء شعب آخر. !!!) لقد إستعمل الجيش الفرنسي المجندين إلزاميا في حربهم ضد الشعب الجزائري وهو الشيء الذي لم يستعمل أو يستخدم في الهند الصينية، وهذا يعود إلى الأمل الذي تعلقت به فرنسا والمتمثل في حتمية الإنتصار في حرب الجزائر التي لا يجب أن تخسرها وذلك إعتمادا على العدد الهائل من الرجال والأسلحة المتطورة عندها والتي يملكها الحلف الأطلسي، وأيضا بسبب المعارك الحربية التي إنتصر فيها الجيش الفرنسي بقتله العزل دون تمييز وحرقه للقرى والمداشر وتشريد الأهالي والقتل من

(1) Cited in A. Werth, The Strange History of Mondés France. (London: Barrie, 1957) p. 395.

أجل «المتعة والتسلية» وقد وصفها شاهد عيان بيارليوليات قائلا: «لقد كان العربي (الجزائري) يرمى بالرصاص من أجل «المتعة والتسلية» أما الأسير فكان يقتل بوحشية، والقرى أحرقت، والإعدامات الجماعية إلخ...»[1]

إلى جانب القوات الفرنسية المتواجدة في الجزائر التي تدعمها قوات الحلف الأطلسي وقد ذكرناها آنفا، قام الحاكم العام للجزائر لاكوست بتدعيم سياسته وتنسيقه مع الجنرال جاك ماسو (Jacques Massu) وذلك بخلق عدة منظمات سرية قصد القضاء على الثورة التحريرية. الجنرال ماسو اشتغل كقائد للفرقة العاشرة والذي أصبح القائد العام للشرطة بالجزائر العاصمة، وله خبرة عسكرية في إفريقيا الغربية والقوات الفرنسية الحرة، وأخيرا في الهند الصينية وقناة السويس بمصر. وترقى إلى رتبة جنرال وعمره 47 سنة. ماسو السفاح الذي بقي محافظا ومن حراس الأميريالي لنابليون، وعندما قامت جبهة التحرير الوطني بإضراب لمدة ثمانية أيام أي من 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957 استعمل الجنرال ماسو كل وسائله الحديثة للقضاء على هذا الإضراب، بالتهديد والتعذيب وفرض العمل الإجباري على المضربين وتدمير المحلات التجارية وعودة أطفال الجزائريين إلى المدارس بالقوة. وعند إنتهاء الإضراب صرحت فرنسا بأن الإضراب فشل نظرا لعدم نجاح مطالبة السياسة وقمع الجيش الفرنسي المضربين وأرغمهم على العمل.

أما بالنسبة للجزائريين فهذا الإضراب التاريخي يعتبر خطوة أساسية لتبليغ الرأي العام العالمي بقضيتهم العادلة ورفضهم للنظام الإستعماري في بلادهم، والمطالبة بالإستقلال والحرية للشعب الجزائري. ونتيجة ذلك قام الإستعمار الفرنسي بتركيز سياسته الإستعمارية وقواته المتوحشة في الجزائر العاصمة قصد القضاء على حركة جبهة التحرير الوطني مما دفع أعضاء الحركة التحريرية لتغيير أسمائهم وهروبهم إلى تونس وتقليل العمليات الفدائية في العاصمة فيما بعد، هذا ما بين أكتوبر 1957 إلى فيفري 1961 وأصبح ماسو بطلا متميزا في رأيي المعمرين و«الأقدام السوداء»[2].

(1) Jean - Jacques Servan - Schreiber, **Lieutenant in Algeria**, Translated by Ronald Mathews, (New york: Knopf, 1957) p. 30.

(2) **L'Echo d'Alger**, 2 Janvier 1957, p. 3.

عندما اكتشفت السلطات الفرنسية بأن الأسلحة والذخائر المدعمة للثورة الجزائرية تمر عبر تونس والمغرب وعدد المجاهدين في تزايد مستمر قامت الحكومة الفرنسية ببناء الأسلاك الشائكة المكهربة والتي تفوق قوتها خمسة آلاف فولت في الحدود التونسية الجزائرية التي تسمى «بخط موريس» نسبة إلى الجنرال شارل موريس (General Challe Mourice) الذي قام بتدبير وتخطيط هذه العملية "الجهنمية". وفي سبتمبر 1957 دشنت القوات العسكرية الفرنسية خط موريس الذي يمتد من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا ويعتبر أحدث ما توصلت إليه التكنولوجية العسكرية. بالإضافة إلى هذا العمل المكهرب واللاإنساني قامت الحكومة الفرنسية بإنشاء قاعدة عسكرية في الحدود التونسية الجزائرية التي بلغ عددها أكثر من 85.000 جندي فرنسي وهي أكبر قاعدة عسكرية أثناء الثورة الجزائرية.

حقيقة إن السلطات الفرنسية لم تقتنع بخط موريس على الحدود الجزائرية التونسية، حيث قامت بوضع خط مكهرب في الحدود الجزائرية المغربية مشابه للخط الجهنمي الأول. وفعلا في بداية عام 1958 إنتهت الحكومة الفرنسية من بناء الأسلاك الشائكة المكهربة في الحدود المغربية الجزائرية مدعما بأحدث الأجهزة المتطورة مثل الأول. ونتيجة لوضع خط موريس فقدت الثورة الجزائرية أكثر من 6000 مجاهد في مدة سبعة أشهر في الحدود التونسية الجزائرية خاصة وهذا في سنة 1958. وتجدر الإشارة هنا إلى أن القوات العسكرية الفرنسية كانت مدعمة بأحدث ما توصلت إليها التكنولوجيا العسكرية المتطورة، وعلى هذا الأساس فعملياتها الحربية كانت ناجحة، لأنها قسمت الجزائر إلى عدة مناطق وكل منطقة مقسمة إلى عدة أجزاء يقوم بحراستها مضليون وفيلق عسكري لتسهيل العمليات الحربية وتحديدها في منطقة معينة مثل ماقامت به ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية في الإتحاد السوفياتي.

وهكذا تقوم القوات الفرنسية بعدة عمليات إجرامية من القتل غير المميز وتشريد الأهالي وحرق القرى والمداشر والغابات في المناطق الجبلية إلخ... بمساعدة وتدعيم من قوات الحلف الأطلسي قصد القضاء على جيش التحرير الوطني وإخماد مشعل الثورة ولكي لا يكرروا معركة «ديا بيان فو»، وهي في

الحقيقة عملية إنتحارية لا للجيش الفرنسي فقط بل لجميع مساندي الأمبريالية. بالإضافة إلى ذلك هناك عدد ضخم من الثكنات العسكرية وحضائر وخيم مملوءة بالقوات المسلحة ومحاطة بالأسلاك الشائكة المكهربة في كل مكان مطوقة بالأسلحة الثقيلة والدبابات ومراقبة جويا وبحريا.

عندما خسر جيش التحرير الوطني عدة معارك حربية وفقد أعز رجاله البواسل في تحديهم لخرق الأسلاك المكهربة «لخط موريس»، قررت قيادة الجبهة بيناء قاعدة عسكرية بساقية سيدي يوسف بالحدود التونسية الجزائرية لتدعيم الثورة في الجزائر وشن هجوماتهم العسكرية المتمثلة في الكر والفر على المؤسسات العسكرية الفرنسية داخل الجزائر. وفعلا لقد قاموا بعدة عمليات ناجحة وأسقطوا عدة طائرات وخاصة الطائرات الإستطلاعية أي طائرات «الكشافة» وهاجموا عدة ثكنات عسكرية مما جعل القوات العسكرية الفرنسية تعترف بهذه العمليات المتتالية وتغيير إستراتجيتها تجاه الثورة الجزائرية وتطالب من الدول الغربية مساعدتها سياسيا وعسكريا، وما بين 1957 و1958 طارت ولاحقت القوات الفرنسية مجاهدي الثورة التحريرية عدة مرات داخل التراب التونسي وأدت هذه العمليات إلى خسائر معتبرة في الأرواح.

ونتيجة لذلك حذر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الجيش الفرنسي من مطاردة جيش التحرير الوطني داخل بلاده وأن تبقى المعارك الحربية خارج وطنه، بينما الحكومة الفرنسية حذرت من جانبها أيضا الحكومة التونسية عدة مرات أن تبقى على الحياد وأن تكف عن مساندتها للثورة الجزائرية[1]. والسؤال المطروح هنا والذي يخطر ببالنا هل فرنسا حقيقة قامت بعملية الإنتقام؟

إن أهم ما يتميز به الإستعمار الفرنسي هو الإنتقام والتدمير والتخريب للقضاء على ما يسمونه بالتمرد والعصيان والبلبلة في صفوف الأبرياء باسم الحضارة والتقدم الأوروبي. وعلى هذا الأساس قام الجيش الفرنسي بارتكاب عدة جرائم قصد تبليغ الحضارة والثقافة الأوروبية ومن جملة المجازر المرتكبة في حق الإنسانية التي أضافت نقطة سوداء في تاريخ «فرنسا الأسود»، مجزرة ساقية سيدي يوسف.

---

(1) Jacques Soustelle, Voici Pourquoi.

(مجلة نصف شهرية هدفها هو نقد الحكومة الفرنسية وأنصار الجزائر الجزائرية ظهرت في أواخر 1957، ورئيس تحررها جاك سوستال).

في صباح يوم الأحد 8 فيفري 1958 وهو اليوم الذي تمتلئ فيه أسواق الساقية بحاجيات السكان، قامت طائرات إستطلاعية فرنسية بعملية الكشف الروتيني على الحدود التونسية الجزائرية قرب قرية ساقية سيدي يوسف. وتوا أسقطتها قوات جيش التحرير الوطني بإمكانيتها المتواضعة وراء خط موريس، وبعد ثلاثة ساعات من وقوع الحادث قامت القوات الجوية الفرنسية كما كان منتظرا بالرد العنيف دون علم وإذن من الحكومة الفرنسية كما تدعي إذ قامت 25 طائرة من نوع B26 الأمريكية الصنع المقنبلة بقنبلة قرية الساقية التونسية[1] كما قنبلوا سابقا أي قبل الساقية، المداشر والقرى والغابات الجزائرية، مما أدى إلى قتل المواطنين التونسيين الأبرياء وأغلبهم نساء وأطفالا وشيوخا، وتدمير ملجأ المدنيين الجزائريين والمستشفى والمدرسة والمسجد ومنازل المواطنين إلخ... وهذا حسب شهود عيان والهلال الأحمر الدولي الذي اطلع على مجزرة الحادثة وقيم أضرارها المادية والبشرية[2].

ونتيجة لهذه العملية الإجرامية المرتكبة في حق الإنسانية قام الرئيس الحبيب بورقيبة بسحب سفيره من فرنسا وطلب من الأمم المتحدة أن تتدخل لحماية مواطنيه من طغيان الإستعمار الفرنسي وتعويض الأضرار الناجمة عن الخطأ التاريخي. كما طلب من فرنسا بإجلاء قواتها البالغة 20.000 جندي من التراب التونسي، وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية صرحت في البداية بأنها لا تعلم شيئا عن هذه العملية إلا أنها تحملت المسؤولية التاريخية وقالت لقد حذرنا ونبهنا السلطات التونسية عدة مرات من هذا الإنتقام الذي كان منتظرا بين اللحظة والأخرى وتعتقد السلطات الفرنسية أن هذه الجريمة الوحشية منطقية ومبررة.

حقيقة أن القوات العسكرية الفرنسية في الجزائر كانت قوية نظرا لدعم الحلف الأطلسي لها ومساندة الدول الغربية لسياسته الجهنمية في شمال إفريقيا والجزائر

---

(1) Jean Ferniot, De Gaulle et Le 13 Mai (Paris: Plon, 1965) pp. 15 - 3.
(يقول صاحب الكتاب: وزير الدفاع الفرنسي شبان دلماس (Chaban Delmas) والحاكم العام روبير لاكوست (Robert Lacoste) ووزير الخارجية الفرنسية بينو (Pineau) لم يكونوا على علم قبل وقوع مجزرة الحادث).
(أعتقد أن الكاتب أراد أن ينقذ شرف فرنسا وتاريخها المعاصر ليلون تاريخها الأسود).

(2) John Talbott, The War Without A name: France in Algeria, 1954 - 1962 (London: Faber, 1980) pp. 60 - 71.

بخاصة، وهذا بالمقارنة مع قوات جيش التحرير الوطني الذي يجاهد من أجل حرية إستقلال الشعب الجزائري بينما الحكومة الفرنسية كانت ضعيفة سياسيا وهذا بالمقارنة مع السياسة الخارجية لجبهة التحرير الوطني التي كانت قوية في تأثيرها على السياسة العالمية وفي 22 أكتوبر 1956 قام ممثلوا العلاقات الخارجية لجبهة التحرير الوطني المكونة من أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وحسين آيت أحمد ومحمد خيظر وأخيرا الأستاذ مصطفى الأشرف الذي كتب عدة مقالات عن الأمة الجزائرية قبل إنفجار الثورة وأثنائها في مجلة «الأزمة الحديثة»، حيث توجه الوفد الجزائري من الرباط إلى تونس في طائرة مغربية من نوع DC-3 والطاقم كان فرنسيا، وعند وصولها إلى سماء الجزائر تلقى الطيار الفرنسي أوامر من مدينة وهران باسم السلطات العليا الفرنسية لتحويل إتجاه الطائرة وإرغامها على الهبوط في مطار الجزائر، وهكذا استطاعت السلطات الفرنسية أن تغير عجلة التاريخ بهذه العملية الإرهابية وتحطم آمال القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني وتلقى عليهم القبض بسهولة ودون مقاومة منهم وتحولهم إلى فرنسا حيث سجنوا في قلعة آل داكس (Ile D'aix) خمسة سنوات، وقيل بأن المساجين طبق عليهم قانون المساجين السياسيين على الرغم من أنهم لم يحاكموا في العدالة الفرنسية إطلاقا[1]. وفي دفاعه عن هذا العمل القرصاني الإرهابي الذي دشنته الحكومة الفرنسية في التاريخ المعاصر قال روبير لاكوست: «يا للعجب! وياله من تاريخ! إنها قضية الرعد الإله![2] «على الرغم من أن روني كوتي (Rene Coty) ممثل المجلس الشعبي لمدينة الجزائر كان ضد هذا العمل غير الحضاري وضد قرار لاكوست حيث صرح قائلا: «إن هذا الذي أمر بهذ المهزلة يجعلنا سنخسر حتما حرب الجزائر[3]».

لقد استعمل الإستعمار الفرنسي كل ما في وسعه للقضاء على الثورة الجزائرية والمحافظة على «الجزائر الفرنسية». وفي 31 ديسمبر 1956 قدم الحاكم العام للجزائر

(1) Ibid, p. 72.
(2) Ferhat Abbas, Autopsie d'une Guerre, p. 187.
(3) Ibid, p. 187.

روبير لاكوست للبرلمان الفرنسي تقريرا عاما حول وضعية الحرب المتوحشة في الجزائر؛ إذ صرح قائلا بأن عدد القتلى في صفوف الجزائريين بلغ 23189 قتيلا منهم حوالي 3876 إختفوا والبحث مازال جاريا عنهم. أما عدد القتلى في قوات الجيش الفرنسي قد بلغ 17.784 قتيلا، والجنرال شارل صالون قد صرح في ندوة صحفية بأن حوالي 700 متمرد قتلوا أثناء العمليات العسكرية في الفترة ما بين 28 جانفي و5 فيفري 1956، وقتل 130 مدنيا في يوم واحد أي في 08 فيفري، ومن 9 إلى 10 فيفري قتل 216 بين مدنيين ومتمردين. وفي 2 مارس 1957 قامت وكالة رويتر (Reuter) بتحقيقها حول الحرب في الجزائر وقالت بأن قوات الأمن الفرنسية قتلت 267 في صفوف ما يسمى عندهم بالإرهابيين المسلمين وألقت القبض على 478 شخصا وهذا أثناء عطلة الأسبوع. وفي 5 مارس من نفس السنة أعلن مراسل «مانشيستر قاردين» (Manchester Guardian) بأن الشرطة الفرنسية قتلت 10 إرهابيا و13 جريحا كما قامت القوات العسكرية الفرنسية بقتل 137 متمردا في إحدى عملياتها العسكرية.[1] وفعلا لقد حاولت فرنسا التي لها جيشا قويا أن تقضي على الثورة التحريرية التي تملك الإرادة البشرية وثقة أغلبية الشعب، وبهذه العزيمة والإرادة الشعبية إستطاع الشعب الجزائري أن يواصل ثورته المسلحة ويحرر الجزائر من طغيان الإستعمار، وعلى الرغم من أن فرنسا تنفق أموالا باهضة لإخماد نار الثورة إذ نفقت أكثر من 400.000.000 فرنك فرنسي في عملياتها الحربية وهذا سنة 1957، وخصصت من ميزانية 1958 حوالي 600 مليون فرنك فرنسي للجزائر وذلك من أجل المحافظة على تاريخ وشرف فرنسا العظمى من دانكارك إلى تمنراست كما كانوا يدعون السياسيون الفرنسيون.

إن وحشية الجيش الفرنسي الذي لا يقتل المجاهدين في المعارك الحربية فقط بل يقتل الشعب البريء دون التمييز بين الأطفال والشيوخ والنساء إلخ... بالإضافة إلى هذه الجرائم اللاإنسانية يقومون بحرق المداشر والقرى والمدن والغابات والنخيل والحقول قصد القضاء على جيش التحرير الوطني وعزلهم عن الشعب

(1) "The Algerian Bloodbath", Selscted Articles - Freedom, Vol. 4 - 10. 1954 - 1960.pp. 55 - 7.

كما أكد لنا أحد ضباطهم الذي قاد عدة معارك منها معركتي الجرف والشنوة اللتان حضر فيهما كشاهد عيان وبلغنا قائلا:

«عند عودتنا كانت القرية الدنيا تظهر في كامل الهدوء، والشعب تقرب إلينا لمساعدتنا حاملين لنا الطعام والشراب... وكان بحثنا في بعض المشاتي آليا، على الرغم من أننا تعبنا وسئمنا من تكرار هذه الأعمال الروتينية، ووراء كوخ حقير عثرنا على قطعة قماش كبيرة «بيضاء وخضراء» وهو علم جبهة التحرير الوطني... وبعد مرور ربع ساعة، كل المشاتي القريبة من ذلك المكان الذي وجدنا فيه العلم أصبحت رمادا»[1].

وبالإضافة إلى هذه الأعمال البربرية والوحشية باسم الحضارة والثقافة الأوروبية التي رواها لنا شاهد عيان وهو ضابط في القوات العسكرية الفرنسية أكد فرحات عباس من جهته أيضا قائلا: «من جديد إنها المجزرة، أكثر من 100 جثة كانت على الطرقات كما يجب أيضا التحدث عن موتى المدية الذين داستهم وقتلتهم الدبابات ومزقتهم الكلاب البوليسية»...[2].

حقيقة أن القوات العسكرية الفرنسية في الجزائر كانت أقوى من القوات المسلحة لجيش التحرير الوطني كما أشرنا سابقا، وهذا يعود إلى عدة أسباب منها التكنولوجية العسكرية المتفوقة وتدعيم الحلف الأطلسي لهم. وعلى هذا الأساس لا يمكن لجيش التحرير الوطني أن يواجههم مباشرة، حيث يعتمد في حركته المسلحة على الكر والفر والقيام ببعض العمليات الفدائية.

ومن خلال ما تقدم نستنتج بأن العمليات الإجرامية المتوحشة واللاإنسانية التي تعتبرها القوات العسكرية الفرنسية إنتصارا لها، وذلك منذ إندلاع ثورة نوفمبر 1954 حتى عام 1958 يمكن تلخيصها فيما يلي:

– محاصرة وخنق حركة الثورة التحريرية ببناء خط موريس في الحدود الجزائرية التونسية والجزائرية المغربية.

(1) Sergeant Pierre Leullitte, St Michel and The Dragon: A Paratrooper in The Algerian War. Translated by Tony White. (London: Heinemann, 1964) p. 262.
(2) Ferhat Abbas, Autopsie d'une Guerre. p. 196.

- القتل الجماعي والتعذيب البشع من عوامل إنتصار القوات الفرنسية في الجزائر العاصمة.

- قنبلة المداشر والقرى والمدن الجزائرية وحرق الغابات الجبلية والنخيل في المناطق الصحراوية من العوامل الأساسية التي تؤكد إنتصار الجيش الفرنسي في رأي السلطات الفرنسية.

- تحويل وإختطاف الطائرة التي كانت تنقل القيادة السياسية لجبهة التحرير الوطني والتي دعمت الإرهاب العالمي فيما بعد أي في القرن العشرين.

- القتل الجماعي للجزائريين في الشوارع الذي أصبح **«كتسلية وأضحوكة»** عند الجيش الفرنسي المتوحش والذي يعتبره واجبا عسكريا. ومن هذه العوامل المتوحشة باسم الإندماج والغزو الحضاري للجزائر قررت جبهة التحرير الوطني أن توسع ثورتها المجيدة خارج الجزائر وتفجيرها داخل القطر الفرنسي لتخفيف الضغط المفروض على الجزائر ودفع الرأي العام العالمي من جديد بالإعتراف بنضال وكفاح الشعب الجزائري من أجل الإستقلال والحرية، وفي هذا المعنى أكد محمد البجاوي قائلا: «... لنقل الحرب إلى فرنسا، لكي يكتشف ويتذوق الفرنسيين مرارة أو معنى أوجاع الحرب»[1].

وفعلا في أوت 1958 قامت حركة جبهة التحرير الوطني المسلحة بتفجير الحرب رسميا في فرنسا، حيث قامت بعدة عمليات فدائية مما أدى إلى قتل أربعة شرطة في باريس كما حاولت أن تحرق غابة «بوى دي بولونيو» (Bois de Boulongne) إنتقاما مما يقع في الجزائر، ونتيجة لذلك أعلنت الحكومة الفرنسية حالة الطوارئ خاصة في المدن الكبرى. وفي 15 سبتمبر من نفس السنة قامت حركة جبهة التحرير الوطني مجددة نشاطاتها الواسعة وحاولت قتل جاك سوستال في باريس الذي كان حاكما عاما في الجزائر والذي أمر السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر بالقتل والتعذيب لكي يحقق أهدافه ومطامعه

---

(1) Mohamed Lebjaoui, Vérités sur La Révolution Algérienne. (Paris: Gallimard, 1970) p. 81.

الجشعة، وإيمانه «بالجزائر الفرنسية» وهو ما أكد بقوله: «التخلي عن الجزائر سيعتبر جريمة، وهذه الجريمة لا نستطيع دفع ثمنها»[1].

وهذه المحاولة كانت على الساعة 9.15 صباحا عندما اقترب سائق سيارته في شارع «فريد لاند» (Friedland) هاجم مسلحين جزائريين سيارته وأطلقوا النار عليه»[2]. ومع الأسف أصيب السفاح بجروح خفيفة. وفي مساء ذلك اليوم نظم سوستال ندوة صحفية وقال: «هذه المحاولة تبرهن مرة أخرى بأن جبهة التحرير الوطني، يائسة من نجاحها في قواعد اللعبة، لقد إلتجأت إلى أكبر درجات الجريمة».[3]

نستنتج من هذه الدراسة التاريخية بأن الثورة الجزائرية قامت بتحرير الشعب الجزائري من عبودية الإستعمار الفرنسي الذي استغل الجزائر وسلب ثرواتها الطبيعية أكثر من قرن، ولقد تطرقنا لأهم الحوادث التاريخية للثورة التحريرية في سنواتها الأولى وكيف كان رد فعل السلطات الفرنسية لها. أما الهدف الذي يهمنا من هذه الدراسة هو كيف تطور وأصبح موقف النخبة الفرنسية المثقفة من توسع الثورة الجزائرية؟.

2 - موقف النخبة الفرنسية المثقفة من أساليب التعذيب في الجزائر:

سأحاول في هذا المذهب دراسة طرق وأساليب التعذيب المطبقة من قبل وحشية الجيش الفرنسي على الشعب الجزائري أثناء الثورة التحريرية، وسأتطرق إلى موقف النخبة الفرنسية المثقفة التي نددت بالتعذيب في الجزائر، وسأدعم هذا التنديد الذي هو نابع من المسؤولية الإجتماعية للطبقة المثقفة بشهود عيان مثل هنري آلاق (Henri Alleg) والضابط بياراليولات (Sergeant Pierre Leulliette) والشابة الجزائرية جميلة بوباشة.

عند نهاية الحرب العالمية الثانية تنفس الشعب الفرنسي الصعداء واستراح من جرائم النازية وطرق التعذيب المطبقة عليهم من قبل جيش ڨاسطابو (Gestapo) في الأربعينيات. وفي ديسمبر 1948 جاء عن إعلان حقوق الإنسان ومنع ما

(1) **Jacques Soustelle, Le Drame Algerien et La Décadence Française: Réponse a Raymond Aron,** (Paris: Plon, 1957) p. 26.

(2) **Ali Haroun, La 7E Wilaya: La Guerre du FLN en France 1954 - 1962.** (Pris: Edition du seuil, 1986) p. 210.

(3) **Le Monde,** 20 Septembre 1958. p. 3.

يسمى بالتعذيب: «لا أحد يوضع موضع التعذيب أو يعامل بسوء المعاملة أو يعاقب بعقوبة قاسية»[1].

وأثناء الثورة الجزائرية عرف التعذيب كما جاء في إتفاقية جنيف: «فالأفراد... في جميع الحالات والأوضاع سيعاملون معاملة إنسانية... وكل الأفعال ستبقى ممنوعة في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن... وعنف الحياة، وخاصة القتل بجميع أنواعه، يشوه أو يفسد، وحشية المعاملة القاسية، والتعذيب...»[2].

بينما التعذيب أثناء الثورة التحريرية: «فكان ضربات بالدبوس على النقرة، لكمات، ماء يبتلع بالقوة تعليق بالأذرع والأرجل... كهرباء في الأصابع وعلى الأذن... المغطس... ضرب بالسياط على أخمص القدمين وعلى الأجزاء الجنسية... كهرباء في الأجزاء الجنسية... وحين ينتهون من ذلك يغرسون سكينا بين الكتفين...»[3] والتعذيب عند سارتر الذي أدان فيه فرنسا والتي كانت قد أدانت منذ خمسة عشرة سنة ألمانيا على إستعمالها أبشع طرق التعذيب على الشعب الفرنسي حيث ذكرهم بما كانوا عليه أثناء الحرب العالمية الثانية قائلا:

«إن الفرنسيين يكشفون، في غمرة دهشتهم، هذه الحقيقة الهائلة: إذا لم يكن هناك ما يحمي أمة ضد نفسها، لا ماضيها، ولا أماناتها، ولا قوانينها الخاصة، وإذا كانت خمس عشرة سنة كافية لتحويل الضحايا إلى جلادين، فذلك لأن الظرف هو وحده الذي يقرره: فحسب الظروف يستطيع أي كان وفي أي وقت، أن يصبح ضحية أو جلادا»[4]. على الرغم من أن سارتر أدان إستعمال طرق التعذيب في الجزائر، ولم يشاهد المعذبين إلا أنه حمل المسؤولية التاريخية الجماعية لفرنسا نحو طرق التعذيب التي ظهرت في بداية الخمسينيات. وهذا

(1) General Assembly Resolution 217 (111), Decembre 10, 1948, U, N, Doc, At 810 at 7/1948.

(2) Basic Rules of the Geneva convention and their additionL Protocols, Edited by the International Committee of the Red Cross, Geneva, 1983, pp, 52.3.

(3) بيار هنري سيمون، ضد التعذيب في الجزائر ترجمة بهيج شعبان (بيروت: دار العلم للملايين 1957) ص ص: 54 - 5.

(4) Sartre, Situations, V. p. 70 - 73.

مأخوذة من عارنا... في الجزائر! ترجمة عايدة وسهيل إدريس ص: 47.

التنديد والإلتزام الذي إلتزم به سارتر لم يكن نابعا من أفكاره وفلسفته فقط بل من المسؤولية الإجتماعية وتطور أفكاره وكتاباته التي تنادي «بفكرة الحرية» والتي تسعى لتحقيق حرية الفرد[1].

وفي مقدمة كتاب «الإستجواب» لهنري ألاق كتب سارتر عن البطل ألاق الذي قاوم شتى أنواع التعذيب ونجاحه على الجيش الفرنسي الذي يقوم بتعذيبه قصد الحصول على المعلومات بواسطة الألم القاسي، وأي معلومات يريدونها جلادي الجنيرال جاك ماسو. وهنا إستنتج سارتر بأن ألاق قاوم بشجاعة وبإرادة كاملة وفوق هذا أنه تجاوز ما يسمى بالإنسانية وكتب قائلا:

أما في التعذيب، هذه المباراة الغريبة، فإنما يقيس الجلاد نفسه بالضحية من أجل صفة الإنسان، وكل شيء يحدث كما لو أنهما لا ينتميان معا إلى الجنس البشري. إن هدف الإستجواب لا يقتصر على إجبار الضحية على الكلام وعلى الخيانة: بل على الضحية أن تشير على نفسها بالصراخ والخضوع على أنها بهيمة بشرية، في عيون الجميع وفي عينيها بالذات. يجب على خيانتها أن تحطمها وتخلص المجتمع منها إلى الابد. وأن من يستسلم للإستجواب لا يراد فقط قسره على الكلام، وإنما هو قد دمغ إلى الأبد بصفة كونه: أقل من الإنسان[2]. وتجدر الإشارة هنا بأن سارتر كتب سنة 1949 روايته المسرحية بعنوان «موتي بلا قبور» (Morts Sans Sepulture) والتي كانت بدون بطل على الرغم من أن الرواية كانت بطولية، حيث نجد خمسة مقاويمين في هذه الرواية بدون سلطة، وتحدث الأشياء لهم دون أن يقوموا بتغييرها. وفي هذه الرواية نجد المثقف هنري يمثل شخصية مطابقة لأفكار سارتر وخاصة عندما كتب قائلا: «إنك مهتم كثيرا بنفسك، هنري؛ تريد أن تسترجع وتحرر حياتك... الجحيم، وما تطمح إليه هو العمل، وستنقذ حياتك من الصفقات[3] وسيمون دي بوفوار بدورها وصفت

(1) Sartre, What is literature? Translated by Bernard Frechtman. (New york: Philosophical library, 1949) p. 29.

(2) سارتر، عارنا... في الجزائر، ص ص: 60 - 61.

(3) Sartre, The Victors, Translated by lionel Abel. (New york: knopf, 1949). p. 78.

الوضع والظروف التي كتب فيها سارتر هذه الرواية وقالت: "لقد فكر سارتر بعمق في التعذيب لمدة أربعة سنوات كاملة؛ وحده وأيضا مع أصدقائه، حيث خطرت بباله معظم الأفكار لكتابة هذه الرواية[1].

وبعد تسعة سنوات من كتابة هذه الرواية المسرحية يبدو أن سارتر وجد نفسه في نفس الوضعية، ولكن هذه المرة مع البطل الحقيقي «هنري آلاق» الذي قاوم بشجاعة وبإرادة كاملة أساليب التعذيب المطبقة من قبل الجيش الفرنسي في الجزائر، وعن طريقه أدرك سارتر حقيقة التعذيب المفروضة على الشعب الجزائري وندد بهذه الطرق البشعة التي تقلل من قيمة الإنسان وتجعله مثل الحيوان الذي عند موته، إذ كتب قائلا:

«لقد فرض التعذيب نفسه تلقائيا وقد أصبح «روتينيا» قبل أن يلاحظ الناس ذلك غير أن الحق البشري الذي يتمثل فيه إنما يعبر عن العنصرية لأنه إنما يراد تهديم الإنسان نفسه بكل صفاته الإنسانية، الشجاعة والإرادة والذكاء والأمانة – الصفات نفسها التي يطالب بها المستعمر. ولكن إذا أستخلف الغضب بالأوروبي إلى درجة أن يحتقر صورته نفسها، فذلك لأن عربيا قد عكس هذه الصورة»[2].

إن ألاق هو أول من بلغ الرأي العام الفرنسي والعالمي عن طرق التعذيب المفروضة على الشعب الجزائري منذ نوفمبر 1954، وفي كتابه «الإستجواب» شرح لنا كيف تم تعذيبه من قبل السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر والتي أصبحت وتحولت إلى قسطابو الخمسينيات، حيث تفتخر وتعتز بهذا التشبيه للجيش النازي الألماني إذ قال: «حسنا، الفرنسي! وقف بجانب الفئران ضدنا؟...»

«منبطحا!...»

لقد حاربنا في الهند الصينية وهذا يكفينا لكي نعرف أمثالك، هنا قسطابو! هل تعرف معنى قسطابو؟ وبعدئذ بسخرية وبهتكم: إذن لقد كتبت مقالات حول التعذيب أيها اللقيط! حسنا! والآن هو دور القسم العاشر للجنود المظليون الذين سيقومون بعملهم لك[3].

---

(1) Simone de Beauvoir, **Force of Circumstance**. p. 112.

(2) سارتر، عارنا في الجزائر ص ص: 63 - 64.

(3) Henri Alleg, **The Question** Translated by John Calder (London: Lalder, 1958). p. 41.

حقيقة أن الجلادين يصفون أنفسهم بالأكابر والعظماء والأقوياء وأيضا يشبهون أنفسهم بقسطابو الخمسينيات لأنهم يريدون إقناع أنفسهم أولا ثم ضحيتهم ثانيا وذلك بالسلطة الخفية، حيث يحاولوا أن يقنعوا ضحيتهم بأنها لا تنتمي إلى عالمهم كما قال سارتر:

ما هؤلاء الجلادون أولا؟ أهم ساديون؟ أم هم ملائكة غاضبون؟ أم هم أسياد حرب ذو أهواء مرعبة؟ إن كان علينا أن نصدقهم فإنهم خليط من هذا كله... أنهم يودون أن يقنعوا أنفسهم ويقنعوا الضحية بسيادتهم المطلقة... فالمهم أن يشعروا السجين بأنه ليس من جنسهم: ولذلك يعرونه من ثيابه ويربطونه بشدة ويهزأون منه، ويمر الجنود بالقرب منه ذهابا وإيابايقذفونه بشتائم وتهديدات بلامبالات تريد أن تكون هائلة[1].

إن الجلادين يستعملون كل الطرق التي يعتقدون بأنها حديثة ومتطورة لتعذيب الضحية وتعذيبهم يكون بهذه الأنواع المختلفة كالغطس في الماء، والكهرباء، والزجاج والسوط إلخ... وأثناء تعذيبه بهذه الأنواع التي تعتبر عند جلادي الجنرال جاك ماسو حديثة سمع آلاق المرتجف، من البرد، المربوط إلى خشبة ماتزال سوداء لزجة - بسسب قيء قديم... «لم يبق لكم إلا أن تنتحروا» وسمع أيضا عدة أصوات بشرية تصرخ عالية تنادي ربها ثم تئن مثل ذلك الحيوان الذي يموت ببطئ، ومن بين هذه الأصوات سمع صوت رجل عجوز يحاول الهروب من جلاديه وإنقاذ حياته منهم يقول آلاق: «من بين الأصوات المزعجة نتيجة التعذيب القاسي قال مستنزفا ومنهمكا: «تحيا فرنسا، تحيا فرنسا». وبدون شك كان يتمنى بهذه الطريقة أن يرضي جلاديه، لكن الجلادين واصلوا تعذيبهم له وتقهقهوا ضحكا...»[2]

حقيقة أنّ ألاق لم يكن هو الأول والأخير الذي عذب بأبشع أنواع طرق التعذيب بل هناك جزائريين تعذبوا بأحدث وسائل التعذيب، ودفنوا أحياء؛ (وهذه المقابر الجماعية الأليمة مازالت تكتشف إلى يومنا هذا). يمكن القول بأن أول فرنسي تعذب إلى جانب الجزائريين هو موريس أودين (Maurice Audin)، 25

(1) سارتر، عارنا... في الجزائر ص ص: 52 - 53.

(2) Henri Alleg, The Question, p. 91.

سنة، أستاذ بجامعة الجزائر، وعضو في الحزب الشيوعي الجزائري، أوقفه جلادي جاك ماسو بأيام قليلة قبل سجن هنري ألاق. أودين بدأ تعذيبه في جوان 1957 متهما بمساعدة أعضاء جبهة التحرير الوطني، حيث تعذب مثل معظم الجزائريين حتى وافته المنية، وبقيت السلطات العسكرية الفرنسية في حيرة إذ تحاول الهروب من الجريمة الشنعاء وتصرح بمعلومات غامضة ومضللة للرأي العام. كما أكد الكاتب فيدال ناكيت (Vidal-Naquet) قائلا: «كان من محصنات الأمبراطور بأن موريس أودين دفن خفية بعد قتله...»[1].

ونتيجة لذلك قام ما يسمى بالمجلس الوطني الفرنسي للتحقيق في قضية أودين واستغرقت عدة شهور في البحث عن الحقيقة. كما قامت أيضا مجموعة من المثقفين الفرنسيين والأساتذة بخاصة تشكيل لجنة تقوم هي الأخرى بالتحقيق في قتل أودين[2]. وهذه المحاولات كلها كانت عبارة عن ضغوط من الرأي العام الفرنسي. وألاق بدوره قال لا يمكن للأودين أن يكون قد هرب من جلاديه لأنه تعذب بأبشع أنواع التعذيب حتى مات مثل بقية المعذبين. وهنا بدأ الرأي العام يقوم بدعاية ضد وحشية الجيش الفرنسي في الجزائر وتبنيه للأفعال النازية وتطبيقها على الشعب الجزائري بحجة الحصول على المعلومات ووقف ما يسمى بالأعمال الإرهابية[3].

وسارتر أيضا بدوره كان مهتما بالأعمال المتوحشة واللاإنسانية للجيش الفرنسي حيث درس شخصية ونفسية الجلادين وضحيتهم قائلا: «واليوم نعلم أنه ليس هناك شيء للفهم: يتم كل شيء بغفلة وإستسلامات غير ملحوظة وعندما رفعنا رؤوسنا، رأينا في المرآة وجها غريبا، بغيضا: وجهنا».

---

(1) Vidal Naquet, **P Torture: Cancer of Democracy, France and Algeria 1954 - 1962. Translated by barry Richard (London: Penguin Book, 1963) p. 53.**

(2) **Le Monde, 25 Janvier 1958, p 5.**

(3) شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر ترجمة عيس عصفور (بيروت: منشورات عويدات 1982) ص ص: 168 - 169.

وفعلا أن التعذيب الذي ظهر في الجزائر بعد تسعة سنوات من إنتهاء الحرب العالمية الثانيةنبه الرأي العالمي وخاصة في جوان 1957 أي عندما تعذبا الفرنسيين أودين وألاف اللذين تعاطفا مع أهداف جبهة التحرير الوطني وكسبا المساندة والتأييد من بعض المثقفين الفرنسيين وذلك لكونها فرنسيين على الرغم من أن الشعب الجزائري بمختلف شرائحه طبقت عليه شتى أنواع التعذيب فالشباب والشيوخ والنساء وحتى الأطفال تعذبوا بوحشية قاسية وذلك لإجهاض الثورة وتحطيم أهداف وآمال الشعب الجزائري المتمثلة في الإستقلال والحرية لقد اعترف أحد الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في «حرب الجزائر» وهو بيار أليولات الذي نشر وثائقه المجمعة أثناء الثورة التحريرية (1954 - 1957) «كوثائق الجزائر» (Documents: Algérie) حيث كتب في هذه الوثائق قائلا بما أن التعذيب أصبح من الطرق الرسمية التي تستعمل للبحث عن ما يسمى «بالإستنطاق» للحصول على المعلومات قصد التقليل من العمليات الفدائية وضبط الحركة النضالية، فإن فرنسا قامت بتأسيس مؤسسات التعذيب أكثر من تأسيسها لمدارس التعليم ومستشفيات المرضى، إذ يوجد في كل ثكنة جناح خاص للتعذيب ومجهز بأحدث الوسائل وأغلبها كانت مستعملة من قبل الجيش النازي (genuine ss.men) وكتب الضابط ليولات عن المؤسسة العسكرية التي كان ينتمي إليها بأن الجلادون كانوا ينامون أثناء النهار ويقومون بهجومات سرية في الليل لقتل الأبرياء أو لحرق المنازل والبيوت القصديرية وأهلها أولإنتهاك حرمات المسلمين في مخابئهم أو لصحب المشبوهين وتعذيبهم في الغرف المخصصة لهم، وهذه العملية أصبحت روتينية عند جلادي الخمسينيات[1] ويرى صاحب هذه الوثيقة بأن هذه المجموعة التي تقوم بتعذيب وتجليد الأبرياء الجزائريين تبنت الطريقة القديمة الموروثة من القاسطابو النازية ومنهم من يدعي بأنه من منطقة الألزاس (Alsatiens) قصد تقربهم للألمان وبتثبيت وزرع فكرة القاسطابو في ذهنية ضحيتهم. وفعلا أن هذه الأعمال المتوحشة التي أصبحت عادية بالنسبة للجيش الفرنسي في الجزائر كانت خطة جهنمية يقوم بتنفيذها الضباط

(1) Pierre leulliette, St Michael and The Dragon p 233.

والإشراف على تطبيقها قصد إخماد نار الثورة، حيث كتب اليولات في مذكراته قائلا:

«هذه الفرق الخاصة تشتغل بالإعتماد على رحمة النقيب المثقف، الذي لا يؤمن بوجود اليأس والألم - وخاصة ألم الغير. لقد كانوا ثلاثة أفواج يشتغلون في هذه الأعمال اللاإنسانية ويدخنون (لكي يتمتعوا بالمناظر البشعة ولكي لا يملوا من هذا الروتين) وهدفهم ينحصر في تعذيب المساجين العراة، واحد تلو الآخر من الصباح إلى الليل، وتحت رقابة مشددة لهيئة الإستنطاق...»[1]

وسارتر بدوره لم يلتزم الصمت أو السكوت تجاه تصرفات وسلوك الجلادين نحو المعذبين الجزائريين وإنما ندد بشدة بالحكومة الفرنسية وبوحشية السلطات العسكرية، ويذكرهم فيما كانوا عليه أثناء الحرب العالمية الثانية قائلا:

«في عام 1943 في شارع لوريستن كان فرنسيون يصرخون من القلق والألم، وكانت فرنسا كلها تسمعهم أنذاك، ولم يكن مصير الحرب أكيدا ولم نكن نود أن نفكر في المستقبل، ومع ذلك فإن شيئا واحدا كان يبدوا لنا مستحيلا. أن يكون بإستطاعتنا أن نجعل رجالا يصرخون يوما ما بسببنا. والمستحيل ليس كلمة فرنسية: ففي عام 1958 يعمد في الجزائر إلى التعذيب المستمر المنتظم، والكل يعلم ذلك من السيد لاكوست إلى مزارعي لافيرون، ولا أحد يتكلم عن ذلك، أو أن أصواتا تتلاشى في السكون، لم تكن فرنسا تحت الإحتلال أبكم منها الآن، بالرغم من أنها كان لها العذر في أن تحمل السلاح»[2].

ويؤكد سارتر بأن هدف الجلادين لم يتمثل في الحصول على المعلومات لنشاطات الحركة التحريرية كما يدعي، وأي معلومات يريدونها بل هو في الحقيقة أن يستسلم الضحية «للإستجواب» ويشعر بأنه «أقل من إنسان» وعلى هذا الأساس نندد بوحشية القرن العشرين المرتكبة ضد الإنسانية والتاريخ البشري حيث قال:

وبعد، فما جدوى إقلاق ضمير الجلادين؟ إذا فكر أحدهم بأن يقول شيء، أسرع الآخرون إلى الرد عليه بقولهم: ((إذا فقدنا إنسانا فإننا نجد عشرة بدلا

(1) Ibid, p, 232.

(2) سارتر، عارنا... في الجزائر ص 46.

منه))... لا، إنه لا يكفي أن نعاقب بعض الأفراد ونعيد تربيتهم، ولن نستطيع أنسنة حرب الجزائر، فقد قام فيها التعذيب تلقائيا، وأدت إليه الظروف وعمقته النعرات العنصرية، وإذا كنا نود أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة الكئيبة، وأن ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم، فليس أمامنا إلا وسيلة واحدة: أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام[1].

وتجدر الإشارة بأن عامي 1956 و1957 هو فترة تحويل السلطة من باريس إلى القوات العسكرية الفرنسية بالجزائر وذلك لتدعيم سياستها الإستراتيجية في شمال إفريقيا والمحافظة على «الجزائر الفرنسية» وتحقيق حلم أو وهم السياسيين الذين ينادون «بفرنسا العظمى من دانكارك إلى تمنراست». وهذه السياسة الجديدة تجاه الجزائر لم تكتف بإستغلال الثروات الطبيعية للبلاد فقط بل بإطلاق قنابل النبالم على المداشر والقرى وتدعيم سياسة التعذيب وقتل الأبرياء وتشريد الأهالي إلخ... وهذا بإعتراف أحد ضباطهم الذي شارك في هذه الحرب المتوحشة وكتب في مذكراته قائلا: عريف أول، كان عائدا إلى ثكنته... قتل من قبل عربي بخنجر في طريقه... فالقتل في المعارك الحربية مقبولا... الإنتقام الإنتقام... 64 من المدنيين قتلوا في أقل من ساعة...[2]

نستنتج من هذا بأن الحرب في الجزائر ليست كسائر الحروب لأن هدفه وغايته لا يتمثل في إخماد نار الثورة فقط بل يتمثل في تحقيق النصر للجيش الفرنسي لكي لا يشعروا بالهزيمة التاريخية مهام كانت نتائج المعارك الحربية التي ينتهجونها في مستعمراتهم وإن أهم مميزات التي منحت لتحويل السلطة العسكرية إلى الجزائر هي طرق التعذيب حيث يبدو وأن سيمون دي بوفوار على صدق عندما قالت:

«... وعندئذ نتأكد بأن هناك كالعادة حصة التعذيب». وكأن يسير على وتيرة واحدة طبعا، المهماز الكهربائي، الغطس في البرميل المملوءة بالماء، والشنق، إغتصاب حرمات المسلمين، القمع، إعدام الأفراد حرقا، قلع الأظافر، قطع عظام

(1) نفس المصدر ص ص: 65 - 66.

(2) Pierre leulliete, St Michael and The Dragon. PP: 160. 1.

الأشخاص. ودائما نفس البرنامج لكن نحن لا نرى سببا تغيير موقفنا حتى يغير الجيش والشرطة موقفهما»[1].

حقيقة لقد عان الشعب الجزائري من ويلات التعذيب والتشريد والجرائم المرتكبة يوميا من قبل وحشية وبربرية الجيش الفرنسي الذي يدعي بأن يستعمل هذه الطرق اللاإنسانية لتحطيم الحركة الثورية المتمردة على النظام الفرنسي وعزلها عن الشعب ونزع الثقة بينهما إذ كتب سارتر قائلا:

«وفي الجزائر انتشر جيشنا في الأراضي كلها: فنحن نملك العدد والمال والأسلحة، أما الثوار فلا يملكون شيئا إلا الثقة وتأييد قسم كبير من الشعب لهم... وتجد «قوى الأمن» نفسها مرتبكة بقدرتها بالذات، عاجزة عن مواجهة العمليات الحربية الصغيرة، إلا بالتنظيف والتكنيس وبعثات الإنتقام، وعن مواجهة الإرهاب إلا بالإرهاب، على أن هناك شيئا خفيا: يجب الإستجواب والإستنطاق في كل مكان»[2].

إن الجيش الفرنسي الذي يعتقد بأن لديه تجربة حربية في الهند الصينية ومن «معركة الجزائر» قد قام بتوسيع طرق التعذيب قصد عزل جيش التحرير الوطني عن الشعب والتقليص من عدده، وفي منطقة القبائل روى أحد الضباط الفرنسين قائلا:

هناك جثث: جثث الرجال المشنوقين... ظاهرين للعيان يبدو كأنهم مازالوا على قيد الحياة. نعم، كل واحد منهم، لكن إلى أي مدى ستصل هذه الفترة؟... لقد كانوا مشنوقين بربط أرجلهم إلى الأعلى ورؤسهم إلى الأسفل مملوؤة بطريقة بطيئة بالدم... ولمدة يوم وليلة وهم على هذه الوضعية... والأغلبية منهم ماتوا في تلك الليلة. والكثير منهم كان يئن ويتمتم لأبعاد الخوف الكبير من الموت البطيئ.[3]

وفعلا لقد حطم الإستعمار الفرنسي كل شيء في الجزائر وذلك من أجل إخماد الثورة التحريرية حيث قام بإغتصاب معظم فتياتنا اللواتي يتراوح عمرهن ما بين 19 و25 سنة ومن بين بناتنا جميلة بوباشة 23 سنة، والتي لها صلة وثيقة مع جبهة

(1) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance. pp. 391 - 2.

(2) سارتر، عارنا... في الجزائر ص ص: 59 - 60.

(3) Pierre leulliete, St Michael and the Dragon. p. 263.

التحرير الوطني، سجنت بطريقة غير شرعية وتعذبت بأبشع طرق التعذيب حيث أجلسوها بالقوة على زجاجة وربطوها بحبل من يديها ورجليها، وقاموا بجلدها ثم مهماز كهربائي، وغطسها في الماء. وأخيرا حرق جسمها بسجارة من قبل الجلادين، هكذا بقيت جميلة لمدة أسبوع في مؤسسة التعذيب تناجي ربها، وعند خروجها من هذا الجحيم قال لها أحد الخونة المتعاونين مع الجلادين «لم تغتصب بل تلذذت».

لقد بقيت المجاهدة جميلة بوباشة أكثر من شهر في أحد معتقلات جلادي الخمسينيات وتعرضت للضرب والشتم والإهانة والإعتداء ولا أحد يراقبها ويحميها من وحشية وهمجية البرابرة الذين تزوج بهم هتلر في الربعينيات، وفي الأخير إكتفت الضحية بقولها لمحاميها: «بأنها واحدة من بين آلاف المحتجزين الآخرين»[1].

ومن هنا يمكن القول بأن سيمون دي بوفوار كانت على صواب عندما قالت بأن أنواع التعذيب طبقت على جميع المحتجزين في المحتشدات والذي بلغ عددهم أكثر من 14000 محتجزا وعلى السجناء أيضا الذي وصل عددهم إلى أكثر من 17000 سجينا وهذا في 1959. ومئات آلاف الآخرين في سجون فرنسا[2]. بالإضافة إلى ذلك كان الجيش الفرنسي يتمتع بمشاهدة الجلادين وهم يعذبون السجناء وكأنه أمام مباراة أو فيلم شيق، كما ورد ذلك في رسالة جندي فرنسي:

«بعد الظهر، دعا الدرك بعض العسكريين الموجودين في ساحة الحصن ليأتوا ويتمتعوا بأحد المشاهد. وكان البند الأول من التعذيب يتضمن تعليق... الرجلين العاريين تماما، من أرجلهما، وأيديهما مكتوفة إلى الوراء وأن يغمسوا رأسيهما مدة طويلة في سطل الماء ليحملوهما على الكلام. والبند الثاني من التعذيب هو أن يعلقوهما، وأيديهما مربوطة مع أرجلهما إلى الوراء، والرأس إلى فوق هذه المرة. وقد وضعت تحتها مسامير مفروسة. ثم أخذوا يؤرجحونهما بواسطة اللكمات بشكل يجعل أعضاءهما الجنسية تحترك بالمسامير المفروسة. أما الملاحظة الوحيدة التي أبداها أحد هذين الرجلين فهي أن إلتفت إلى العسكريين وقال: «أنا خجل

(1) Simone de Beauvoir, and Giséle Halimi, **Djamila Boupacha**. Translated by Peter Green. (London: André Deutsch, 1962) p. 195.

(2) للمزيد من الإطلاع حول أماكن المحتشدات في الجزائر راجع جريدة المجاهد (El Moudjahid) عدد 40 والعدد 41 - 1959.

لوجودي عاريا أمامكم» ولما لم يستطع الدرك أن يستخرجوا شيئا من الرجلين قالوا: سنعود إلى ذلك في المساء»[1].

حقيقة أن أثناء الثورة التحريرية لم تهتم العدالة الفرنسية بتطبيق ما يسمى «بإتفاقية جنيف» وبمحاكمة جلادي الخمسينيات الذين قاموا بتعذيب الجزائريين بأبشع أنواع طرق التعذيب والتي هي جريمة في حق الإنسانية. وعلى هذا الأساس يجب محاكمتهم كما قامت السلطات الفرنسية والأوروبية معا في الثمانينيات بمحاكمة أحد العسكريين الألمان الذين أتهموا بالجرائم ضد الإنسانية أثناء الحرب العالمية الثانية وذلك عملا بما يسمى عندهم «بإتفاقية جنيف» حيث قامت الحكومة الفرنسية مرة أخرى بفتح «ملف الجرائم» وفعلا إستطاع جلادوها أن يقنعوا الرأي العام العالمي ويحاكموا كلوزباربي (Klaus Barbie) الجلاد النازي أثناء الحرب العالمية الثانية المكلف بمهمة تعذيب سكان منطقة ليون بفرنسا (The longer you live, the more you see) وعلى هذا الأساس فالحكومة الجزائرية يجب عليها أيضا أن تفتح ملف التعذيب الذي عانى منه الشعب الجزائري أثناء الثورة التحريرية 1954 - 1962 كما فتحت فرنسا من جديد ملفات قاسطابو الربعينيات.

الأستاذ جاك فيرجي (Maitre Jacques Verges) المحامي الفرنسي الذي دافع عن كلوزباربي والمثقف اليساري الذي كان ضد سياسة الإستعمار الفرنسي. باربي 73 سنة، ورئيس قسطابو في منطقة ليون، حيث قامت العدالة الفرنسية في جوان 1987 بمحاكمته على الجرائم اللاإنسانية المتهمة به أثناء الحرب العالمية الثانية. الأستاذ فيرجي ركز في دفاعه على طرق التعذيب المطبقة من قبل السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر والجرائم البشعة واللاأخلاقية التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر وبعبارة أخرى الأستاذ المحامي فيرجي حاول أن يضع فرنسا في ميزان العدالة وأن يضعها موضع ألمانيا.[2] يبدو أن كلود بوردات (Claude Bourdet) كان على

(1) بيار هنري سيمون ضد التعذيب في الجزائر ص ص: 50 - 51.

(2) **The Times**, june 15, 1987. p. 9.

صدق عندما أكد وقال أثناء الثورة الجزائرية: إنهما م، م. مانديس فرانس وفرانسوا متيران هم المسؤولين قبل الرأي العام وقبل التاريخ[1].

فعلا إن الدلائل التي قدمت إلى محكمة ليون لم تكشف عن جرائم النازية في فرنسا فقط بل كشفت وذكرت الجيش الفرنسي وجرائمه الوحشية في الجزائر وبينت من جديد تاريخ فرنسا الأسود أمام الرأي العام العاليمي، فالأستاذ جاك فيرجي المدافع الرئيسي لكلوز باربي ذكر مرة أخرى العدالة الفرنسية بأن فرنسا هي الأخرى قامت بتعذيب الجزائريين وتشريدهم من بلادهم ونفيهم إلى الدول المجاورة وقتلهم بدون تمييز وحرق المداشر والقرى والمدن، أي أن هذه الجرائم في حق الإنسانية سجلت كنقطة سوداء في تاريخ فرنسا كما سجلت جرائم النازية في تاريخ ألمانيا. بالإضافة إلى ذلك دعم الأستاذ فيرجي عريضته للدفاع بعدة أدلة كشهود عيان عاشوا هذه الملحمة التاريخية بمجاهدين جزائريين ومناضلين كانوا قد نفيوا من بلادهم، وجندي فرنسي حضر كشاهد عيان في تعذيب الجزائريين. هذه الأدلة والبراهين كلها في الحقيقة تذكر فرنسا بتاريخها الأسود والمحاكمة في حد ذاتها «تعتبر تمثيلية تحريرية زائفة»[2].

فالعدالة الفرنسية المتحضرة تبلغ الرأي العام العالمي عن الجرائم التي كانت ضد الإنسانية في الربعينيات وتحاول أن تهمل جرائمها التي إرتكبتها في مستعمراتها وخاصة في الجزائر. أعتقد بأن جون ماري لوبان (Jean Marie le pen) الأمين العام لحزب الجبهة الوطنية (Front National) وعضو في البرلمان الأوروبي سترسبورغ (Strasbourg) كان على صدق عندما حاول أن يتهم رجال السلطة الفرنسية، لا بتطبيق أساليب التعذيب على الجزائريين أثناء الثورة التحريرية فقط بل بعرضهم على تجارب المفاعل النووي في صحراء الجزائر والمحيط الباسفيكي. إذن هذه الجرائم التي كانت ضد الإنسانية، والتي التزمت بها فرنسا في تاريخها المعاصر، من هو المسؤول عنها اليوم؟ العدالة الفرنسية!!! القوات العسكرية الفرنسية!!! الحكومة الفرنسية!!! اليمين الفرنسي المتطرف!!! أو هل اليسار

---

(1) Claude Bourdet, "Votre Gestapo Algeriens", Franee - Observateur, Janvier 1955, p. 21.

(2) The Times, june 17, 1987, p. 8.

الفرنسي المحافظ؟ فأنا لا أريد أن أناقش هذه النقطة بالتفصيل وإنما أريد أن أقترح على الحكومة الجزائرية «الحالية أو الآتية» أن تفتح ملف التعذيب من جديد وتحاكم الفرنسيين الذين تسببوا في جرائم ضد الإنسانية أثناء الثورة الجزائرية التي قامت ضد العبودية والطغيان والظلم من أجل تحرير الإنسان من الإستغلال بجميع أشكاله. وهذا ما قامت به فرنسا في أواخر الثمانينيات مع (SS MAN) كلوزباربي. وعلى هذا الأساس يجب على الجزائر أن تحاول تقديم كل الجنرالات والضباط الفرنسيين للعدالة أي للمحاكم الدولية.

وتجدر الإشارة في هذا الموضوع بأن الدول الغربية حاولت عدة مرات أن تتهم الدكتور كورت ولد هايم (Dr/Kurt Waldheim) أيضا الأمين العام السابق للأمم المتحدة ورئيس النمسا أن تورطه في جرائم ضد الإنسانية التي أرتكبت ضد اليهود خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية. وحاولت الدول الأوروبية أن تتعاون مع الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية لكي تقنع الرأي العام العالمي بعدة أدلة لا أساس لها من الصحة. واليهود الذين تعذبوا بأبشع أنواع طرق التعذيب أصبحوا الآن جلادين إذ يعذبون ويقتلون ويشردون الفلسطنيين من بلادهم أي أنهم يعاملون المسلمين في فلسطين كما كانوا يعاملون من قبل النازين، والشيء الذي يثير الدهشة والإعجاب الآن هو أن العالم الغربي المتحضر الذي وقف بجانب اليهود وتعاطف معهم أثناء الحرب العالمية الثانية لقد وقف اليوم صامتا وساكتا أمام هذه الجرائم المرتكبة في حق الإنسانية في إسرائيل وفي حق الشعب الفلسطيني، وفعلا فالتاريخ يعيد نفسه.

وفي نهاية عام 1959 فالسجون والمحتشدات التي قامت بإنشائها السلطات الفرنسية في الجزائر إمتلأت بالمساجين والمعتقلين مما جعل فرنسا تعتقد بأنها ستقضي على ما تسميه بالإرهاب والتمرد والعنف المتطرف. وعلى هذا الأساس فكرت قيادة جبهة التحرير الوطني في إنشاء مخيمات للاجئين والمتشردين في كل من تونس والمغرب أي خارج الأسلاك الشائكة المكهربة، حيث بلغ عدد اللاجئين في هذه الدول حوالي مليون لاجيء يعيشون في ظروف جد سيئة وصعبة وحسب إحصائيات سيمون دي بوفوار التي تؤكد قائلة: «وفي

معدل 550 من آلاف اللاجئين والمتشردين كانوا أطفالا، وواحد من بين 550 كانوا يموتون كل يومين؛ بما أن الكثير من النساء والشيوخ لم يكن في مقدرتهم تحمل هذه الأوضاع القاسية ويمكن أن نستنتج بأن عدد الضحايا في هذه المخيمات والمحتشدات وصل إلى أكثر من مليون شخص في ثلاثة أعوام»[1].

وأمام هذه الأوضاع المأساوية التي يعاني منها الشعب الجزائري، قرر سارتر أن يقوم بتنديده العنيف ضد وحشية الإستعمار الفرنسي في الجزائر وذلك بكتاباته ونشاطاته السياسية حيث كتب روايته المسرحية القيمة التي تبين نوايا الإستعمار الفرنسي في الجزائر ومقارنته بالنازية في أوروبا «سجناء الطونا» (1959 - Les Sequestres d'Altona) وهي تعالج أساليب التعذيب المفروضة على الشعب الجزائري والمطبقة بطرق حديثة. وهذه المسرحية قدمت بأحد مسارح باريس، وتهتم بطرق التعذيب التي يمارسها الجيش الفرنسي في الجزائر وكتب سارتر فيما بعد قائلا: «موضوعي هو أن رجل شاب عاد من الجزائر شاهد بعض الأشياء هناك ويمكن أنه شارك معهم، والتزم السكوت»[2] ولقد حاول سارتر تعريف هدف هذه الرواية قائلا: «فالأوضاع السياسية في فرنسا جعلت شفاء بعض الأشخاص بالأمر الإلزامي من أجل المجتمع، على الرغم من قذارة الوحشية التي إرتكبوها»[3].

ويعني سارتر بمفهوم كلمة «الشفاء» تدعيم وتنشيط الرأي العام الفرنسي ضد وحشية الحرب التي فرضوها على الشعب الجزائري. ونجد في هذه الرواية الجندي البطل فرانس (Frantz) الذي كان مسجونا في غرفة بلا نوافذ منذ الحرب العالمية الثانية عند عائلة ذات صناعة غنية في «ألطونا» في أحد ضواحي هامبورج (Hamburg) بألمانيا. والعمل أو الفعل الكامل للمسرحية تعود أساسا إلى تجربة النازية ووحشية الحرب، بحيث أن كل العائلة الارستقراطية كانت مسجونة والتي أصبحت مشلولة بتناقضاتها الضعف والعجز والعزلة.

(1) Simone de Beauvoir, **Force of Circumstance**, p. 468 - 9.

(2) Paul Caruso interview: Jean-Paul Sartre, March 4, 1964. **Sartre on Theatre**, Edited by Michel Contat and Michel Rybalka. Translated by Frank Jellinek, (London: Quartet Books, 1976) pp. 259 - 60.

(3) Ibid, p 260.

وفعلا في بداية روايته المسرحية أستنتج وفهم المشاهدين بأن البطل فرانس قد قتل قبل خمسة عشرة عاما كمجرم في محاكم نورمبارق (Nuremburg) وبعدها أكتشفت سرية البيت بأن فرانس مازال على قيد الحياة حيث تعذب فرانس في الجبهات الروسية. وبعد ذلك قرر فرانس أن يتحمل مسؤوليته التاريخية ومسؤولية بلاده. والهدف الأساسي من هذه المسرحية هو إكتشاف الفرد كعامل أساسي في تكوين المجتمع وكقوة تاريخية. وإهتمام فرانس أيضا كشفت له إلى أين وصل وتطور فهمه للعلاقة الفردية بالتاريخ لأنه لا يمثل النازية ولا يمثل المجرمين، وبمعنى آخر أنه لا ينتمي إلى جلادي الربعينيات. لقد عمل كجلاد، وكقاتل. وهذه البشاعة في الحقيقة كانت أفعاله لكي يبين مسؤوليته الكاملة مع هتلر القائد الأعلى للقوات المسلحة الألمانية. وعلى هذا فإهتمام فرانس حول إلى جنون كبديل نفساني لمواجهة كل أفعاله الإجرامية. ولقد علق سارتر فيما بعد على هذه الرواية المسرحية في إستجوابه مع كينيث تنيان (Kenneth Tynan) قائلا: أعتقد بأن محكمة التاريخ تحاكم دائما الإنسانية نظرا لمقاييسهم وقيمهم التي لا يستطعون هم أنفسهم تصورها. ونحن لا نستطيع أن نعرف ماذا سيقول المستقبل عنا... والنقطة الأساسية هي أن نعرف بأننا نحاكم بدون قانون كما تعودنا أن نحاكم أنفسنا، وبهذا الفكر سيكون هناك شيء رهيب[1].

حقيقة عندما امتص فرانس النازية وتبناها أصبح كمتعاون متحمس لسياسة هتلر كما يدعي قائلا:

ولقد صرحت إمرأة هتلر... إنني أملك القوة المطلقة، غيرني هتلر شحنني كراهية وجعلني مقدسا: صنع مني هتلر آخر: أنا هتلر وسأتفوق على نفسي... الألمان سيلقون بي إلى الأرض، وسينزف رجالي الأسيرين حتى الموت... أنا وحدي المسؤول عن الأسيرين. وأنا وحدي الذي سأسقطهما في مهاوي التاريخ الدرك. سيتكلمان، إن القوة هوة وأنا الذي أرى أعماقها، لا يكفي أن أختار من الذي سيعيش ومن الذي سيموت، سأقرر الحياة أو الموت بالمطواة والولاعة[2].

(1) "An interview with Jean Paul Sartre" in **Tynan Right and left**, by Kenneth Tynan. (New York: Atheneum Publishers, 1967) p. 124.

(2) سارتر، **سجناء الطونا**، ترجمة عبد المنعم (القاهرة: عالم الكتب، 1960) ص ص: 264 - 265.

وتجدر الإشارة بأن شخصية البطل فرانس كان رمزيا فقط للنقاد والمشاهدين في مسرحية سارتر. وفي الواقع كان سارتر يتكلم للرأي العام والضمير الإنساني عن الجرائم التي ارتكبها النازية في حق الإنسانية، وكذلك على تعذيب الجزائريين من قبل الفرنسيين.[1] وفي تحويله للفرنسيين الذين يعذبون الجزائريين إلى الألمان الذين كانوا يعذبون المقاومين لهم أثناء الحرب العالمية الثانية، البطل فرانس يثير الجندي الفرنسي الذي عاد من الجزائر والأمة الفرنسية المميزة بتجربتها من الإحتلال الألماني وحرب الجزائر، وعلى هذا الأساس يبدو أن تجربة قوة السلطة التي لا تطاق جعلت من شخصية فرانس جلادا بعد سقوطه وإنهزامه أمام النازية، حيث أن السلطة كانت بيد الألمان وفرانس يجب عليه أن يساندها ويدعمها لكي يجعلها سلطته القوية على الرغم من أنه لا يؤمن بالمذهب النازي، وأثناء الثورة الجزائرية فالأمة الألمانية المرعبة بأساليب التعذيب تحولت إلينا عن طريق الأمة الفرنسية.

وهنا نستنتج بأن موقف سارتر تجاه المعذبين الجزائريين كان إيجابيا لأنه حاول أن يبين الجرائم الناتجة عن التعذيب في الجزائر وقهر ما يسمة بحقوق الإنسان. ويرى سارتر بأن الفرنسيين وجدوا أنفسهم في نفس الوضعية التي يعاني منها الشعب الجزائري التي كانوا عليها أثناء الحرب العالمية الثانية حيث كتب قائلا: «وفي أثناء الحرب عندما كانت الإذاعات الأنكليزية أو الصحافة السرية تتحدث عن «أورادور» (Oradour) كنا ننظر إلى الجنود الألمان الذين كانوا يتنزهون في الشوارع نظرة بريئة وكنا نقول أحيانا: أنهم مع ذلك رجال يشبهوننا، فكيف يكون بإستطاعتهم أن يفعلوا ما فعلوا؟ وكنا فخورين بأنفسنا لأننا لم نكن نفهم»[2].

حقيقة أن الفكرة الأساسية التي تهتم بها مسرحية سارتر هي التعذيب وشخصية البطل فرانس في هذه الرواية المسرحية كرجل تعذيب وعذب أثناء الحرب العالمية الثانية والثورة الجزائرية. ولقد اعترف بذلك وأصبح متهما إذ أن حياته كانت عبارة عن عبودية للغير، أولا كانت مسلوبة من قبل أبيه، وثانيا من قبل هتلر، الآن أصبح فرانس يعيش على أوهام ذاكرته، ويعتقد سارتر بأنه لا يمكن لفرانس أن يتقبل شخصيته في هذه الظروف.

(1) Jean - Paul Sartre, an interview with Bernard Dort, **Theatre Populaire**, xxxvi.

(2) سارتر، عارنا... في الجزائر! ص: 47 ص.

من هنا نستطيع أن نقول بأن سارتر قد طور موقفه الفكري تجاه نضال الشعب الجزائري من أجل الإستقلال والحرية وهذا يتمثل في مقاله لهنري ألاق حول التعذيب عندما أكد قائلا: «إنه بكل بساطة جريمة دنيئة وحمقاء يرتكبها بشر، ضد بشر آخرين... إن اللاإنساني لا يوجد في أي مكان، إلا في الكوابيس التي يولدها الخوف»[1].

وعند كتابة روايته المسرحية التي تهتم بطرق التعذيب وسياسة الجيش الإستعماري في الجزائر في سنة 1959 كتب عن هذه الفكرة وطورها مرة أخرى والتي تدعم بدورها الحياة الكاملة للروح الشريرة للجانب غير الإنساني إذ كتب قائلا: كالليل في توافقه مع النهار. إنهم يدعون أمام اللّه أكلة بشر ويدعون أن اللّه ينصت إليهم لأنهم قد كسبوا الحرب. ولكني سأظل على ثقة من أن آكل البشر الحقيقي هو المنتصر. إعترف أيها الجندي. اعترف بأنك لم تطلب أكل اللحم البشري... أين هو شرفك؟ المذنب هو أنت. إن اللّه لن يدينك بأفعالك. بل بما لم تجرؤ على فعله... بالجرائم التي كان يجب أن ترتكب والتي لم ترتكبها. المذنب أنت! أنت! أنت![2].

لقد اهتم سارتر بروايته المسرحية التي تعالج التعذيب والجرائم المرتكبة في الجزائر حيث ركز على العدو - والمتعاون مع الإستعمار - وأوروبا المستعمرة وعلى النظام الرأسمالي، والمشاهدون لهذه المسرحية يكتشفون بأن البطل فرانس هو وصفا حقيقيا لسياسة فرنسا الإستعمارية. هل حقيقة جرائم فرنسا كانت ثقيلة في تاريخها المعاصر وسارتر كفيلسوف ملتزم بكتاباته السياسية حاول أن يكشف الغطاء عنها في شكل من أشكال النازية؟ وهذه هي النقطة الأساسية التي كتب عنها سارتر أثناء الثورة الجزائرية وفي تعريفه لبطل فرانس بفرنسا كان سارتر يؤكد بأن الألمان هم الأعداء وأثناء حرب الجزائر أصبحت فرنسا هي العدوة والمجرمة لأنها مرت في تاريخها بوحشية الإستعمار الألماني، وعلى هذا الأساس أعتقد بأن سارتر كان على صدق عندما كان يبحث عن «فكرة الحرية» في شبابه وقال «الجحيم هو الغير» (Hell is other people).

(1) نفس المرجع، ص: 52.

(2) سارتر، سجناء الطونا، ص ص: 229 - 230.

حقيقة أن سارتر لم يهتم بالجانب الإجتماعي والإقتصادي والثقافي لسياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر فقط بل اهتم وكتب أيضا عن التعذيب والعدالة الفرنسية تجاه الحركة الثورية للشعب الجزائري.

ويعتبر إهتمام سارتر بأهم الحوادث التاريخية للثورة التحريرية كدعم ومساندة للقضية العادلة التي يناضل من أجلها الشعب الجزائري أكثر من قرن وفي هذا الإطار حضر كشاهد في محاكمة محمد بن الصدوق العضو المخلص لجبهة التحرير الوطني والفدائي المتطوع لمحو العار والذل والخزي لإنقاذ شرف الثورة. وقتل «علي شكال» أحد المتعاونين مع النظام الفرنسي ونائب رئيس المجلس الوطني الجزائري الفرنسي والمساند لفكرة تحقيق حلم «الجزائر الفرنسية» (L'Algérie Française). وفي 26 ماي 1957 في مخرج ملعب كلومبس (Colombes) بباريس أطلق بن الصدوق رصاصته الشريفة نحو الخائن «علي شكال» الذي كان خارجا مع الوفد الرئاسي الفرنسي من الملعب. وتوا أعلنت جبهة التحرير الوطني عن تحمل المسؤولية الكاملة لهذه العملية الفدائية الشريفة وقالت: «نحن واحد من الذين يحاكمون، ويقولون بأنه مهما تكن الحوادث عندنا في الجزائر فهي في الحقيقة أصبحت كتبادل واقعي...»[1] وحسب سيمون دي بوفوار فإن سارتر قد تأثر عندما سمع عدة إتهامات وأقاويل حول العمل الذي قام به بن الصدوق الذي اعتبرته المحكمة كالمجرم، حيث أن سارتر اعتبر عملية الفدائي ليست عملية إرهابية بل هي عملية سياسية[2]. أما الحديث عن الرجل الخائن «علي شكال» سارتر يعود إليه في كلامه ويشبهه (بعلي الذئب Ali Chacal) وعند صدور حكم المحكمة بالسجن المؤبد على محمد بن الصدوق كتبت معظم الجرائد الفرنسية عن هذه العملية الفدائية وأسباب صدور الحكم، وتندد بهذه العملية إذ قالت إحدى الصحف: «كيف يبدو هذا الفتى وسيما قاتل شكال! واحد من عناوين الصحف».[3] بينما كتبت جريدة جبهة التحرير الوطني «المجاهد» (El-Moudjahid)

(1) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance, p. 393.
(2) Ibid. p. 394.
(3) Ibid. p. 395.

تقول: «حكم بن الصدوق: في عالم ينهار».[1] ولقد كتب فيما بعد علي هارون عضو جبهة التحرير الوطني في فرنسا سابقا عن هذا الحادث في كتابه «الولاية السابعة: حرب جبهة التحرير الوطني في فرنسا 1954 - 1962» (La 7eme wilaya: la Guerre du FLN en France 1954 - 1962) قائلا: «جبهة التحرير الوطني لم تتبن أبدا، إذ كان أقل خطورة للمناضلين من ارتكاب هذه العملية في غفلة المتفرجين دون الدخول للبحث في المنصة الشرفية المحروسة خاصة من قبل حراس رئيس الجمهورية وإطلاق الرصاص بدقة على شكال الذي كان بجانب رئيس الجمهورية».[2] هكذا بدأ سارتر يهتم بنضال الشعب الجزائري وتطور ثورته من أجل الإستقلال والحرية، ومن الممكن أنه كان يدرك بعض نتائج هذه الثورة. إذ إلتزم بكتاباته ونشاطاته الثقافية لصالح الثورة التي قامت ضد الظلم والطغيان والعبودية حيث قام فيما بعد بعقد ندوة صحفية حول «إنتهاك حقوق الإنسان في الجزائر». وفي إستجوابه لمجلة (Playboy) الأمريكية قال: «في إستطاعتك أن تقوم بفعل ضد ما فعل الناس بك وتغير نفسك. فالطفل الجزائري، بالرغم من أنه محتم عليه بقضاء وقدر بالتعذيب أو الموت، واليوم يعيش ثورته وهو الذي صنع هذه الثورة»[3].

نستنتج من هذه الدراسة أن السلطة الفرنسية طبقت أساليب التعذيب على الشعب الجزائري قصد إخماد نار الثورة والمحافظة على مشروع «الجزائر الفرنسية» وفرنسا الكبرى من دانكارك إلى تمنراست، أما الرأي العام الفرنسي إلتزم السكوت وحاول أن يتجاهل جرائم الجيش الفرنسي ويعتبرها معقولة ومنطقية ضد ما يسمى عندهم بالإرهاب بينما بعض المثقفين اليساريين بخاصة نددوا بالأعمال الإجرامية التي ظهرت في الخمسينيات والتي تجاوزها التاريخ، والفصل القادم يبين رد فعل الحكومة الفرنسية من مطالب الثورة الجزائرية في بداية الستينيات، وكذلك موقف النخبة الفرنسية المثقفة وخاصة جان بول سارتر الذي أصبح مهددا بالموت من قبل المنظمة العسكرية السرية.

---

(1) El-Moudjahid, N 14. (15 desembre 1957).

(2) Ali Haroun, **La 7E Wilaya: la Guerre du FLN en France 1954 - 1962.** (Paris: Edition du Seuil, 1986) p. 108.

(3) Jean-Paul Sartre interview with **Playboy**, may 1965. p. 72.

نهاية النهايات لفلسفة الآخر
وبداية البدايات لفلسفة الأنا
والتاريخ الجديد.

الفصل الرابع

☆ ديغول والمنظمة العسكرية السرية
وتقرير المصير للشعب الجزائري
وموقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية

1 - ديغول والمنظمة العسكرية السرية
وتقرير المصير للشعب الجزائري.
2 - موقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية

ديغول والمنظمة العسكرية السرية وتقرير المصير للشعب الجزائري وموقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية

سأحاول في هذا الفصل أن أناقش الصراع السياسي أثناء الثورة الجزائرية في عهد الجنرال شارل ديغول الذي حاول أن يوفق بين برنامجه السياسي وأهداف جبهة التحرير الوطني.

كما سنتطرق في المبحث الثاني إلى تطور فلسفة سارتر تجاه الثورة التحريرية وكيف ازدادت نشاطاته السياسية في بداية الستينيات وسوف أحاول أن أبين في نهاية هذا الفصل الموقف الإيجابي لسارتر كمثقف ملتزم بمبادئه «وبفكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها. والأسئلة المطروحة التي قد تخطر ببال القارئ كيف تمرد الجيش الفرنسي وأصبح ضد سياسة ديغول في الجزائر؟ هل حقيقة كتابات سارتر ونشاطاته السياسية كانت لصالح نضال وكفاح الشعب الجزائري من أجل الإستقلال والحرية؟

1 - ديغول والمنظمة العسكرية السرية وتقرير المصير للشعب الجزائري:

وللإجابة على هذه الأسئلة يجدر بنا أولا التطرق إلى أهم الأحداث الأساسية للثورة الجزائرية في بداية الستينيات وأن نلقي نظرة خاطفة عن الحياة السياسية لشارل ديغول (Charle André Marie Joseph De Gaulle) المولود في 22 نوفمبر 1890 تخرج من الكلية العسكرية (Academic Militaire Spint Cyr) كضابط سنة 1912، وأثناء الحرب العالمية الأولى ترقى كنقيب، وجرح مرتين وسجن من قبل الألمان وفي الحرب العالمية الثانية ترقى إلى عقيد حيث شارك في هذه الحرب وبرز كشخصية عسكرية وكبطل مقاوم في بداية الربعينيات خاصة، وبعد سقوط فرنسا في يد الألمان وجه ديغول ندائه التاريخي في 18 جوان 1940 في راديو لندن للشعب الفرنسي من أجل استمرار المقاومة ضد الإحتلال الألماني، ويعلن عن حركة الفرنسيين الأحرار. وفي نوفمبر 1945 أصبح ديغول رئيسا للحكومة الفرنسية وقدم إستقالته بعد شهرين من الحكم أي في 20 جانفي 1946.

وفي جوان 1958 عاد ديغول مرة ثانية إلى السلطة وأصبح الرئيس الأخير في الجمهورية الرابعة لفرنسا، مما دفعه إلى تأسيس الجمهورية الخامسة إذ كانت الثورة الجزائرية في عامها الرابع وخلقت أزمة سياسية حادة في هرم السلطة الفرنسية. بالإضافة إلى النشاطات السياسية في تاريخ فرنسا كان ديغول حاكما ووزيرا للجزائر المستعمرة. وكان جاك سوستال يطمح إلى هذا المنصب لكي يدعم موقفه المتمثل في «الجزائر الفرنسية» إلا أنه نال وزيرا للثقافة فيما بعد.

فعلا أن ديغول كمناضل سياسي فرنسي اهتم بالحركة وبالمقاومة ضد الإستعمار النازي، وكرجل عسكري ندد بالجرائم الوحشية أثناء الحربين العالمية الأولى والثانية!!! ما هو موقفه تجاه الشعب الجزائري الذي يناضل ويكافح من أجل الحرية والإستقلال؟ وهل حقيقة حرية الشعب الفرنسي تعني حرية الآخرين؟

في بداية شهر جوان 1958 قام ديغول بزيارة خاطفة إلى الجزائر واستقبله راؤول صالون (Raoul Salan) وقال له: - على الرغم من أن ديغول كان يدقق في كل ما يقال له على مستقبل الجزائر - «... فالإندماج هو مفتاح الجزائر. وإنه من الأهم أن تعلن عنه عند وصولك مباشرة» وكان جواب ديغول: «سنرى إذا أرادوا ذلك!»[1]. وفور وصوله استقبله سكان العاصمة من «الأقدام السوداء» والجزائريين باستقبال لا مثيل له ولم يحدث هذا منذ إندلاع الثورة التحريرية، وأمام هذا المحتشد الهائل خاطبهم ديغول في خطابه التاريخي قائلا: «إنني فهمتكم» (Je vous ai compris) إنني أعلم ماذا تريدون وتحدث أيضا بأعلى صوته في وسط مدينة الجزائر مخاطبا المعمرين والقوات العسكرية الفرنسية وذلك لفتح طريق السلام في رأيه أمام الجميع حيث قال: «في الجزائر... سيبدأ طريق التجديد والأخوة». وأعلن أيضا بأن كل الفرنسيين المتواجدين على أرض الجزائر بما فيهم عشرة ملايين جزائري مسلم سيختارون في الإنتخابات التشريعية ممثليهم بكل حرية، وفي نهاية خطابه السياسي أكد قائلا: بأن «هؤلاء» (يعني جبهة التحرير الوطني) أنا ديغول سأفتح الباب للمصالحة والتوفيق: «وتعهد أيضا بعدة

(1) Claude Paillat, Dossier Secret de L'Algérie Vol: II. (Paris: Le livre Contemporain, 1962) P. 57.

وعود للحاضرين مثل السياسيين الذين سبقوه حيث أدعى بأنه سيعمل جاهدا لتوفير العدالة والمساواة للشعب الجزائري في ظل الإستعمار، وفرنسا بدورها لا تميز بين للشعبين فهم يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات.

نستنتج من هنا بأن ديغول حاول أن يوفق بين الأقلية المتكونة من المعمرين و«الأقدام السوداء» والأغلبية من الجزائريين في خطابه السياسي الأول من نوعه في الجزائر. ولكن هذا النداء الذي حاول فيه ديغول التوفيق بين الشعبين رفض رفضا قاطعا من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني، حيث صرحوا في القاهرة ردا على سياسية ديغول تجاه الجزائر وقالوا بأن الجزائر مسلمة وليست فرنسية ولن تكون فرنسية.

وهنا تجدر الإشارة بعد الخطاب السياسي والديماغوجي الذي وجهه ديغول للشعب الجزائري و«الأقدام السوادء» والمعمرين والقوات العسكرية الفرنسية بالجزائر أصبح الوضع حقيقة معقدا لأن «الأقدام السوداء» والمعمرين يريدون حماية مصالحهم والمحافظة على إستمرار ما يسمى عندهم «بجزائر أبي» (L'Algerie de Papa) أي أن الجزائر ملك لهم ويجب أن تنتقل بالوراثة لأحفادهم لأنهم يعتقدون أنهم حاربوا من أجلها وشيدوا مدارس ومصانع واستصلحوا الأراضي واستوطنوها، وزرعوا الحضارة والثقافة الأوروبية في قلب شمال إفريقيا، وعلى هذا الأساس فهم يقفوا ويساندوا القوات الفرنسية في سياستها تجاه الجزائر. بالإضافة إلى ذلك فهم يحاولون أن يتعانوا مع الديغوليين شريطة أن يحققوا أحلامهم السياسية ومطامعهم الإقتصادية على الرغم من أن هناك فراغ سياسي بين الحكومة الفرنسية والجيش الفرنسي في الجزائر، لأن الحكومة كانت تحاول أن تنسلخ عن الجرائم اللاإنسانية التي ترتكبها السلطات العسكرية في حق الشعب الجزائري، والجيش الفرنسي لا يريد أن يتقبل الهزيمة مرة أخرى لأنه انهزم في الهند الصينية وتورط بمشاركته في العدوان الثلاثي على مصر في 1956 بقناة السويس. وفعلا فالقيادة العليا للجيش الفرنسي فقدت الأمل ويئست من تحقيق النصر، وإنقاذ شرف فرنسا، فهي تحاول مرة أخرى التخلي عن «الأقدام السوداء» والمعمرين وتدعيم سياستهم مع الديغوليين لتحقيق ما يسمى

أخوة فرانكو مسلم (Franco - Moslem Fraternization) حيث يعتقدون بأن سياسية الإندماج للمتربول ستغير الوضع الإجتماعي والإقتصادي والثقافي للجزائر ويعم الرخاء والرفاهية لكل من «الأقدام السوداء» والمعمرين وأيضا الجزائريين. لكن كيف ولماذا قدم ديغول مشروع تقرير المصير للشعب الجزائري؟

وفي 23 أكتوبر 1958 أعلن عما يسمى بوقف القتال والدخول في المفاوضات مع القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني وذلك لوقف الحرب المتوحشة، وهذا الإعلان كان في أول ندوة صحفية لديغول منذ استلامه السلطة. وقال أيضا بأن جبهة التحرير الوطني حاربت وناضلت بشجاعة في البداية وتدريجيا بدأت تفقد وزنها أمام عظمة القوات الفرنسية وهذا ما جاء به ديغول في خطابه السياسي الذي سماه «بسلام الرجل الشجاع» (Brave men's Peace) لكن الحكومة الجزائرية المؤقتة في القاهرة رفضت هذا الطلب الذي جاء بدون شروط للإستسلام حيث وضحوا سياستهم معلنين بأن محور المفاوضات ستكون حول الإستقلال الكامل للجزائر وفي دولة محايدة[1].

وفي 28 سبتمبر 1958 أعلنت الحكومة الفرنسية عن إجراء الإنتخابات للدستور الجديد «للجمهورية الخامسة» وكانت نتيجة هذا الإستفتاء لصالح الدستور أي 79٪ بنعم للدستور الجديد حيث فاز ديغول في هذه الإنتخابات على الرغم من مقاطعة جبهة التحرير الوطني لهذه السياسة الجديدة. وبعد الاستفتاء مباشرة قام ديغول بزيارته الرابعة للجزائر منذ عودته إلى السلطة لكي يركز على ما يسمى «بمشكلة الجزائر». وفي 3 أكتوبر 1958 ألقى ديغول خطابه السياسي المطول في مدينة قسنطينة، حول مشروعه الجديد للجزائر الذي يسمى «بمشروع قسنطينة» وكان أمام حوالي 40.000 مواطن حيث تحدث عن المخطط الخماسي من أجل التقدم والإزدهار، ومن أجل السلام في الجزائر وارتباطها بفرنسا وأكد قائلا:

«أوقفوا هذا القتال اللامعقول وسوف ترون ولو مرة واحدة زهرة الشجرة المثمرة الجديدة التي تتمنى أن تعم القطر الجزائري بكامله وسترون السجون

(1) Speeches and Press Conference N 119. (Paris, October 1958) P. 4.

فارغة، سترون كيف يكون المستقبل الكبير لكل واحد، وخاصة لسكان هذا البلد... هناك طريقين مفتوحين فقط للجنس البشري اليوم، الحرب أو الأخوة، في الجزائر وفي كل مكان، وبالتسبة لفرنسا لقد اختارت الأخوة (فالمجرم عندما يرتكب جريمة يبحث دائما عن الأخوة والصلح)[1].

وهنا تجدر الإشارة بأن ديغول لم يستعمل في خطابه هذا الشعارات الجوفاء والروتينية التي كانت تنادي «بالجزائر الفرنسية» وفرنسا الكبرى من دانكارك إلى تمنراست، حيث اكتفى في نهاية خطابه التاريخي باستعمال «تحيا فرنسا وتحيا الجزائر»[2].

وفي 19 سبتمبر 1958 أعلنت قيادة الثورة لجبهة التحرير الوطني في القاهرة عن تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة في المنفى ورئيسها فرحات عباس وكريم بلقاسم وزيرا للدفاع، واعترفت بهذه الحكومة المؤقتة الصين الشعبية وثمانية دول عربية، وعند هذا الإعلان التاريخي لميلاد حكومة جديدة في حركة الثورة الجزائرية صرح ديغول في ندورة صحفية بأن هذه القيادة ستفتح مجالا جديدا للسلام بالنسبة لسياسته الجزائرية. وكان ديغول يطمح إلى وقف القتال والشروع في المفاوضات وأكد ذلك بقوله: «... فنصيب السياسة للجزائر هو الجزائر ذاتها. وإطلاق النار لا تعطى حقوقا للإنسان ولا تحدد قدره. عندما يفتح طريقا للديمقراطية، وعندما تكون الفرصة للمواطنين للتعبير عن إرادتهم، وعند ذلك لا يكون طريقا آخر مقبولا، والآن هذا هو الطريق المفتوح أمام الجزائر»[3].

حقيقة أن ديغول تحدث عدة مرات عن مستقبل الجزائر وعلاقتها بفرنسا على الرغم من أن أنصار «الجزائر الفرنسية» «والأقدام السوداء» كانوا ضد الخطاب السياسي لديغول تجاه مستقبل الجزائر. وفعلا في ماي 1959 زار ديغول الجزائر مرة أخرى واستطاع أن يستفز هذه الأقلية من الفرنسيين بالإشارة والتحذير: «لأولئك الذين أرادوا العودة إلى «جزائر الأب» (L'Algerie de Papa) على الرغم من أن «جزائر الأب» ماتت وهؤلاء الذين لم يستطيعوا فهم ذلك فاليموتوا معها»[4].

(1) Charles De Gaulle, Major Address, Statement and Press Confernces, May 19, 1958 - January 31, 1964. (New York, ND) p. 21.
(2) Ibid, P. 21.
(3) Ibid, P. 26.
(4) Le Monde, 2 Mai 1959. P1.

وفي الجزائر ما زال جيش التحرير الوطني الباسل يحارب القوات العسكرية الفرنسية المسلحة بأحدث الأسلحة المتطورة من أجل تحقيق أهداف جبهة التحرير الوطني المتمثلة في الاستقلال والحرية للشعب الجزائري. أما الحكومة الجزائرية المؤقتة في المنفى فهي ترفض المفاوضات مع الحكومة الفرنسية حتى تسحب قواتها العسكرية من القطر الجزائري وتعترف بقيادة الجبهة وتقرير المصير للشعب الجزائري. وفي نهاية الخمسينيات بدأ التيار السياسي في العالم يتحول إلى رفض الاستعمار بجميع أشكاله ودعى إلى التحرر من العبودية والاستغلال. وفي أوت 1959 أعلنت بعض الدول الافريقية بأنها ستدعم جيش التحرير الوطني في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي إذا لم يتم الاعتراف باستقلال الجزائر كما طلبت تسعة دول أخرى من فرنسا أن تعترف بحرية الشعب الجزائري المسلم حيث قالت: «يجب على فرنسا أن تعترف بحقوق الشعب الجزائري في تقرير مصيره واستقلاله وتعمل حدا لهذا العمل العدواني وتسحب كل قواتها العسكرية من الجزائر، وتدخل في مفاوضات مباشرة مع الحكومة الجزائرية المؤقتة»[1].

وتجدر الإشارة بأن الدول الغربية دون إستثناء شجعت الحكومة الفرنسية بالمحافظة على «الجزائر الفرنسية» منذ إندلاع الثورة التحريرية بالرغم من أن جون كندي (John Kennedy) السيناتور (Senator) لماساشيستس (Massa Chusetts) في الولايات المتحدة الأمريكية، طلب عدة مرات بسحب القوات البريطانية والفرنسية من مستعمراتهما في إفريقيا[2]، وهذا قبل استقلال المغرب وتونس وقبل السحب الأخير للقوات البريطانية من مصر. وفي جويلية 1957 ندد كنيدي مرة أخرى في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي (The United States Congress) بسياسة فرنسا تجاه الجزائر وطلب من الحكومة الأمريكية أن تستعمل نفوذها وتتدخل لكي تؤثر على تغيير الوضع المأسوي في شمال إفريقيا حيث قال: «... من وراء المجهودات، سواء من خلال معاهدة منظمة الحلف الأطلسي أو من خلال المساعي الحميدة للوزير الأول

(1) **Le Monde**, Aout, 1959. P5.
(2) **Le Monde**, 28 Fevrier 1956. P.3.

التونسي وسلطان المغرب، وذلك للتوصل إلى حل يعترف باستقلال سيادة الجزائر وتحقيق قاعدة صلح لمستقبل حر مع فرنسا والدول المجاورة»[1].

حقيقة أن ديغول اقترح في البداية تقرير المصير على الشعب الجزائري على الرغم من أن القوات العسكرية الفرنسية في الجزائر رفضت هذا الاقتراح وشكلت حركة ضده. وفي 16 سبتمبر 1959 اقترح ديغول على الشعب الجزائري حرية الإختيار لمستقبل سياستهم بما فيه الإستقلال عن فرنسا؛ حيث قال بأن الشعب الجزائري في إستطاعته أن يختار واحد من هذه العناصر الأساسية المرتبة لتحديد مستقبله، وقدم الإختيارات الثلاثة كما يلي:

1 – الاستقلال، (الاستقلال والحرية الكاملة للشعب).

2 – الاندماج (الفرنسية).

3 – حكومة جزائرية أي الاستقلال الذاتي[2].

والسؤال الذي يخطر ببال القارئ هنا: هو كيف ولماذا عرض الجنرال شارل ديغول هذا الإختيار على الشعب الجزائري؟

فعلا كما كان متوقعا لقد كانت هناك عدة شروط وعوامل أساسية من قبل الطرفين.

1 – لم تكن هناك فرصة الإختيار للشعب الجزائري وذلك للتعبير عن أرائه بدون حرية مادامت الحرب مستمرة.

2 – الشعب الفرنسي له حق القبول أو الرفض لإختيار حرية الشعب الجزائري.

3 – فرنسا تريد المحافظة على الصحراء الكبرى.

4 – ديغول يقول ويردد بأن الإنسحاب من الجزائر يعني تقسيمها إلى قسمين، وذلك لضمان أمن وإستقرار المعمرين و «الأقدام السوداء» في المناطق الشمالية وفي الأراضي الخصبة.

---

(1) United States, Congressional Record, Val. 103, Part 81 St Congress. First Session, July 2, 1957. P.10788.

(2) Algérie Documentation, Discours du Général De Gaulle. 16 Septembre 1959. (Paris Juillet 1960). P. 1.

وهذه بعض الشروط الأساسية التي جاء بها ديغول في أحد تصريحاته، ولكن كيف كان رد فعل الحكومة الجزائرية المؤقتة لمشروع تقرير المصير الذي جاء به ديغول؟

في 28 سبتمبر 1959 بعد الدراسة المعمقة والتشاور مع بعض الدول العربية وتشجيع المعسكر الشرقي الاشتراكي لهذا الإختيار التاريخي، أعلنت قيادة جبهة التحرير الوطني عن قبولها لمبدأ تقرير المصير للشعب الجزائري وبشروط مقابلة تتمثل أهمها فيما يلي:

1 - فالحكومة الجزائرية المؤقتة تعارض وترفض رفضا قاطعا أي مشروع يحاول تقسيم الجزائر إلى قسمين.

2 - فالحكومة الجزائرية المؤقتة تعارض بشدة سياسة فرنسا التي تدعي بأن لها الحق في إستغلال البترول والغاز الطبيعي في صحراء الجزائر.

3 - كما ترفض رأي الشعب الفرنسي الذي يدعي بأن له الحق في قبول أو رفض نتائج الإستفتاء لتقرير المصير.

4 - فالحكومة الجزائرية المؤقتة لا تثق بالإدارة الفرنسية ولا تؤمن بصلاحيتها في تنظيم وإدارة الإستفتاء[1].

لقد بذل الجنرال ديغول كل ما في وسعه لنجاح مشروع سياسته تجاه الجزائر وحاول أن يقنع قيادة جبهة التحرير الوطني للتفاوض مع حكومته لأنه كان يرى بأن الحل الوحيد لحل ما يسمى عندهم «بمشكلة الجزائر» هو الإعتراف الكلي بالجزائر الجزائرية والدخول في المفاوضات مع الحكومة الجزائرية المؤقتة.

وفعلا في نوفمبر 1959 أعلن الجنرال ديغول بأن كل الجزائريين لهم القدرة الكافية لإحترام مشروع الإستفتاء، والتعبير عن رأيهم بحرية وأكد في هذا الإطار بأن «المشاركة لا تكون في الإنتخابات فقط بل أيضا في الحوار البناء الذي سيكون مستقبلا في تحديد طريقة الإنتخابات عندما يأتي الوقت وتسمح الظروف في تنظيم تسيير الحملة الإنتخابية»[2]. ولكن كيف استطاع ديغول أن يقرر ويعرض

(1) **Time**, September 29, 1959. P. 8.

(2) Speech and Press Conferences of De Gaulle, N 142, November 10, 1959, P.3.

تقرير المصير للشعب الجزائري دون إستشارة قواته العسكرية التي تقاتل من أجل ضمان «الجزائر الفرنسية» وشرف فرنسا في إفريقيا الشمالية منذ نوفمبر 1954؟

حقيقة أن ديغول عندما غير سياسته تجاه الجزائر حاول أن يهتم بالقوات العسكرية لضمان إستراتيجيته السياسية والعسكرية، بينما الجيش كان يحارب من أجل تحقيق عدة أهداف إستعمارية، حيث قال أحد الضباط الفرنسيين ردا على سياسة ديغول الجزائرية: «... إن الجيش هنا (في الجزائر)» - سيبقى هنا-[1]». وعند عودة الجنرال ماسو، بطل التعذيب، من زيارته الأخيرة من باريس قال لجيشه: «لقد عدت لأقول لكم بأن إستمرارية المعاهدة ستكون بنفس الطريقة وستبقى على حالها»[2]. وعلى هذا الأساس كان من الصعب جدا على الجنرال ديغول أن يقنع أجهزة القوات العسكرية بمشروع تقرير المصير للشعب الجزائري، لأنه كان يدرك حقيقة الجيش الفرنسي الذي حارب أكثر من سبعة سنوات لإنقاذ شرف فرنسا وفقد من أجلها أعز ضباطه وجنوده عدا الأموال والأسلحة المتطورة وذلك لضمان مستقبل «الجزائر الفرنسية». ويعتبر الجيش مشروع تقرير المصير عبارة عن وثيقة استسلام وضعف وانهزام في تاريخ فرنسا، مما دفع الجنرال ماسو إلى تحديد موقفه تجاه سياسة ديغول في الجزائر وفي استجواب له مع أحد الجرائد الألمانية: (Suddeutsche Zeitung) «... بأن ديغول لم يوضح الخطوط العريضة التي تبين هدف سياسة الجيش الفرنسي، ولم يدرك هدف المسلمين من القضية المصيرية وإذا استمرت الحكومة والجيش على هذا النمط السياسي، فيجب عليهم أن يفكروا بأن هذا ضعف منهم»[3]. وهذا التصريح دعمته الصحافة الفرنسية وخاصة أنصار «الجزائر الفرنسية» وما أكثرهم وخاصة صحيفة (L'Echo d'Alger) اليمينية المتطرفة وفعلا في 24 جانفي 1960 نظمت أول وأكبر مظاهرة في مدينة الجزائر ضد سياسة ديغول تجاه الجزائر. وأسفرت عنها العديد من قتلى وجرحى في صفوف المتظاهرين وأغلبهم من

(1) Le Monde, 31 Octobre 1959, P.3.
(2) L'Année Politique, 1959. P. 284.
(3) The interview for the Suddeutsche Zeitung was reprinted in Le Monde, 23 Janvier 1960. P. 4.

«الأقدام السوداء» ومن بين الجرحى ضابط فرنسي يتحصر قبل موته عبر إصابته برصاصة من أبناء جلدته: «أنني أموت بيأس. بعد سنتين من مشاركتي في المعارك الحربية ضد الثوار من أجل المحافظة على «الجزائر الفرنسية». وفي الأخير سقطت برصاصة فرنسية وبيد الذين ينادون «الجزائر فرنسية»[1].

وفي 29 جانفي 1960 أعلن الجنرال ديغول بأنه سيهتم ويبحث عن الحل الفرنسي تجاه ما يسمى عندهم «بمشكلة الجزائر» والجيش الفرنسي هو الذي يتولى مراقبة الإستفتاء لتقرير المصير[2]. وهنا يبدو أن ديغول حاول التوفيق بين سياسته الجزائرية والجيش الفرنسي الذي يحاول الانفصال والتمرد على سياسته والبقاء في الجزائر.

وفعلا فالجيش الفرنسي استطاع أن يكسب أنصارا «كالأقدام السوداء» والمعمرين وأنصار «الجزائر الفرنسية» واستطاع أيضا أن يكون منظمة عسكرية سرية -(L'organisation de L'Armée Secrete - OAS) التي انخرطت فيها هذه الفئات الإجتماعية. وهذه المنظمة كانت تقوم بالعمليات السياسية اللإرهابية ضد كل من يؤيد سياسة ديغول الجزائرية، لأنها كانت تعتقد بأن الجنرال ديغول تراجع في سياسته واعترف بالثورة الجزائرية، ودخل في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني. وعلى هذا الأساس فهذه المنظمة الإرهابية تعتقد بأن ديغول يمكن أن يعترف بتمردهم على أوامره ويتفاوض معهم، وقبل الحديث المختصر عن نشاطات هذه المنظمة يمكن أن نطرح السؤال التالي: كيف تأسست هذه المنظمة العسكرية السرية؟ وكيف بدأت نشاطاتها الإرهابية؟

عندما أعلن الجنرال ديغول عن تقرير المصير للشعب الجزائري أصبحت القوات العسكرية الفرنسية المتواجدة في الجزائر تسأل عن حقيقة مصيرها التاريخي وسياسة مستقبلها وبخاصة مصير المعمرين «والأقدام السوداء» الذين وقفوا بجانبهم أثناء الثورة التحريرية، وكانت مجموعة من «الأقدام السوداء» هاجرت إلى إسبانيا واستقرت بمدريد وبدأت تخطط للمحافظة على الأوروبيين في الجزائر،

---

(1) Alain de Sérigny, Un Procés (Paris: La Table Ronde, 1961) P. 193.
(2) Speech and Press Conferences, N 142, January, 1960, P. 3.

وهذه المجموعة الإنفصالية المتمردة سميت بالمنظمة العسكرية السرية التي تنظم بعضَ اليمينين المتطرفين والفاشيين الجدد ومعظمهم من «الأقدام السوداء» إذ كان يقودهم جوزاف أورتيز (Joseph Ortiz) الذي كان عضوا في «الجبهة الوطنية الفرنسية» (Front National Français) وانفصل عنها ودخل إلى الجبهة من أجل الجزائر الفرنسية (Front pour L'Algérie Française) وانظمت إليها منظمة المعمرين المستوطنة في سهول متيجة وأيدت سياستها الإرهابية المتوحشة. وعندما أدركت هذه المنظمة حقيقة سياسة ديغول الجزائرية في بداية الستينيات عادت إلى الجزائر وتسلحت بأحدث الأسلحة الأوتماتيكية، وبعد التمرد العسكري في أفريل 1961 ظهرت هذه المنظمة من جديد بقوة عسكرية وسياسية في تاريخ الثورة الجزائرية؛ حيث وسعت عملياتها الإرهابية الإجرامية في كل من الجزائر وفرنسا لكي تحقق أحلامها ومطامحها السياسية واستمرار فكرة «الجزائر الفرنسية» والمحافظة على ما يسمى عندهم «بفرنسا الكبرى من دانكارك إلى تمنراست» وتجعل البحر المتوسط عبارة عن «حوض فرنسا» وعندما انتشرت هذه المنظمة العسكرية السرية في كل من البلدين كتب سارتر يقول:

«يمكنك الملاحظة إنها النهاية؛ أوروبا تنطلق متسربة في كل مكان، ترى ماذا حدث؟ وببساطة نحن صنعنا التاريخ في الماضي والآن فإن التاريخ هو الذي يصنعنا. فأمم الأوطان القديمة بقيت لتكون الحيوان الكامل، وبقي عليها أن تكفل قواتها في معركة والتي بدورها فقدت قبل أن تنشأ، وفي نهاية المغامرة كالعادة وجدنا بأن وحشية الاستعمار التي كانت هي الشهرة والمجد المشكوك لـ «بوقود» (Bugeaud)[1]...» إن إتحاد الخدمات الوطنية بعثت للجزائر وضلت هناك لمدة «سبع سنوات بدون نتيجة... اليوم العنف يعيق في أي مكان جاءنا عبر جيشنا، جاء إلى الداخل وأخذ الملكية عنا»[2].

---

(1) (Bugeaud): Thomas - Robert Bugoeaud de La Piconnerie – (1784 - 1849) (Isly) بوقود دوق أزلي ومارشال فرنسا عرف باستغلاله العسكري عند احتلال الجزائر. وكان حاكما عاما على الجزائر سنة 1840.

(2) Sartre in his Preface to Frantz Fanon, The wretched of the Earth. P. 23.

هنا يبدو أن سارتر أدرك حقيقة الأعمال السياسية الإرهابية للمنظمة العسكرية السرية التي سجلت إسمها في تاريخ فرنسا الأسود، وذلك بسياستها التخريبية والإجرامية وإجهاض الحرية الإنسانية والتحرر من قيود الإستعمار كما سنرى في المبحث القادم.

لقد وقف معظم الضباط الفرنسيين وأنصار «الجزائر الفرنسية» ضد سياسة ديغول الجزائرية منذ 1958 وبخاصة الجنرال المتقاعد راؤول صالون الذي أكد عدة مرات وقال «لا للجزائر الجزائرية» حيث قال فيما بعد: «يجب علي أن أعود إلى الشعب وأقود المنظمة العسكرية السرية»[1] إذ كان يعتقد بأن: «...لبناء الجزائر الفرنسية، وبوحدة مشتركة من الأفكار والأفعال مع المسلمين بدون أي خلفية أو روح عنصرية»[2]. وفعلا في 22 أفريل 1961 حدث إنقلاب وتمرد عسكري في الجزائر (Coup de Force Militaire) على سياسة ديغول الجزائرية قاده مجموعة من الجنرالات المتقاعدين وهم:

1 - الجنرال راؤول صالون (Raoul Salan) القائد الأعلى للقوات المسلحة سابقا في الجزائر.

2 - الجنرال أندري ماري زلر (André - Marie Zeller) المفتش العام للقوات المسلحة البرية سابقا في الجزائر.

3 - الجنرال موريس شال (Maurice Challe) القائد الأعلى للقوات المسلحة الفرنسية سابقا في الجزائر.

4 - الجنرال إدموند جهود (Edmond Jouhaud) القائد الأعلى للقوات الجوية سابقا.

وذلك بالتعاون مع بعض الضباط الفرنسيين في جهات مختلفة؛ وهذا التمرد العسكري أدى إلى تدعيم حركة المنظمة العسكرية السرية التي رحبت بدورها بعمهلم الشجاع ونجاحهم التاريخي لإنقاذ شرف فرنسا على الرغم من عدم وجود المؤيدين لضمان نجاح سياستهم في أوساط الجيش الفرنسي.

---

(1) Le Procés du Géneral Salan. P. 81.

(2) Communications de Salan a Goddard, OAS Parle, (Docoments I).

وفعلا لم تمض ثلاثة أيام على هذا الإنقلاب العسكري؛ أي في 25 أفريل عندما أعلن ديغول عن ندائه السياسي عبر راديو الجزائر موجها إلى القوات العسكرية، حيث استطاع أن يخمد الثورة التي بدأت ضد سياسته الجزائرية ويفشل الإنقلاب العسكري ويعود الجيش الفرنسي إلى طاعة أوامره من جديد ويصبح بعد ذلك الجنرال ديغول قائدا وبطلا عسكريا ناجحا، بينما الجنرال شال والجنرال زلر استسلما في عدة أيام، أما الجنرال صالون والجنرال جهود هربا وأسسا شبكة سرية ضد سياسة ديغول الجزائرية حيث أصبحوا فيما بعد من أبرز قادة حركة المنظمة العسكرية السرية الإرهابية.

وبعد عدة أيام بدأت العمليات الإرهابية التخريبية في المدن الجزائرية وخاصة في مدينة الجزائر من قتل وذبح وتدمير. فالقنابل اليدوية في كل مكان، والرعب والخوف في جميع الأوساط الشعبية، إلى جانب هذه الأعمال الإجرامية المتوحشة إندلعت مسيرات ومظاهرات ضد سياسة ديغول تجاه الشعب الجزائر، وضد إنسحاب القوات العسكرية الفرنسية من الجزائر، وذلك من أجل المحافظة على «الجزائر الفرنسية». ونتج عن هذه الأعمال جرحى وقتلى في صفوف الجزائريين الأبرياء. إن هذه العمليات الإجرامية لم تكن في الجزائر فقط بل كانت تصطاد كل من ساند وأيد الثورة الجزائرية، أو ناصر سياسة ديغول الجزائرية، واستطاعت هذه المنظمة الإرهابية أن تفجر عدة قنابل في نهاية 1961 في مقرات الصحف المؤيدة لسياسة ديغول وخاصة الصحف الناطقة بإسم اليسار الفرنسي حيث هددت عدة شخصيات سياسية وحربية في كل من الجزائر وفرنسا. وعلى هذا الأساس نجد النخبة المثقفة الجزائرية المسلمة كالأساتذة والمحامين والأطباء والمهندسين والكتاب قتلوا من قبل هذه المنظمة من بينهم الدكتور شريف زهار الصديق الحميم لهنري آلاق، الذي عذب أمام زوجته في 1957، والأديب الجزائري مولود فرعون الذي قتل بوحشية همجية وبطريقة بشعة. بالإضافة إلى ذلك قامت هذه المنظمة بقتل كل موزعي البريد في نفس اليوم بمدينة الجزائر. وعلى الرغم من هذه المجازر المتتالية فالمنظمة الإرهابية تعلن قائلة من مقرها الرسمي بمدريد بأنها ضد كل من

يخدم لصالح إستقلال الجزائر أو يتعاطف مع الشعب الجزائري، كما تتهم الحكومة الاسبانية بتجاهلها للوضع في الجزائر، وتعلن عن إستمرار العمليات الإرهابية إلى أن يعترف ديغول بهم كمنظمة سياسية ويتفاوض معهم: على الرغم من أن نشاطهم محدود في الجالية الأوروبية المتواجدة في الجزائر وبعض الضباط في الجيش الفرنسي. وفي هذه الظروف الصعبة التي يعجز عن ضبط حوادثها التاريخية المؤرخون، ويصعب تحديد مواقعها الأساسية، قامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بتغيير سياستها تجاه الاستعمار الفرنسي وذلك لمواجهة المفاوضات كحل سياسي في تاريخ الثورة الجزائرية وكشرط أساسي لإيقاف الحرب المتوحشة؛ وعينت لرئاستها يوسف بن خدة خلفا لفرحات عباس في 27 أوت 1961. بن خدة السكرتير العام لحزب مصالي الحاج سابقا، ووزيرا للشؤون الإجتماعية في الحكومة المؤقتة السابقة. وهذا الإعلان جاء بعد المؤتمر الثاني لحزب جبهة التحرير الوطني بطرابلس.

وفي أول خطابه في ملتقى دول عدم الإنحياز ببلغراد في سبتمبر قال بأن جيش التحرير الوطني سيواصل نضاله الثوري من أجل تحقيق الحرية والاستقلال للشعب الجزائري، وأكد أيضا في ندوة صحفية بأنه مستعد لتفاوض مع الحكومة الفرنسية دون التنازل عن المناطق الساحلية للمعمرين و«الأقدام السوداء» أو على الصحراء الجزائرية.

حقيقة أن هذا التعيين الذي جاء في ظروف قاهرة لرئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة الجديدة رحب بتعيينه بعض المثقفين الفرنسيين الذين اهتموا بتطور حركة الثورة الجزائرية منهم فرانس فانون الذي قالت عنه سيمون دي بوفوار: «لقد كان فانون مقتنعا بالقرار السياسي الذي اتخذه المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس بتعيين بن خدة وبهذا يعتقد فانون بأن النصر على الأبواب، لكن بأي ثمن!...»[1].

لقد بدأت المفاوضات السرية بين الحكومة الفرنسية والحكومة الجزائرية المؤقتة ما بين ديسمبر 1961 وجانفي 1962 إذ صرح الجنرال ديغول فيما بعد بأن سياسته قادته حتما إلى الإعتراف بالشعب الجزائري وبالاستقلال والحرية. وفي 5 فيفري رحبت الحكومة الجزائرية المؤقتة بهذا الإعتراف واعتبرته كخطوة إيجابية نحو

(1) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance, PP. 608 - 9.

الاستقلال. وفعلا في 18 مارس 1962 وقع الجانبان على وثيقة توقيف القتال. وأصبحت تسمى «باتفاقيات إيفيان» (Les Accoords d'Evian).

وفي 19 مارس 1962 توقف القتال رسميا بين القوات العسكرية الفرنسية وجيش التحرير الوطني. ومن هنا بدأت المحادثات السياسية بين الجانبين واقتنع الطرفان بهذه المفاوضات التي أدت إلى عدة نتائج إيجابية تضمن العلاقات السياسية والإقتصادية بخاصة. وفي 7 جوان قامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بإرسال وفدا لها للتفاوض الرسمي والأخير مع الوفد الرسمي للحكومة الفرنسية، ويرأس الوفد الجزائري كريم بلقاسم والوفد الفرنسي يرأسه لوي جوكس (Louis Oxe) الذي يشغل منصب وزيرا للجزائر في حكومة ديغول.

وفور الإعلان عن هذه الإتفاقية قامت المنظمة العسكرية السرية الإرهابية بمعارضتها الشديدة والعنيفة ضد سياسة الجنرال ديغول الجزائرية، وضد كل ما حدث في إيفيان بين الجانبين وما بين يومي 21 و 26 مارس قامت هذه المنظمة بعدة أعمال إرهابية وتخريبية ذهب ضحيتها عدة مدنيين وأغلبهم جزائريون بالإضافة إلى ذلك قامت بقتل المرضى في أحد المستشفيات بمدينة الجزائر بطرق همجية ووحشية كما قاموا بتفجير عدة قنابل يدوية في الأماكن الحيوية وخاصة السيارات الملغمة بالقنابل منها السيارة التي انفجرت بميناء الجزائر وذهب ضحيتها أكثر من 62 عاملا جزائريا وأكثر من 100 جريح. كما قامت أيضا هذه المنظمة الإهابية بحرق المكتبة الجامعية قصد القضاء على معركة البناء والتشييد للجزائر المستقلة وحاولوا أن يهدموا ويحرقوا جميع المنشآت الحيوية للبلاد لكي يحطموا آمال ومستقبل الشعب الجزائري أثناء معركة البناء والتشييد.

إن هذه الحرب المعلنة من قبل المنظمة العسكرية السرية الإهابية لم تكن في الجزائر فقط بل أصبحت تهدد المجتمع الفرنسي والنظام السياسي القائم في ذلك الوقت والدخول في تصفية الحسابات حيث قامت بقتل رئيس بلدية إيفيان. وقامت بعدة عمليات ضد الأماكن الإستراتيجية داخل فرنسا، وحاولت أن تضع حدا للجمهورية الخامسة لشارل ديغول عدة مرات. وفي أوت 1962 أي بعد إسترجاع

السيادة الوطنية من مخالب الاستعمار قامت هذه المنظمة المتطرفة بمحاولة اغتيال الجنرال ديغول والقضاء على الجمهورية الخامسة حيث أطلقت عدة رصاصات على سيارته لموزين (Limousine) الرئاسية وقد كان راكبا رفقة زوجته واللواء ألان دي بواسيو (Alain de Boissieu) صهره أي زوج إبنته ونجوا بأعجوبة. وفي سبتمبر 1962 أي بعد تصريح ديغول عما يسمى «بمشكلة الصحراء» وهي أصلا جزائرية (وكيف تتدعى بأنك تتخلى عن شيء وأنت لا تملكه!!!) وإعلانه بأن فرنسا تخلت عن «مشكلة الصحراء» للجزائر وتعترف بها كأرض جزائرية، قامت المنظمة الإرهابية كعادتها بمحاولة فاشلة وذلك لتفجير قنبلة يدوية في سيارة ديغول عندما كان في طريقه إلى (Colombe - les - deux - Eglises). نستنتج: بأن هذه العمليات الإرهابية التي تقوم بها المنظمة في كل من الجزائر وفرنسا ما هي إلا عمليات ضد إستقلال الجزائر وسيادتها الوطنية.

وأثناء هذه الظروف الصعبة التي تواجه فيها قيادة جبهة التحرير الوطني المفاوضات السياسية مع الحكومة الفرنسية من جهة والعمليات الإرهابية المتوحشة التي تقوم بها المنظمة الإرهابية من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس فالحكومة الجزائرية المؤقتة أجبرت لكي تعترف بالمنظمة العسكرية السرية وتتفاوض معها من أجل السلم والاستقرار والمحافظة على أرواح المسلمين الأبرياء. ووقف نزيف الحرب الذي مازال يذهب ضحيته الجزائريون الأبرياء وهذه المفاوضات كانت في الحقيقة مع ممثلي «الأقدام السوداء» والمعمرين الفرنسيين وفي كتابه «المنظمة العسكرية السرية» (L'organisation Armée Secrete) ماري تيريز لانسولت (Marie Therese Lancelot) كتب يقول: «... في فترة الأيام الأخيرة، عندما وصل كريم بلقاسم إلى الجزائر، بدأت المفاوضات في (Rocher - Noir) وفي أماكن أخرى بين قيادة جبهة التحرير الوطني والمنظمة العسكرية السرية وبحضور المنفذين المؤقتين[1]. وفعلا في 17 جوان (1962) أعلنت قيادة جبهة التحرير الوطني وممثلي المنظمة العسكرية السرية عن إمضاء إتفاقية توقيف القتال بصفة

(1) Marie - Thérése Lancelot, L'organisation Armée Secrète, Vol (Paris: Presses de la FNSP, 1963) P.51.

نهائية، وبهذا يبدأ الشعب الجزائري في العمل من أجل الاستفتاء لتقرير المصير كما أردته الجمعيات العامة للأمم المتحدة.

وفعلا عندما تفاوضت قيادة جبهة التحرير الوطني مع المنظمة العسكرية السرية ووقعت وثيقة معاهدة وقف إطلاق النار على الأبرياء؛ توقفت العمليات الإرهابية المتتالية التي تقوم بها هذه الأخيرة وأنصار «الجزائر الفرنسية». بدأت الإنتخابات التاريخية التي ستقرر مصير الشعب الجزائري في أول جويلية 1962 والتي تضمنتها نتائج مفاوضات «إتفاقيات إيفيان» وبمصادقة من الجمعية العامة للأمم المتحدة. ونتائج هذه الإنتخابات النهائية والمعلنة من قبل اللجنة الإنتخابية «بنعم» لصالح «الجزائر الجزائرية» مقدرا بـ 5.975.581 صوت، بينما كان عدد المنتخبين «بلا» قدر بـ 16.534 صوت وأغلبهم من أنصار «الجزائر الفرنسية» بما فيهم الجزائريين المتعاونيين مع الاستعمار الفرنسي. وبعد يومين من إعلان عن نتائج الإنتخابات أي في 3 جويلية صرح ديغول معلنا عن اعتراف فرنسا رسميا باستقلال الجزائر وأكد في خطابه التاريخي هذا عن مستقبل العلاقات الجزائرية الفرنسية التي تنص عليها «إتفاقيات إيفيان»[1]. وفور إعلانه وإعترافه بالجزائر كدولة مستقلة عن فرنسا؛ قامت الحكومة الفرنسية بتعيين جان مرسل جينني (Jean-Marcel Jeanneney) كأول سفير لها بالجزائر. أما الحكومة الجزائرية المؤقتة فقد أعلنت عن إستقلال الجزائر في 5 جويلية 1962 ولأول مرة في تاريخ الجزائر يحتفل شعبها بتكوين دولة مستقلة حرة ذات سيادة.

وفي أول إحتفال لها بعيد النصر قامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بتقديم تشكراتها وإعترافاتها بالجميل لكل الذين وقفوا بجانبها وساندوها من أجل تحرير الجزائر من قيود الإستعمار الفرنسي، وخاصة الدول العربية والإسلامية وبعض الدول الشرقية والصين الشعبية بخاصة، وانتقدوا بشدة سياسة الدول الغربية تجاه الاستعمار الفرنسي في الجزائر وخاصة دول الحلف الأطلسي التي ساهمت في تدمير الجزائر وإرتكاب الجرائم اللاإنسانية في حق الشعب الجزائري. كما طلبت أيضا وبإلحاح من الشعب الجزائري أن لا ينسى أبدا مليون ونصف المليون من

(1) French Affairs. N 140. July 3, 1962. PP.1 - 2.

الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف وضحوا بأنفسهم من أجل استقلال الجزائر ومن أجل أن يعيش أبناء الشعب الجزائري والأجيال القادمة بحرية وبكرامة وبعزة تجعلهم يقدسون تاريخ شهدائهم الأبرار.

قد يبدو للبعض أن شهر جويلية هو شهر الفرحة والنصر في الجزائر فقط لكنه في الحقيقة هو شهر البؤس والشقاء والمحن والدم والدموع أيضا أي أنه نقطة الانطلاق من الصفر لمعركة البناء والتشييد ومسح دموع اليتامى وأرامل الشهداء وتعويضهم بالروح الوطنية والأمل في بناء جزائر مستقلة.

نستنتج من هذا المبحث أن بداية الستينيات هي بداية الرعب والخوف من وحشية الجيش الفرنسي وهمجية المنظمة العسكرية السرية الإرهابية التي دمرت وخربت ما بقي في الجزائر من بقايا حرب الخمسينيات وكذلك دور الجمهورية الخامسة للجنرال ديغول في سياسته تجاه الجزائر، والمبحث الثاني من هذا الفصل سيهتم بدراسة تطور كتابات سارتر السياسية.

2 - موقف جان بول سارتر من الثورة الجزائرية

قبل التطرق إلى موقف جان بول سارتر تجاه الثورة الجزائرية في بداية الستينيات رأينا من الأفضل أن نتحدث عن نشاطاته الثقافية وكتاباته السياسية كما رأينا في مدخل كل فصل من هذا الكتاب.

حقيقة أن من بين إلتزاماته «بفكرة الحرية» هو التنديد بشدة بوحشية الجيش الفرنسي في الجزائر حيث كتب سارتر في نهاية الخمسينيات «سجناء ألطونا» لكي يبين للرأي العام كيف يمارس التعذيب على الشعب الجزائري على الرغم من أن صحته النفسية كانت متدهورة حسب سيمون دي بو فوار، وفي 4 جانفي 1960 توفي ألبير كامو، الخصم الأساسي والمعارض الوحيد لأفكار سارتر وقد حزن وتأسف سارتر لموته نظرا للتعاون الثقافي والصداقة التي كانت بينهما قبل نشوء الخلافات والمناظرة التاريخية بينهما إذ كتب سارتر فيما بعد عن حياة كامو وفلسفته في مجلة «فرانس أبسرفاتور» (France Observateur).

بالإضافة إلى النشاطات السياسية والتنديد بالأعمال الوحشية ضد الشعب الجزائري، ازدادت شهرة سارتر العلمية في بداية الستينيات وخاصة عندما ألف كتابه الفلسفي الثاني القيم «نقد العقل الجدلي» (Critique de la Reason Dialectique - 1960) بعد كتابه الأول والمهم في الفلسفة المعاصرة «الوجود والعدم» الذي ظهر في 1943. حقيقة أن «نقد العقل الجدلي» ظهر كدراسة تاريخية لإعادة النظر في الماركسية كإيديولوجية القرن والتي بدأت في بداية الخمسينيات كفلسفة جديدة تنادي بتحرير الإنسان من الإستغلال الطبقي والصراع السياسي والثقافي والإجتماعي. ولقد وعدنا سارتر بكتابة الجزء الثاني من هذا الكتاب لكنه مع الأسف لم يظهر هذا الجزء كما قال في نهاية كتابه الأول «الوجود والعدم» حيث ادعى في نهاية الكتاب بأنه سيكتب كتابا في «علم الأخلاق» الذي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني لكنه لم يظهر.

لقد تطور موقف سارتر تجاه الثورة الجزائرية في بداية الستينيات إذ دعم «فكرة الحرية» التي كان ينادي بها أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي فيفري 1960 قام بزيارة إلى كوبا مع سيمون دي بو فوار وتقابل مع الرئيس الكوبي فيدال كاستدرو (Fedel Castro) وزار جامعة هافانا حيث ناقشا مع الطلبة تطورات الثورة الكوبية وقارنها بالثورة الفرنسية والثورة الروسية. إلى جانب هذه النشاطات عقدا ندوة صحفية في التلفزة الكوبية. وفي هافانا التقى مع بعض المثقفين البرازليين واستدعوه لكي يلقي محاضرة ويندد بالسياسة الديماغوجية الفرنسية تجاه الثورة الجزائرية، وذلك لمساندة الحركات التحررية في العالم الثالث وتدعيم الإتجاه اليساري في البرازيل. وعند عودته إلى باريس كتبت جريدة (France - Soir) حوالي ستة عشرة مقالة بعنوان «عاصفة فوق السكر»: وهي عبارة عن تقارير من جان بول سارتر على فيدال كاسترو (Ouragan sur le sucre: un grand reportage a Cuba de Jean Paul Sartre sur Fidel Castro).

وهذه الزيارة التي قام بها سارتر إلى كوبا أحدثت تغيرات في اتجاه الرأي العام الفرنسي نحو سياسة سارتر ومبدئه الثابت، حيث كتبت جريدة (Le Monde) عنوانا في إحدى صفحاتها تقول «السيد جان بول سارتر رسم خطان متوازيان

بين كوبا والجزائر» (M,J,P. Sartre dresse un Parallele entre Cuba et L'Algérie») ومن هنا أصبح سارتر لا كفيلسوف وأديب وروائي فقط بل كمفكر سياسي عالمي يهتم بالعلاقات الدولية، إذ حضر لحفل الإستقبال الذي نظمه أكروتشوف (Kraushchev) رئيس الإتحاد السوفياتي سابقا بالسفارة السوفياتية بباريس. وفي ماي 1960 استدعى سارتر من قبل إتحاد الكتاب اليوغسلافيين حيث استقبل من قبل الرئيس الماريشال تيتو (Marschal Tito) وألقى محاضرة في جامعة بلغراد، ومع هذا «فالقضية الجزائرية» مازالت تسيطر على حياته السياسية والأدبية.

وفي جوان من نفس السنة ظهر سارتر كشاهد في محاكمة الصحافي اليساري الفرنسي جورج أرنود (Georges Arnaud) الذي كتب التقرير العام غير القانوني على اللقاء الذي تم بين جبهة التحرير الوطني «والشبكة السرية» لجونسون. ومما قاله سارتر عن هذه المحاكمة: «ليس لدينا منصات أخرى غير المحاكم» وعند محاكمة «الشبكة السرية» لجونسون من قبل المحكمة العسكرية التي دامت حوالي شهرا، تعهد سارتر بمفاجئة المحكمة، وفعلا أرسل برقية تأييد ومساندة «الشبكة السرية» والتي تؤكد تضامنه الكامل مع هذا الأخير، وهذا الإعلان قرأ في المحكمة العسكرية حيث صرح بصريح العبارة قائلا:

«لا أظن أنه يوجد في هذا المجال مهام شريفة ومهام سوقية (غير شريفة) أو نشاطات مخصصة للمثقفين وأخرى غير جديرة بهم. فإن أساتذة السربون، أثناء المقاومة، لم يترددوا في نقل المراسلات وإقامة الإتصالات. ولهذا إذ طلب مني جونسون حمل حقائب أو إيواء مناضلين جزائريين، بحيث أقوم بهذه المهمة بغير أن أعرض حياتهم للخطر، فسأقوم بذلك دون تردد، ولهذا أعتقد، أن هذه الأشياء يجب أن تقال: ذلك أن الوقت قد حان إذ يجب على كل شخص أن يتحمل مسؤوليته[1].

لقد بدأت سنة 1961 بالتمرد والعنف والإرهاب، والظلم والطغيان وشتى أنواع التعذيب من قبل المنظمة العسكرية السرية في الجزائر والتي امتدت إلى فرنسا أي السنة التي هدد فيها سارتر بالقتل. وأيضا هي السنة التي تأثر فيها بموت

(1) Françis Jeanson, Sartre dans sa vie (Paris: le Seuil, 1964) P.217.

أعز صديقين له هما الفيلسوفين مورلو بوانتي (Merleau-Ponty) المفكر الفينمنولوجي أي الظاهرتي، وفرانس فانون المفكر الثوري المعاصر الذي قابله آخر مرة في روما بإيطاليا حيث قرأ كتابه **«معذبو الأرض»** وكتب له مقدمة كانت عنيفة وشديدة اللهجة للإستعمار الفرنسي في الجزائر، وصرح معلنا مساندته وتأييده لنضال الشعب الجزائري فقط بل أعلن تأييده أيضا للحركات التحررية في العالم الثالث. وإبان إستقلال الجزائر نجد أرملة فانون قد ردت ردا تهكميا حيث أنها قامت بحذف مقدمة كتاب زوجها التي كتبها سارتر لأنها لم توافق موقفه تجاه الحرب التي قامت بين العرب وإسرائيل سنة 1967 (ونتيجة لذلك لا نجد مقدمة سارتر لفانون في «معذبو الأرض» الطبعة الجديدة – وعلى طلابنا أن يبحثوا عن هذه المقدمة في الطبعة الأجنبية).

وفي نوفمبر 1961 شارك سارتر في مظاهرة سلمية إحتجاجا ضد القمع والقتل الجماعي للعمال الجزائريين المتظاهرين في 17 أكتوبر في باريس والتي حققت نجاحا سياسيا للثورة الجزائرية. وفي 13 ديسمبر حضر في جمعية واسعة نظمها ممثل جبهة التحرير الوطني السيد الطيب بولحروف وممثلين من اليسار الإيطالي حول إستقلال الجزائر. ونظرا لكتاباته السياسية ونشاطاته الثقافية حول القضية المصيرية للشعب الجزائري منحت له (سارتر) جائزة أميقا (The Omega Prise) في ميلانو بإيطاليا.

وفي جانفي 1962 قام سارتر بتقديم أدلة للمحكمة من أجل الدفاع عن «أبي روبير دافيزيز» (Abbé Robert Davezies) الذي اتهم بمساعدة أعضاء جبهة التحرير الوطني في أحد عملياتهم السياسية. وبذلك أصبح سارتر مهتم بتطور فلسفة الثورة الجزائرية وحركاتها السياسية حيث شارك في مسيرة ضد العمليات الإجرامية والوحشية التي تقوم بها المنظمة العسكرية السرية الإرهابية في كل من الجزائر وفرنسا. وفي 14 مارس انتخب سارتر نائبا لرئيس الجمعية الأورروبية للكتاب (Vice-President) (Congrés de la Communauté Européenne des Ecrivains - COMES). وعند إعلان توقيف القتال في 18 مارس 1962 كتب سارتر مقالا بعنوان «المشاة النائمون» (Somnabules) وضح وكتب عن

السلام وقساوة التحرير من وهم العظمة وقارنها مع تحرير فرنسا في 1945 عندما تنفس الفرنسيون الصعداء من ويلات الحرب وشعروا بالحرية والاستقلال. ويعتقد سارتر في هذا المقال بأن الشعب الفرنسي ارتاح وتخلص من جرائمه الجهنمية في الجزائر وطلب من الفرنسيين أن يقفوا ضد العمليات الارهابية التي تقوم بها المنظمة العسكرية السرية في كل من الجزائر وفرنسا، ولكي لا تتوسع وتنتشر الفاشية والديكتاتورية في فرنسا خاصة، وقبل الاعلان عن استقلال الجزائر ذهب سارتر وسيمون دي بوفوار إلى الاتحاد السوفياتي وبولندة. وفي موسكو استقبل من قبل أغروتشوف (Khrushchev) وهناك التقى بالكتاب الروسيين الذين طلبوا منه أن يشارك في مؤتمر السلام (Peace Congress) الذي سينعقد في موسكو من 9 إلى 14 جويلية 1962. وفي 9 جويلية عاد سارتر إلى موسكو وحضر المؤتمر وألقى خطابا مهما حول «تحرير الثقافة من السلطة العسكرية» وجعلها في خدمة الشعب لأنها استعملت كهدف أساسي في الحرب الباردة، وبالإضافة إلى هذه النشاطات الثقافية كتب فيما بعد في مجلة إيطالية (Rinascita) مقالا حول أهمية الثقافة ووحدتها والحرب الباردة.

حقيقة أن بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين أيدوا سارتر وسياسته تجاه الثورة الجزائرية ففي بداية سبتمبر 1960 قام 121 مثقفا فرنسيا بإمضاء بيان رسمي. "Declaration sur le droit a L'insoumission dans la guerre d'Algérie".

أصبح يدعى (Le Manifeste des 121) وهو يدافع عن الحقوق الشرعية للشعب الجزائري حيث أكدوا وقالوا:

- «إننا نحترم ونحكم مبررين رفضنا لحمل السلاح ضد الشعب الجزائري.

- إننا نحترم ونحكم مبررين سلوك أو تصرفات الفرنسيين الذين يرغبون ويرون أن من واجبهم مد يد العون وحماية الجزائريين المقهورين بإسم الشعب الفرنسي.

- وقضية الشعب الجزائري التي تساهم بطريقة حاسمة في تدمير النظام الإستعماري هي قضية كل الأفراد الأحرار»[1].

ومعظم الممضيين على الإعلان التاريخي من المثقفين العاملين بمجلة «الأزمنة الحديثة» التي يديرها سارتر وسيمون دي بو فوار والروائي ميشال بوتور (Michel Butor) وعالم الإجتماع ماكسيم رودينسون (Maxime Rodinson) وكذلك إبنة فلورنس (Florence) والزوجة السابقة كلارا (Clara) لوزير الثقافة أندري مالرو. حقيقة فالموقف هنا يثير الدهشة والحيرة أي كيف يمكن أن ينظم بعض المثقفين الفرنسيين إلى جانب نضال الشعب الجزائري في تقرير مصيره، ويتمردوا على نظام بلادهم، ويقومون ضد سياسة رئيس الجمهورية الجنرال ديغول (General De Gaulle) تجاه الجزائر! إذن ما هو رد فعل السلطات الفرنسية نحو الذين أعلنوا عصيانهم لفرنسا؟

وفي 28 سبتمبر من نفس السنة أعلن الوزير الأول الفرنسي ميشال ديبري (Michel Debre) بأن الحكومة ستتخذ الإجراءات الصارمة ضد «الشبكات السرية» التي تدعو إلى التمرد والعصيان ومساعدة الذين يرفضون واجب الخدمة العسكرية والهاربين منها لتوظيفهم في نشاطاتها العملية والسياسية. وأصدر بيانا يمنع كل المثقفين المؤيدين والمتعاطفين مع الثورة الجزائرية وخاصة الممضين «للبيان 121» بعدم ظهورهم في التلفزة والراديو والمسرح، وقد قامت أيضا بسجن الصحافي الكاثوليكي لمدة أسبوعين حيث عثرت الشرطة في مكتبه على 170 نسخة من هذا البيان، وأوقفت خمسة صحافيين، إلى جانب ذلك هناك عملية بحث وتفتيش وتمشيط لمقرات الجرائد والمجلات التي تندد بالحرب من قريب أو من بعيد منها: (France-Observateur, L'Express, Les Temps Modernes, Verité- Liberté, Esprit). «إن البيان 121» جعل الحكومة الفرنسية في معضلة إلا أنها اتخذت موقفا وسطيا حيث تجاهلت بعض الموقعين وقامت بالحد على البعض وخاصة الذين تعتقد بأنهم زعماء الفتنة، ولكي لا تقع

(1) François Maspero, Le droit à L'insoumission: "le dossier des 121". P.18.

في ورطة وتفلت الأمور من يدها مع أنصار «الجزائر الفرنسية» والأحزاب اليمينية قامت بمعاقبة بعض المثقفين. وفعلا في 3 أكتوبر 1960 قام أنصار ومتعاطفوا «الجزائر الفرنسية» وما أكثرهم بتنظيم أكبر مظاهرة عنيفة وشديدة اللهجة بشعاراتها العنصرية ضد الموقعين في «البيان 121» من سبعة إلى ثمانية آلاف عضو في الجمعيات والمنظمات السياسية وخاصة منهم أعضاء الجيش المتقاعدين، نظموا مسيرة كبرى إنطلقت من ساحة (Arc de Triomphe) بباريس إحتجاجا ضد الذين تمردوا وأعلنوا عصيانهم عن النظام الفرنسي وساندوا الشعب الجزائري في تقرير مصيره. وقبل إنطلاقهم في هذه المسيرة رددوا شعاراتهم المألوفة: «وقفوا صامتين من أجل الذين دفعوا ضريبة ثقيلة وماتوا من مدنيين وعسكريين الذين سقطوا تحت نير جبهة التحرير الوطني»[1]. وأغلبية المتظاهرين والمحتجين كانوا ينادون بأصوات مختلفة منها الشتم واللعن لكل الممضيين «للبيان 121» وخاصة سارتر حيث يصرخون بأصوات عالية ويقولون:

أعدموا جان بول سارتر (Fu-si-Ilez-Jean-Paul Sartre)

الجزائر فرنسية (Al-ge-rie Fran-caise)

حرروا الزعماء (li-be-rez-la- gai-Ilarde)

صالون في السلطة (Salon-au-Pou-voir)[2]

وأكد سارتر فيما بعد، وقال لم نكن مهددين بالسجن والشتم والخوف فقط، بل كنا مهددين بالموت من أجل الدفاع عن قضية الشعب الجزائري، إذ كان أنصار «الجزائر الفرنسية» ينادون في مسيرتهم بشانز ليزي (Champs Elysee) «الموت لسارتر» وقال أيضا: «نعم في ذلك الوقت... فالحكومة الفرنسية تريد محاكمتي من أجل إمضائي للبيان مثل 120 الممضين الآخرين»[3]. وعلى الرغم من أنه صرح سارتر عدة مرات بأنه لم ينتمي إلى أي منظمة أو حركة تنتمي إلى الثورة الجزائرية، لقد عمل وفعل ذلك بإرادته والتزاما لمبادئه ومواقفه، وكذلك إيمانه «بفكرة الحرية»

(1) Annie cohen - Solal, Sartre: A life, P.426.

(2) Ibid, P.426.

(3) Simone de Beauvoir, Adieux: A Farewl to Sartre. P.369.

الإجتماعية السياسية التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وعلى هذا الأساس كان شيئًا طبيعيا بالنسبة إليه أن ينظم إلى حركة المثقفين لإمضاء «البيان 121» لصالح الشعب الجزائري حيث صرح في استجواب له لمجلة (Verité-Liberte):
«... فاليسار الفرنسي يجب عليه أن يتضامن مع جبهة التحرير الوطني... إنتصار جبهة التحرير الوطني سيكون إنتصارا لليسار الفرنسي»[1].

أما رد فعل وسائل الإعلام الفرنسية تجاه الموقعين «للبيان 121» كان عنيفا كما كان متوقعا وخاصة الصحافة اليمينية التي اهتمت بالموضوع واعتبرته كتمرد على فرنسا حيث علقت عنه لمدة شهرين وكانت تشتم صاخبة سارتر وتتهمه بالعداوة والخيانة لفرنسا إلخ... ونجد جريدة (Paris-Press) كتبت في صفحاتها الأولى عنوان: جان بول سارتر، سيمون سيقنورت ومائة آخرين جازفوا بخمس سنوات سجنا[2]. بالإضافة إلى ذلك قامت الأحزاب والجمعيات السياسية اليمينية بتنديدها الشديد لهذه الأعمال المتمردة ضد شرف وكرامة فرنسا. وسارتر كان أكثر إتهاما وتورطا بالنسبة للموقعين «للبيان 121» حيث أكد فيما بعد: «لقد صرخنا إحتجاجا، كما أمضينا، وركزنا على مصداقية الإمضاءات، وقد أعلنا حسب عاداتنا في التفكير: «أنه لا توجد إمكانية للقبول...» أو «للبر وليتاريا التي لا تقبل...» وفي الأخير إننا موجودون وحاضرون: إذن لقد قبلنا كل شيء...، لقد تعلمنا شيئا واحدا: أن مبدأنا ضعيف»[3].

إن النشاطات السياسية والعلمية التي قام بها سارتر لمساندة الشعب الجزائري لا تدعم وتشجع اليسار الفرنسي فقط بل تدعم الحركات الثورية في العالم الثالث وتشجعها على مواصلة نضالها وكفاحها ضد الإستعمار والأمبريالية. ومن هنا يمكن أن نطرح الأسئلة التالية عن هذه النشاطات السياسية لسارتر– هل هي حقيقة لصالح الشعب الجزائري أم هي نابعة من المسؤولية الإجتماعية؟ – وهل الجزائريون يعتبرون سارتر مناضلا في ثورتهم المقدسة؟

(1) Sartre, Verité-liberté, 7 Aout 1960.
(2) Paris - Press. 8 Septembre 1960.
(3) Sartre (introduction) Paul Nizan, Aden-Arabie (Parie: François Maspero, 1971) P.13. - 4.

لقد صدق بعض المؤرخين الجزائريين الذين قالوا بأن الإستعمار الفرنسي دخل إلى الجزائر بالقوة والعنف وخروجه منها سيكون بالمثل أي بالعنف والقوة. وفعلا منذ نوفمبر 1954 وجبهة التحرير الوطني تلح بإستمرار على مواصلة إستعمال العنف والقوة والقيام بالعمليات الفدائية ضد العدو الفرنسي في الجزائر إلى أن تعترف فرنستا بشرعية الشعب الجزائري المسلم وممثلها الوحيد والناطق الرسمي له - جبهة التحرير الوطني - وهكذا واصل الشعب الجزائري الجهاد ضد الوجود الإستعماري في بلاده لإسترجاع سيادته الوطنية، حيث وسع العمليات الحربية لا في الجزائر فقط بل حتى في فرنسا الأم لكي يفقد الإستعمار الفرنسي آماله ومطامعه في الجزائر ويكف عن سلب ونهب خيراته وثرواته الطبيعية، وهذا ما يؤمن به الجزائريون اليوم.

وفي دفاعه عن الثورة الجزائرية أكد سارتر وقال بأن من العوامل المزيفة والمخادعة أن نصف جبهة التحرير الوطني «بالجبهة الإرهابية» لأن الأسباب الأساسية التي دفعتهم إلى إستعمال القوة والعنف هو أسلوب إستعمار وهذا الأخير يركز على العنف؛ أولا فأسلوبه يتمثل في الإحتلال ثم بإستعمال عدة طرق للإستغلال والإضطهاد وعندما يحاول أن يقوم بمعاهدة صلح ينبه قائلا: «أريد أن أحذركم مما يمكن أن يسمى (خداع الإستعمار الجديد) أن الإستعماريين الجدد يذهبون إلى أن هناك مستعمرين صالحين ومستعمرين أشرارا، وأن حالة المستعمرات إنما ساءت بسبب هؤلاء الأشرار[1].

وعلى هذا الأساس نستنتج بأن الإستعمار الفرنسي في الجزائر قد خلق وجعل الإنسان يؤمن بالعنف والقوة كسلاح أساسي لإسترجاع كرامته وحريته، وتجدر الإشارة هنا بأن سارتر هاجم ذلك الأسلوب اللاأخلاقي للنظام البرجوازي قبل الحرب العالمية الثانية في كتابه «الغثيان» (1938) وأثناء الثورة الجزائرية ظهر الأوروبيون على حقيقتهم «وتجردوا من إنسانيتهم» واكتشف الشعب الجزائري بأن هناك إيديولوجية زائفة للنظام الفرنسي وتبرير مثالي للنهب والسلب يحاول أن يقنع به المضطهدين[2].

(1) سارتر، عارنا... في الجزائر! ص: 05.

(2) **Le Monde**, 13 Decembre 1969.P.15.

وفي تحليلنا لفلسفة سارتر وتطوره الفكري إنطلاقا من الإضطهاد والإستغلال إلى إستعمال العنف والقوة نجد أنه قد أكد أثناء الحرب العالمية الثانية في كتابه **«الوجود والعدم»** بأن العنف هو العنصر السلبي في الحياة السياسية، وأثناء المقاومة الفرنسية أدرك سارتر بأن الثورة ضد الإستعمار من العناصر الأساسية لمكونات العنف والقيم الأخلاقية والشخصية الوطنية، وباستعمال العنف ندافع عن حريتنا لأن الإنسان هو «مشروع الحرية». وهذه الفكرة سيطرت على فلسفة سارتر قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها حيث طورها في الستينيات في كتابه **«نقد العقل الجدلي»** عندما تحدث عن الحرية الفردية والتاريخ البشري، والعنف كعنصر أساسي لتحرير الإنسان من الإستقلال وكذلك من المسؤولية الإجتماعية[1].

أما في كتابه «الوجود والعدم» فقد اهتم سارتر بالطبقة المظطهدة والتطور الإجتماعي والسياسي لهذه الفئة حيث كتب قائلا:

«والمولى» (سيد الإقطاع)، «والسيد الإقطاعي»، و«البورجوازي»، أو «الرأسمالي» يبدون لا كأقوياء يتحكمون ويأمرون فقط، بل وأيضا، وقبل كل شيء كأطراف ثالثة أي أولئك الذين هم في خارج الجماعة المظطهدة والذين من أجلهم هذه الجماعة توجد. فإذن بالنسبة إليهم وفي حريتهم توجد حقيقة الطبقة المظطهدة، وهم يجعلونها تتولد بنظرتهم[2].

ويرى سارتر بأن تحطيم هذا الإظطهاد وإزالته يجب على المظطهدين أن يحاربوا هذا الإستغلال بالإرادة الكاملة ويدركوا شروط التغيير الإجتماعي والصراع الطبقي، إذ أكد سارتر قائلا: «... ولهم وبهم تنكشف هوية حالي وحال المظطهدين الآخرين؛ وبالنسبة إليهم أوجد في موقف منظم مع الآخرين، وممكناتي بوصفها ممكنات – ميتة تساوي تماما مع ممكنات الآخرين، وبالنسبة

(1) – فعلا أن هزيل بارنس (Hazel Barnes) الفيلسوفة الأمريكية التي كتبت عن سارتر والفلسفة الوجودية عامة، أكدت وقالت بأن فلسفة سارتر وكتاباته ونشاطاته السياسية واضحة ومرتبطة إرتباطا علميا من البداية إلى نهاية تطور أفكاره والسارترين هم الذين عقدوا أفكاره الفلسفية وشرحوها بطريقتهم الخاصة (رسالة خاصة للكاتب من هيزل بارنس).

(2) – جان بول سارتر، الوجود والعدم. ص: 672.

إليهم أنا عامل، وفي وبواسطة كشفهم كغير - نظرة أشعر بنفسي واحدا من بين آخرين. ومعنى هذا أنني أكتشف «النحن» (للدلالة على الإنسانية المعذبة)[1].

أما في دراسته السيكولوجية والنقدية «للقديس جينيه: كوميديا وشهيدًا (1952- Saint Genet, Camedien et Martyr)» كتب سارتر عن شخصية الأديب الفرنسي جينيه وحياته التي كانت فوق الإخفاق تارة والنجاح تارة أخرى ووصف لنا حرمانه من الأبوين وشبه طفولته بالموت حيث تربى تربية الأشرار (Voyou) وبهذا أراد جينيه أن يكون لصا لكي يبحث عن الحب والملكية. حقيقة في البداية يبدو أن هذه المواقف والأخلاق متناقضة حيث نستنتج بأن تحليل سارتر لهذه المبادئ لشخصية القديس جينيه توضح لنا بأن أفكاره تطورت وبخاصة تلك الأفكار المتمثلة في التمرد والعنف ضد المجتمع. بالإضافة إلى ذلك يرى سارتر بأن جينيه أراد أن يكون لصا لكي يثبت وجوده، لكن السرقة قادته إلى فقدان حريته، وسجن عدة مرات، وآخرها حكم عليه بالسجن المؤبد، على الرغم من أنه كان ثوريا وكان يحب نظام المجتمع الفرنسي مع الكراهية الشديدة والمبالغة في حبه للوطن. كما بحث أيضا عن وجوده في المجتمع لكنه وجد نفسه يتيما وبدون إسم، وأدرك حقيقة وجوده أي أنه «لا شيء» وهو ضحية المجتمع الذي يعرف الوجود الإنساني «بالملكية» الخاصة، وأراد جينيه أيضا أن يكون، لكنه يجب عليه أن يملك لكي يكون، وعلى هذا الأساس فهو لا يستطيع أن يشتري ما يريده ولا يستطيع أن يرث لأنه إبن غير شرعي.

وبهذا قرر جينيه أن يتظاهر بوجوده لكي يملك، ويتمنى أن يكون في هذا المجتمع لكي يكون حرا. وهذه العوامل دفعته إلى القيام بدور اللص، حيث كان يعتقد بأن الله سيعوض غياب أمه والسرقة ستعوض ملكيته. وهكذا عاش جينيه طفولته المتشردة والشاذة وشبابه الضائع إلى أن أخبره المجتمع بحقيقة أمره، ووصف سارتر جينيه قائلا: «لا أستطيع أن أقدم صورة كاملة عن صاحب المكان، ولكن أفعاله وسلوكه تذكر به... أنا أغرق في فكرة الملكية. وأنا أعيد

---

(1) نفس المصدر ص ص: 672 - 673.

خلق المالك الغائب. إنه موجود ليس وجها لوجه معي ولكنه موجود من حولي. إنه عنصر سائل استنشقه، ويخترقني، والذي يبلل الرئتين»[1].

لقد تطورت كتابات سارتر الفلسفية والأدبية منذ الحرب العالمية الثانية وظهرت نشاطاته السياسية تجاه الحركات التحررية في العالم في بداية الخمسينيات، وتجدر الإشارة هنا أن أول إهتمام سارتر بالقضية الجزائرية تتمثل في مقاله السياسي والإقتصادي «الإستعمار هو أسلوب». وفي هذه الدراسة تبنى النظرية الماركسية حيث يعتقد بأن أسلوب الإستعمار في الجزائر كان مهتما ومركزا أساسا لا على منع وإبعاد السكان الأصليين فقط بل على إستغلال خيراتهم وثرواتهم الطبيعية وتحقيق حلم «الجزائر الفرنسية». وفي إجابته للمعمرين «والأقدام السوداء» في الجزائر قال سارتر:

«... نعم إن الفلاح يموت جوعا، نعم، إنه بحاجة إلى كل شيء: إلى الأرض والعمل والعلم، نعم إن الأمراض ترهقه، نعم، إن حالة الجزائر الراهنة تشبه أسوأ ألوان البؤس في الشرق الأقصى، ومع ذلك فيستحيل البدء بالتغيرات الإقتصادية، لأن بؤس الجزائريين ويأسهم هما النتيجة المباشرة الضرورية للإستعمار، ولأنه لا يمكن إزالتها إطلاقا مادام الإستعمار قائما. وهذا ما يعلمه «جميع» الجزائريين الواعين، وجميعهم يقرون قول ذلك المسلم «خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الخلف: ذلك هو الإصلاح الإستعماري[2].

وفي تحليلنا لتطور كتابات سارتر السياسية وفلسفته تجاه الثورة الجزائرية نجد أنه اقترح الحل لهذه الملحمة التاريخية سنة 1956 وقال إن الإلغاء الكامل للأساليب التي ينتهجها الإستعمار الفرنسي في الجزائر بمعناه الإستقلال والحرية للشعب الجزائري. وفي «سجناء ألطونا» (1959) ندد سارتر بأساليب التعذيب المطبقة على الشعب الجزائري، وفي هذه الرواية المسرحية تحدث عن شخصية البطل فرانس (Frantz) وشبهه بفرنسا البلد (France) التي كانت جرائمها

(1) Sartre, Saint Genet, Actor and Martyr.p.244.

(2) – سارتر، عارنا... في الجزائر! ص: 24.

الكبرى مسجلة في تاريخ البشرية، كما رأينا في الفصل السابق، وهذا البطل هو عبارة عن نداء لوعي المجتمع الفرنسي الذي سمح لقواته المسلحة بتعذيب الجزائريين. وعندما ختم سارتر روايته توجه إلى الشعب الفرنسي بخطاب مهم من أجل الدفاع عن البطل فرانس قائلا:

«أيتها القرون... هذا هو القرن الذي أعيش فيه، وحيد ومشوه، وهذا هو المتهم، موكلي يفتح نفسه بيده. ما تحسبينه ليمف أبيض هو دم: دم خال من كرات الدم الحمراء لأن المهتم يموت من الجوع. ولكن سأطلعك على سر هذه الجروح الكثيرة: كان يمكن أن يكون هذا القرن قرنا صالحا ما لم يكن الإنسان يراقبه منذ الأزل. هذا العدو القاسي الذي أقسم أن يحطمه هذا العدو الوحش الأجرد الشرير آكل لحم البشر. إن هذا العدو هو الإنسان نفسه... هذا هو شرنا. كان الوحش مختفيا ثم فاجأنا بنظراته في أعماق عيون جيراننا. وهكذا ضربنا ضربتنا: دفاع مشروع عن النفس، فاجأت الوحش. ضربت وسقط إنسان، وفي عينيه الميتتين رأيت الوحش مازال حيا... ما مصدره؟ ما حقيقته؟ هذا الطعم الزنح الميت في فمي؟ من الإنسان؟ من الوحش؟ من نفسي؟ إنه طعم القرن أيتها القرون السعيدة يا من تجهلين كراهيتنا - كيف يمكن أن تفهمي القوة الخاطئة التي لحبنا الفاني، الحب الكراهية... كان موكلي أول من عرف العار: يعرف أنه عار. أيها الأطفال يا ذوي الوجوه الجميلة لقد خرجتم منا. آلامنا صنعتكم، هذا القرن إمرأة.. إنه في المخاضي أتحكمون على أمكم بالإعدام؟ هيا أجيبوا! لم يعد القرن الثلاثون يجيب! ربما لن تجيء قرون أخرى بعد قرننا، ربما طمست قنبلة واحدة كل الأنوار كل شيء سيموت: العيون. القضاة. الزمن. الليل. فيا قضاه الليل، أنتم يا من كان يجب أن تكونوا ويا من ستكونون ويا من أنتم ويا من كنتم، أنا. فرانس فون جيرلاش. هنا في هذه الحجرة، قد حملت القرن على كتفي وقلت: أنا المسؤول عنه اليوم وإلى الأبد، فما قولكم؟... والآن أجيبوا؟»[1].

---

(1) - سارتر، سجناء الطونا، ص: 287 - 288.

ومن خلال هذا الخطاب نستنتج بأن الضمير أنت في نهاية الفقرة لا يعني كل واحد منا فقط بل يعني الكل بحيث نستطيع أن نطلق عليه المسؤولية التاريخية كما صرح سارتر في أحد إستجواباته: «أريد من المشاهد أن يشعر ويحس شخصيا لعدة درجات في حضوره لهذه المحكمة... وبطريقة أخرى، في حضور مجيء القرون القادمة»[1].

بالإضافة إلى ما تقدم نجد سارتر درس التاريخ لأنه يهتم بدراسة الحوادث الماضية للشعوب، وجوهريا فالتاريخ مفهوم إنساني صنع من قبل الإنسان والإنسان هو المبدع لخلق الأشياء في هذا العالم، وسارتر يدرك حقيقة «الوعي التاريخي» للإنسان حيث يرى بأن الوعي عو وعي الأشياء الحقيقة وهذا ما جاء به في كتابه الأول «الوجود والعدم» وطور هذه الفكرة فيما بعد في كتابه الثاني «نقد العقل الجدلي» وحلل سارتر في هذا الأخير عدة نقاط أساسية كالعلاقات الإجتماعية بين أفراد المجتمعات المختلفة والمتطورة وهو يرى: «... العنف الوحيد الذي يمكن تصوره هو المتمثل في الحرية ضد الحرية التي تكون من قبل وساطة مصطنعة للشيء»[2]. وهنا تجدر الإشارة بأن هذا القول يمكن أن يحدث في الحياة الشخصية للفرد عبر « نظرية سوء الطوية» لسارتر (self-deception-Bad faith - mauvaise foi) أو التحليل الإجتماعي عبر الشيء المجرد الذي يصبح ماديا في التاريخ.

حقيقة أن محاكمة شبكة جونسون السرية كسبت أنصارا وأعداء في الأوساط اليسارية الفرنسية خاصة، وعلى هذا الأساس نجد عدة منظمات سرية تقوم بمساعدة المهاجرين الجزائريين المتشردين من وحشية الحرب منها «منظمة الشباب المقاومين» (Jeune Resistance) الذين رفضوا الإلتحاق بالخدمة العسكرية الفرنسية والهاربين منها، ولقد أسس هذه المنظمة موريس ماشينو (Maurice Maschino) الذي كان مدرسا في المغرب، وكتب عدة إنتقادات راديكالية عن الثورة الجزائرية. وفي دفاعه عن هذه الحركة الشبانية أكد ماشينو وقال: «لقد قاموا بالعصيان والتمرد لكي تبقى أيديهم نظيفة، بالأخلاق ولكي تعطي نموذجا حيا ومثلا عليا قصد تشجيع المتمردين

(1) - سارتر في حوار مع مجلة (L'Express) جانفي فيفري 1960.
(2) Sartre, Critique of Dialectical Reason.P.689.

الآخرين...»[1] وكما كان متوقعا، فالأرضية السياسية «للشباب المقاومين» كانت مطاردة من قبل السلطات الفرنسية ومحل إنتقادات من الصحافة مثل المعارضة الفرنسية. بالإضافة إلى ذلك كانوا يلقبون بالأطفال (infantile) حيث أن الكاثوليكي جون ماري دوميناش (Jean-Marie Domenach) قال بأن هؤلاء سيقفون بجانب النخبة المثقفة اليسارية وكذلك الذين يرفضون تأييد سياسة الجيش الفرنسي في الجزائر نظرا لأسباب عديدة وخاصة الجانب الأخلاقي المستقل عن الجوانب السياسية حيث صرح قائلا:

«وأنا أوافق الشباب في وعيهم عندما اتخذوا قرارا بعدم مشاركتهم في حرب الجزائر... وأنا معاد لأي إستشارة أو نصيحة تحاول تغيير المتمردين من صف المعارضة الواعية إلى صف السياسة العامة الفعلية... المتمردين... يستطيعون أن يكونوا فقط شعارا سياسيا إذا كان أحد المسؤولين له المقدرة، كالبولشفكيين في 1917... الذين تجاوزوا بسرعة العصيان المسلح ويدعمون العدو فقط...»[2]

وبذلك نجد أن «الشبكة السرية» لجونسون «والشباب المقاومين» «والبيان 121» ساهموا في حركة التمرد والعصيان على النظام الفرنسي وحاولوا إنشاء جبهة معارضة قوية للتأثير على الرأي العام الفرنسي ومساعدة الثورة الجزائرية، على الرغم من ظهور هذه الحركة وفي بداية الستينيات المؤيدة لسياسة جبهة التحرير الوطني إلا أنهم لم يؤثروا على القوات العسكرية الفرنسية في إستمرار الحرب المتوحشة في الجزائر.

حقيقة لم يكن عدد المساعدين الفرنسيين للثورة الجزائرية كبيرا على الرغم من أن جبهة التحرير كانت ترحب بهم وبمشاركتهم الفعلية والعملية إلى جانبها، وعلى هذا الأساس نجد كل من جونسون وسارتر قدموا عدة أسباب موضوعية لكسب أنصار من اليسار الفرنسي لتدعيم موقفهم السياسي الذي لا يتمثل في المساعدة المادية فقط بل في مواصلة العمل النضالي لتحقيق إستقلال الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية للشعب الجزائري البطل لأن إنتصار جبهة التحرير الوطني هو إنتصار في إعتقادهم لليسار الفرنسي.

---

(1) Maurice Maschino, L'engagement. (Paris: François Maspero, 1961) P. 21.
(2) François Maspero, le droit a L'insoumission "le dossier des 121" PP.141 - 2.

وفي مقدمة «معذبو الأرض» لفرانس فانون كان سارتر في مقاله أكثر صراحة في الدفاع عن العنف المستعمل من قبل المقاتلين الجزائريين لإسترجاع كرامتهم وحريتهم المسلوبة، حيث أعلن سارتر في هذا الإعلان الصريح تضامنه مع جيش التحرير الوطني وندد بشدة ومن جديد بوحشية القوات العسكرية الفرنسية وعاتب الرأي العام الفرنسي على سياسة السكوت والصمت على هذه الأعمال الإجرامية واللاإنسانية واللاأخلاقية واللاحضارية. وعلى هذا الأساس فهو يعتقد بأن الوقت قد حان لكي نؤيد ونساند سياسة العصابات للثوار الجزائريين ونؤمن بأن العنف هو الشيء الوحيد والطريقة الأساسية لمعالجة «العصاب الإستعماري أي الإضطراب العصبي الوظيفي». وبالعنف يحدد الإنسان سياسته ويعيد نفسه لكي ينطلق من جديد ليتحدى الإستعمار وذلك لتحرير شخصيته. وبهذا يكون سارتر قد قدم لنا نوعا آخر من «الحرية البسيشكية» (liberation Psychic) وأكد بأن العنف هو الطريقة الوحيدة لتحطيم النظام الإستعماري حيث قال:

لا شرف يمكن أن يمحي آثار العدوان فقط لأن العدوان نفسه يمكن أن يمحي هذه الآثار، فالمواطن الذي يعالج نفسه من الأعصاب الإستعمارية عن طريق دفع المعمرين بواسطة قوة السلاح. وعندما يرتفع غضبه، فإن المستعمر يعيد إكتشاف برائته الضائعة ويصبح عارفا لنفسه بأنه يستطيع بنفسه أن ينشأ نفسه بنفسه، وعندما يبتعد عن الحرب، يعتبر ذلك كنجاح للهمجية. ... عندما يأخذ الفلاح البندقية في يده فإن الأساطير القديمة تزول وتظمحل والمحرمات تنسى واحدة بواحدة. إن سلاح المتمرد هو دليل إنسانيته... إن قتل الأوروبي يعني قتل عصفورين بحجر واحد، وهو تحطيم المسيطر والرجل الذي يسيطر عليه...[1]

وفانون أيضا بدوره تحدث عن العنف لأنه كان يدرك حقيقة الإستعمار الفرنسي في الجزائر وتأثره بالعنف؛ وإستعمال العنف من قبل الثوار يعتبر كسلاح لتحرير الإنسان والقضاء على الإستعمار. بينما هدف الإستعمار هو القضاء على هذا العنف لإحياء المعمرين «والأقدام السوداء» وموت المجتمع الأصلي، إذ قال فانون:

(1) Sartre in his preface to Frantz Fanon's The wretched of The Earth. PP.18 - 19.

غير أن هذا العنف، لأنه العمل الوحيد الذي يقوم به الشعب المستعمر، يكتسي طابعا إيجابيا إنشائيا. فإن هذا الكفاح العنيف يجمع الأفراد، إذ أن كل واحد منهم يصبح حلقة عنيفة في السلسلة الكبرى، في الجسم الكبير العنيف الذي أنبجس ردا على عنف الإستعمار، فإذا الفئات المتخلفة تعرف بعضها بعضا، ويلتقي بعضها يبعض، وإذا الأمة المقبلة تكون منذ الآن كتلة غير منقسمة[1].

ولقد كتبت سيمون دي بو فوار في أحد مذكراتها عن تفهم وقناعة سارتر بحقيقة وموضوعية فانون في تحليله للوضع الإجتماعي والسياسي لتطور الثورة الجزائرية حيث أكدت بأن سارتر كان متفقا مع ما جاء من أفكار ثورية في كتابه «معذبو الأرض» أي بيان العالم الثالث الذي تحدث فيه عن التطرق الكامل وإستعمال العنف لتحرير الإنسان من قيود الإستعمار. وعلى هذا الأساس كتب سارتر مقدمته القيمة لكتاب فانون حيث ندد بشدة وبوحشية وجرائم الإستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري باسم التقدم والحضارة الأوروبية[2]. بينما فانون يعتقد بأن التحرر يحدث نتيجة العنف الشامل لتحطيم نظام الإستعمار والإمبريالية لا في الجزائر فقط بل في العالم الثالث الذي يكافح ويناضل من أجل إسترجاع سيادته الوطنية وتحقيق العدالة الإجتماعية. وفي هذا الإطار يبدو أن فانون وسارتر لهما نفس الفكرة والهدف في قضية التحرر من قيود الإستعمار والذي يتم تحقيقه عن طريق العنف. والكفاح المسلح الذي يؤدي حتما إلى ميلاد مجتمع جديد.

حقيقة أن سارتر طوّر أفكاره في بداية الستينيات التي تهتم بالعنف في كتابه «نقد العقل الجدلي» واستعمله كشكل مطلق للبراكسيس (Praxis) أي العمل الخلاق المبدع، وأكد بأن المصادر الأساسية للعنف سببها الإستعمار الفرنسي في الجزائر وقال: «إن عنف المتمردين هو عنف المعمرين، وسواه لا يوجد أي عنف آخر»[3].

بالإضافة إلى ذلك ركز سارتر في طرحه لفكرة العنف على توعية الرأي العام الفرنسي الذي يقوم بحرق المسلمين ودفنهم أحياء باسم المحافظة على الحضارة الأوروبية «والجزائر الفرنسية».

(1) فرانس فانون معذبو الأرض. ص 58.

(2) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance. P.609.

(3) Sartre, The Critique of Dialectical Reason, P.689.

بيد أن هناك إنتقادات ومعارضة شديدة لما جاء به سارتر في مقدمته لفانون أكثر مما أكده فانون شخصيا على إستعمال العنف كسلاح أساسي لتحرير الإنسان من قيود الإستعمار، لأن كشف طرق التعذيب المطبقة على الشعب الجزائري هو كشف النقاب عن الجرائم الفرنسية المرتكبة في حق الإنسانية، وإذا قارناها بجرائم النازية أثناء الحرب العالمية الثانية نجدها أرحم وسكوت الرأي العام الفرنسي عنها وخاصة المثقفين اليساريين الذين يدعون بأنهم أهل المبادئ السامية (حرية هي حرية الغير) على هذه الحرب تعتبر جريمة في حد ذاتها إذ قتلت أكثر من مليون جزائري ودمرت المداشر والقرى والمدن وشردت الأهالي من ديارهم، وبهذا أصبحت هذه الحرب إجرامية ومسؤولية تاريخية في تاريخ فرنسا الأسود.

وفي أكتوبر 1961 بباريس نظمت مسيرة ضد العنف من قبل الأحزاب اليسارية وشارك فيها حوالي 100.000 شخص وذلك للتنديد بالأعمال الإجرامية التي تقوم بها السلطات العسكرية الفرنسية والأحزاب اليمينية المتطرفة والعنصرية في فرنسا ضد المهاجرين الجزائريين الذي يتعرضون للقتل يوميا، ولقد صرح سارتر في أحد استجواباته بأن جثث الجزائريين تلقى يوميا في قنال سان مارتان (Canal de Saint - Martin) بباريس. وأثناء المسيرة قامت الشرطة بقمع المتظاهرين تسببت في جرح عدة أشخاص وخسائر مادية.

حقيقة أن سياسة الإستعمار الفرنسي في الجزائر خلفت الخراب والدمار والتشريد والجثث البشرية في كل مكان. وبالإضافة إلى الجرائم المرتكبة من قبل السلطات العسكرية هناك منظمات إرهابية أخرى تعمل مستقلة حيث تقوم بقتل كل من تعتقد أنه يدعم جبهة التحرير الوطني، وهكذا استمرت العمليات الإرهابية في الجزائر من قبل المنظمة العسكرية السرية حتى جويلية 1962، إذ وسعت هذه الأخيرة نشاطاتها السياسية وعملياتها الإرهابية داخل فرنسا نفسها مما دفع النظام الفرنسي إلى التفكير في الديكتاتورية والفاشية بطريقة عصرية للخروج من هذا الصراع العسكري والسياسي الذي ظهر في أرووبا المتحضرة. بينما النخبة المثقفة كانت تعتقد بأن النظام الديكتاتوري الذي ظهر في فرنسا

بشكل يختلف عن الدول الأوروبية الأخرى قد يؤدي إلى الحرب الأهلية (وهذا ما كنا نسعى إليه أثناء الثورة التحريرية للشعب الفرنسي) أما سارتر يذكر الشعب الفرنسي بجرائمهم الوحشية في حق الشعب الجزائري والمشوهة لتاريخهم العريق حيث قال: «إنك تعلم علم اليقين بأن الجرائم المرتكبة باسمنا، وليس في إستطاعتك أن تتنفس بكلمة واحدة عنها لأي أحد، وحتى لنفسك خوفا من وقوفك لمحاكمة نفسك... ثمانية سنوات من السكوت... فرنسا هي اسم البلد، يجب أن نكون على حذر لأن سنة 1961 ليست اسم لمرض عصبي»[1].

حقيقة أن الحرب التي دامت أكثر من سبع سنوات وقتلت أكثر من مليون ونصف شهيد لتحرير الجزائر ودمرت كل ما هو قابل للتدمير وخربت كل ما هو قابل للتخريب وزرعت الفوضى والبلبلة في صفوف الأبرياء قصد تشتيتهم ونشوب حروب أهلية بينهما. بينما الحكومة الفرنسية حاولت عدة مرات أن تقنع الرأي العام العالمي بأن الثورة الجزائرية هي حركة من حركات الشيوعية التي يدعمها المعسكر الشرقي الإشتراكي وجعلها منطقة إستراتيجية في شمال إفريقيا تابعة للغزو الشيوعي كما خطط لينين (lenine) طريقة تقسيمه للعالم أي من بين بكين إلى باريس[2]. وكتب سارتر فيما بعد قائلا.

عندما رجعت من المعتقل الذي كنت فيه كأسير في 1941، نعم، يبدو أنه من الممكن ومن السهل لتأسيس «مقاومة». لقد بحثت عن الأشخاص وقلت «سنقاوم هذا الألمان» إلخ... وبالفعل فالمجموعة الصغيرة التي أسسناها وكوناها كانت ممزقة تماما نظرا للأوضاع السائدة وتدريجيا زالت. لقد كان من المهم... أن تتماسك وتترابط هذه المجموعة وتتحد على قاعدة صلبة. أقدم لكم هذا المثل الحي[3].

على الرغم من أن موقف سارتر وكتاباته السياسية تجاه الثورة الجزائرية كانت إيجابية ولصالح نضال وكفاح الشعب الجزائري من أجل إسترجاع سيادته

(1) Sartre in his preface to Frantz Fanon's The Wretched of the Earth. P.25.
(2) Tony Smith, "Idealism and People's War: Sartre on Algeria" Political Theory, VI,1973.p.446.
(3) Sartre, "Les Communicates ont Peur de la Revolution". (Parie: John Didier, 1968), P. 40.

الوطنية من مخالب الإستعمار منذ 1956 أي عندما التزم كمثقف ذو مبادئ فكرية يعبر عنها بقلمه في دورية «الأزمنة الحديثة» لم يحضر لأكبر تظاهرة تاريخية عاشها الشعب الجزائري بمناسبة إستقلال الجزائر التي احتلها الإستعمار الفرنسي أكثر من قرن. وفي 5 جويلية 1962 احتفل الشعب الجزائري بعيده التاريخي الأول لإستقلال الجزائر والذي لم ينسى في تاريخ الحركة الثورية للشعب الجزائري. بينما سارتر الذي وقف بإمكانياته المتواضعة إلى جانب الثورة التحريرية لم يحضر لهذا الإحتفال التاريخي لعدة أسباب أهمها:

1 – أن سارتر كان مهتما «بمؤتمر السلام» (Peace Conference) الذي انعقد بموسكو من 09 إلى 11 جويلية.

2 – تفرغ سارتر لكتابة مسيرة طفولته أي قصة حياته والتي نشرت فيما بعد بعنوان (Les Mots) «الكلمات».

3 – أنه لم يستدعي رسميا من قبل الحكومة الجزائرية المؤقتة على الرغم من التأثير الذي أثره على الرأي العام الفرنسي عامة وقيادة جبهة التحرير خاصة.

4 – أن سارتر كمثقف التزم «بفكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية.

وفي تقييمنا لموقف سارتر الذي التزم شخصيا بالمسؤولية الإجتماعية كمفهوم سياسي، وكمثقف اهتم بتطور أفكاره تجاه «فكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها حيث صرح عدة مرات بأن حريته هي حرية الغير. وفي كتابه «الوجود والعدم» قال سارتر بأن الإنسان هو المسؤول على نفسه وعلى وجوده في هذا العالم، وأكد بأن «... ما يحدث لي يحدث لي بنفسي ولا أستطيع أن أتأثر به ولا أن أتمرد عليه ولا أن أذعن له... فإن كل ما يقع لي هو لي، ينبغي أن نفهم،.. إنني دائما على مستوى ما يقع لي، بوصفي إنسانا، لأن ما يحدث لإنسان بواسطة أناس آخرين وبواسطته هو لا يمكن إلا أن يكون إنسانا»[1].

---

(1) – سارتر، الوجود والعدم، ص: 873.

ومن هنا نستنتج بأن إلتزامات سارتر لنظريته الفلسفية مرتبطة مع كتاباته للثورة الجزائرية، ويرى بأن قبوله للوضع كفرد فهو مسؤول علي هذا الوضع الإجتماعي والسياسي والثوري كما يبين في أحد إستجواباته قائلا:

«عندما التزم شخصيا بطريقة أو بأخرى للسياسة سأقوم بالعمل الفعلي ولا أتخلى عن فكرة الحرية. وعكس ذلك، في الوقت الذي أعمل فيه أشعر بالحرية. وأنا لن أنتمي إطلاقا إلى أي حزب... يمكنك ملاحظة موقفي أثناء حرب الجزائر، في ذلك الوقت انفصلت فيه عن الحزب الشيوعي لأن سياسة الحزب تجاه حرب الجزائر، وسياستنا كانت مختلفة تماما. فالحزب له تصور خاص بإستقلال الجزائر التي لم تكن من أحد الإمكانيات اليت تفوق الأخرى، بينما نحن متفقين مع جبهة التحرير الوطني في تحقيق الإستقلال في المستقبل القريب. نحن والشيوعيين حاولنا إعادة العلاقات مع بعضنا من جديد في بعض الأمور، كإنشاء حركة ضد المنظمة العسكرية السرية»[1].

وهنا تجدر الإشارة بأن الحرية الحقيقية التي كان ينادي بها سارتر خاصة والتي جعلته ينظر إلى الإستعمار كوسيلة ضد الإنسانية وكعمل فعلي لتحطيم حرية الإنسان من أجل استغلاله باسم التقدم والحضارة، حيث أن هذه الحرية جعلت سارتر مفكرا يدافع عن حرية الآخرين، وجعلت الإستعمار شيئًا دنيئا. وعندما زار سارتر البرازيل تحدث في محاضراته حول «حرية الشعب الجزائري» وصرح للحاضرين بأنه وجد ذلك الإرتباط والإتفاق في تطور فلسفته أي بين حريته الخاصة والحرية كنهاية في ذاتها، وتطور الحرية وأفعالها ضد أي شيء يمكن أن يتداخل مع ذاتها، لأن هذا هو عمل الآخرين[2]. وفعلا لقد كان هذا السؤال المطروح في قضية الإستعمار وأيضا في «حرية الشعب الجزائري» كأكبر طرح لمشكلة الحرية ونهايتها المطلق.

وفي 1956 حاول سارتر أن يحقق فكرة الحرية التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعده إذ التزم بكتاباته السياسية حول الثورة الجزائرية وقال في البداية بأنها مشكلة إقتصادية أكثر مما هي سياسية؟ وعندما تعمق في دراسته واهتم بتاريخ الإستعمار الفرنسي في الجزائر أدرك بأن مشكلة الجزائر ليست إقتصادية أو إجتماعية فقط بل هي قضية تبحث عن الحل العاجل وتحقيق العدالة والحرية وأكد قائلا:

(1) Simone de Beauvoir, Adieux: A Farewel to Sartre, P.367.

(2) Ibid, P. 386.

«ولم يقتصر هذا التمرد على تحدي سلطة المستعمر، وإنما هم قد شعروا بأنهم مهددون بوجودهم ذاته. أن هناك حقيقتين متكاملتين وغير منفصلتين في نظر معظم الأوروبيين القاطنين في الجزائر: أن المستعمرين عم ذو حق إلهي، والسكان الأصليون هم دون البشر. وتلك هي ترجمة أسطورية لواقع حقيقي مادام غنى الأولين يرتكز على بؤس الأخرين. وهكذا يجعل الإستغلال المستغل تبعا للمستغل ثم أن هذه التبعة، على صعيد آخر، هي في صميم النزعة العنصرية وذلك هو تناقضها العميق وشرها المرير: أن الأوروبي الجزائري يرى أن كونه إنسان يعني قبل كل شيء إنه متفوق على المسلم. فإذا حدث أن وجد المسلم نفسه كإنسان يساوي المستعمر، فماذا تراه يكون الموقف؟ إن المستعمر يشعر أنه قد مس في كيانه، وأنه قد انتقص من قدره وهبطت قيمته، وهو لا يرى في دخول هؤلاء إلى العالم البشري نتائج إقتصادية فحسب، بل أن هذا الحادث يزري به لأنه يعلن له سقوطه الشخصي، وقد يتفق له، وهو في غضبه، أن يحلم بالإجتثاث، (Génocide) ولكن ذلك لا يعدو أن يكون حلما شعريا محضا»[1].

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد هاجم سارتر أيضا همجية ووحشية الجيش الفرنسي على إستعمالها لأساليب التعذيب أي المصطلح الذي أصبح شائعا ومستعملا أكثر من سبع سنوات أثناء الثورة الجزائرية، وبهذا ذكّر سارتر الرأي العام الفرنسي بجرائم النازية أثناء الحرب العالمية الثانية وكيف كان الجيش الألماني يعذبون الفرنسيين، وفي 1958 أصبح الشعب الجزائري يعذب باسمهم حيث كتب قائلا: «إن الفرنسيين يكتشفون في غمرة دهشتهم، هذه الحقيقة الهائلة... وحالا ما ينقلب الذهول إلى يأس، فإذا كان على الوطنية أن ترمينا في حضن الحقارة، إذ لك يكن هناك أي حاجز في أي مكان لا يمنع في أي لحظة الأم ولا الإنسانية كلها من أن تنصب في الإنساني فلماذا نحن إذن نكلف أنفسنا هذا الجهد كله لنصبح أو لنظل بشرا؟ أن الإنساني هو حقيقتنا[2].

(I) – سارتر، عارنا... في الجزائر! ص ص: 62- 63.

(I) – نفس المصدر، ص ص: 47 - 49.

حقيقة أن ما بين 1957 و 1959 ركزت كتبات سارتر السياسية على طرق التعذيب في الجزائر. وأصبح مهتما بالشعب الذي فرض عليه القتل الجماعي والتعذيب والتشريد ودفن المشبوهين والمتهمين أحياء في مقابر جماعية في كل شبر من أرض الجزائر. وعلى هذا الأساس كتب سارتر «سجناء الطونا» لكي يقارن جرائم النازية التي كانت أرحم بالجرائم التي ارتكبتها فرنسا في حق الشعب الجزائري والتي تعتبر مسؤولية تاريخية في تاريخ أوروبا. ولقد اختار سارتر روايته المسرحية هذه حول التعذيب في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية عوضا عن الجزائر لكي يبعد الشبهات وضمان حريته حيث قال فيما بعد: «نعم، وبعد كل شيء، لا أحد يحاول معاكستي إذا قلت بأن النازية طبقت أساليب التعذيب»[1]. وبذلك تصبح حقيقة فرنسا وأصالتها التاريخية هو التعذيب، ويجب عليها أن تنتحر لكي لا تبلغ أجيالها بتاريخها المشؤوم.

وعند إكتشافه للواقع المفروض على الجزائريين إستجاب سارتر للعنف والكفاح المسلح لجبهة التحرير الوطني وقال بأن الإستعمار الفرنسي دخل الجزائر بالقوة ويجب عليه الخروج منها بالعنف، وبين الحقيقة التاريخية الجديدة للعالم قائلا: «في الماضي صنعنا التاريخ لكن الآن هو الذي يصنعنا» - إلى جانب مساندته للثورة الجزائرية وفلسفتها فقد دعم سارتر نشاطات «الشبكة السرية» لجونسون ووقف إلى جانبها وتحدى السلطة الفرنسية وبخاصة سياسية ديغول الجزائرية حيث ظهر كمعارض أساسي في الستينيات لسياسة فرنسا الإستعمارية وندد بالأعمال الإجرامية المرتكبة في حق الشعب الجزائري باسم الحضارة الأوروبية والتقدم الإجتماعي والثقافي لفرنسا، بينما السلطة الفرنسية والأحزاب اليمينية المتطرفة عارضت نشاطات سارتر السياسية واتهمته بعدة إتهامات منها خائن الوطن، وعدو فرنسا إلخ... كما هدد بالقتل عدة مرات.

وعند إستقلال الجزائر نجد أن بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين الذين نددوا بالإستغلال الإستعماري والأعمال الإجرامية المتوحشة أثناء الثورة التحريرية، قدمت لهم الجزائر وظائف للشغل في عدة ميادين منهم فرانسيس جونسون الذي

(1) An interview with Jean - Paul Sartre by Orest F. Pucciani,The Tulane Drame Review. Vol,5,1960 - 61.p.14.

اشتغل في قطاع التربية والتعليم بوزارة التربية، أما سارتر فهو لا يتعبر في رأي الجزائريين من المنددين في كتاباته السياسية فقط بل يعتبر من الذين شاركوا مشاركة فعلية في الأحداث التاريخية والسياسية منذ أن بدأ يهتم بالقضية الجزائرية في 1956 على الرغم من أن الثورة الجزائرية بدأت في نوفمبر 1954 والإستغلال البشع والظلم والطغيان كان موجودا قبل هذا التاريخ وسارتر بدوره كمثقف كان ينادي «بفكرة الحرية» قبل الحرب العالمية الثانية وبعده، وتحقيقها في الوجود إذ يرى بأن حرية الفرد هي حرية الآخرين.

لقد تطورت كتابات سارتر ونشاطاته السياسية وأصبحت أساسية لدى الرأي العام العالمي في مساندة الشعب الجزائري لتحقيق حريتهم وإستقلالهم وأكثر من ذلك أنه لم ينتقد السلطة الفرنسية والأحزاب اليمينية المتطرفة تجاه الحرب المتوحشة في الجزائر فقط بل انتقد بشدة الجناح اليساري لأنه كان يدرك بأن سياسة الإستعمار الفرنسي هي من اهتمامات اليسار الفرنسي بالدرجة الأولى، إلا أن الإشتراكيين انحلوا وذابوا في مؤسسات الدولة وانقسم الشيوعيين إلى أقسام مختلفة مما سهل مهمة إستمرارية الإستعمار الإستطاني وتجريد الجزائريين المسلمين من ممتلكاتهم وتشريدهم.

فعلا لا الشيوعيين ولا الإشتراكيين حاولوا توقيف نزيف الحرب المتوحشة في الجزئر، والتي أصبحت تهدد بخلق الفاشية والديكتاتورية في فرنسا نفسها، حيث كتب المفكر الكاثوليكي اليساري جون ماري دوميناش (Jean-Marie Domenach) في مجلة (L'Express) قائلا: رؤساء اليسار يجب أن يحركوا أنفسهم: فهم لينون، وحديثهم مشوق وقوي، وإنقسامهم هو الذي خلق هذا الفراغ[1]. ولقد كان لسارتر، كما رأينا، عدة مشاكل ومصاعب أدت إلى تهديده بالقتل، وذلك بسبب تعاطفه مع الثورة الجزائرية. وفعلا في 19 جوان 1961 انفجرت قنبلة يدوية في عمارته بشارع بونا بارت (Bonaparte) رقم 42، والتي تسببت في خسائر طفيفة فقط، ولحسن الحظ كان يقضي معظم أوقاته مع سيمون دي بو فوار في مسكنها، وحيث تحول فيما بعد من مسكنه إلى نزل لأنه

(1) L'Express, 24 Mars 1960.

كان ينتظر هذا الإعتداء بين لحظة وأخرى وذلك لحصوله على عدة رسائل تهدده بالقتل، والمكالمات الهاتفية غير معروفة. ومعظم المحللين لهذا الحادث أي الإنفجار يعتقدون بأن المنظمة العسكرية السرية هي التي دبرت العملية.

وفي 18 نوفمبر 1961 قامت مجموعة من الشباب الشيوعيين بتنظيم مسيرة تكونت من ثمانية آلاف شخص تطالب وتنادي بالسلام في الجزائر وضد الفاشية والعنصرية في فرنسا وشارك فيها سارتر وسيمون دي بو فوار التي أكدت بقولها: «لقد مددت يدي إلى سارتر من ناحية، ثم مسكت باليد الأخرى يد رجل لا أعرفه... وفي مسيرتنا كنا نشدو السلام في الجزائر – التضامن مع الجزائريين – أطلقوا سراح بن بلة – المنظمة العسكرية السرية القاتلة: وأقل تكرارا: وحده الفعل أشنقوا صالون»[1]. وفي 19 ديسمبر من نفس السنة قامت مظاهرة أخرى ضد العنف والإرهاب والأعمال الإجرامية التي تقوم بها يوميا المنظمة العسكرية السرية والتي أقمعت عند إنطلاقها من قبل الشرطة العسكرية بالغازات المسيلة للدموع، وضرب كل من يحمل أي شعار أو لافتة معادية للنظام الفرنسي، مما خلف عدة جرحى في صفوف المتظاهرين وخسائر مادية، ولقد شارك سارتر وسيمون دي بو فوار في هذه المسيرة القمعية.

أما المنظمة العسكرية السرية الإرهابية فقد وسعت جرائمها وقامت بقتل عدة شخصيات مثقفة في الجزائر العاصمة، أما بباريس في حي إقامة سارتر إنفجرت عدة قنابل يدوية كتمهيد وتهديد له وفعلا في 7 جانفي 1962 إنفجرت قنبلة يدوية أخرى بشارع بونابرت في الطابق الأعلى للعمارة التي يوجد بها مسكن سارتر وتسببت في خسائر مادية طفيفة لشقة سارتر حيث حرقت بعض كتاباته غير المنشورة[2]. وعندما ذهبت خليلته سيمون دي بو فوار للإطلاع على مخلفات الإرهاب قال لها أحد جيرانه: «هذه الحوادث والمخلفات كانت نتيجة سياستكم، والتي تخلق مشاكل لكل واحد»[3]. وبعد شهر من هذا الحادث،

(1) Simone de Beauvoir, Force of Circumstance,P.619.

(2) وكان سارتر يسكن خفية هروبا من الموت في شارع سان جرمان (Saint German) وتحول في نهاية تلك السنة إلى شارع رسبيل رقم 222 في الطابق العاشر حتى سنة 1973.

(3) Simone de Beauvoir,Force of Circumstance,P.626.

إنفجرت عدة قنابل يدوية أخرى في باريس منها التي كانت موجهة لأندري مالرو وزير الثقافة، نتيجة إمضاء زوجته السابقة وابنته في «البيان 121».

وفي 8 فيفيري 1962 قامت مظاهرة أخرى ضد المنظمة العسكرية السرية الإرهابية التي أقمعت وتسببت في عدة خسائر منها حوالي ثمانية قتلى ومئة جريح، وفي تلك الظروف الصعبة والمخيفة قامت الحكومة الفرنسية بحماية المثقف اليساري المعروف سارتر. حيث تعهدت الشرطة بحمايته وأمن مسكنه، وأكدت سيمون دي بو فوار قولها: «لقد تلقينا طلبا فيما يخص حماية السيد جان بول سارتر»[1]، على الرغم من أنه لم يشارك في هذه المظاهرة الأخيرة، حقيقة أن بداية الستينيات تنفس فيها الشعب الجزائري الصعداء عندما تحولت عمليات المنظمة العسكرية السرية إلى فرنسا الأم حيث تأكد الشعب الفرنسي والرأي العام العالمي من جرائمها، على الرغم من أن تواجداها في الجزائر كان منذ أمد بعيد، وهذا لكي يعرف الشعب الفرنسي معنى الحرب الإجرامية.

ويبدو أن بداية عام 1962 هو عام الدم والدموع بالنسبة للشعب الجزائري وأخطر وأصعب عام بالنسبة للحكومة الجزائرية المؤقتة . وفي إستجوابه مع الستر هورون (Alistaire Horne) أعلن رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد يوسف بن خدة بأن عام 1962 هو مرحلة الخطورة: «... لأن الإتحاد بين المنظمة العسكرية السرية ووحدة المنشقين العسكريين الفرنسيين خلقت عدة استفزازات بقتلها الوحشي غير المميز لجميع المسلمين وكانوا يحاولون إخراج المسلمين للمظاهرة غير مراقبة في الجزائر العاصمة، ولو كتب لهم النجاخ لكانت مذبحة مروعة[2].

وفي تقييمنا لهذه الدراسة حول النشاطات السياسية وتطور لموقف جان بول سارتر تجاه الثورة الجزائرية منذ عام 1956، رأينا من الأحسن والأفضل أن نطرح هذه الأسئلة على أنفسنا. كيف ولماذا تطورت كتابات سارتر السياسية لصالح الثورة الجزائرية من 1956 إلى 1962؟ - ما هي الفائدة التي حققها نتيجة وقوفه لجانب الشعب الجزائري؟ - ما هو رد فعل وطنه فرنسا تجاه موقفه؟ - هل هو حقيقة عدو فرنسا؟

(1) Ibid,P.627.

(2) Alistaire Horne, A Savage War of Peace: Algeria 1954 - 1962. P. 507.

إذا حاولنا تقييم اليسار الفرنسي بصفة عامة تجاه الثورة الجزائرية نجد أن المثقفين الفرنسيين مهتمين بما يحدث في الجزائر منذ نوفمبر 1954 وكيف يكون مستقبلها. وفعلا فالمثقفون الذين كانوا ضد الإستعمار بصفة عامة وحرب الجزائر بصفة خاصة كتبوا مقالات وكتبا ووثائق أخرى تندد بالحكم الفرنسي في الجزائر، وتحدثوا في جمعيات منظمة، وقاموا بعدة مسيرات ومظاهرات وتمردوا عن النظام الفرنسي، ووقعوا ضده «البيان 121» وكونوا عدة لجان سياسية وإجتماعية، وأسسوا عدة حركات سرية وسياسية كحركة «جونسون السرية» وحركة الشباب المقاومين (Jeune Resistance)[1].

بالإضافة إلى ذلك تأسفوا ونددوا بالحرب الوحشية التي دامت أكثر من سبع سنوات، وهاجموا بشدة وحشية الجيش الفرنسي ودافعوا عن حقوق الإنسان في الجزائر كما نادوا بالمفاوضات وحل ما يسمى عندهم «بمشكلة الجزائر». لكن هذه الإقتراحات والمواقف المتمثلة في الحل العادل «لمسألة الجزائر» لم تكن أكثر عمقا وشجاعة من موقف أولائك السياسيين والمثقفين الذين نادوا بإستقلال الجزائر علنية وهم الكتاب اليساريين الذين كتبوا في المجلات التالية: (Esprit, France-Observateur, Les Temps Modernes, Verite Liberte, L'Express) وأغلبيتهم حسب الصحف الفرنسية كانوا مهددين بالموت عدة مرات أثناء الثورة، علما بأنه ما بين 1954 - 1963 منع حوالي خمسة وثلاثون كتابا من النشر، ونشر ثلثها من قبل دور النشر (Fronçoit Maspero) أو (Editions de Mumuit) فالحكومة الفرنسية سيطرت على وسائل الإعلام لأنها تريد أن تؤثر على الرأي العام الفرنسي لكي يؤمن بأن أعضاء جبهة التحرير الوطني مجموعة ضئيلة من الإرهابيين وسوف تنقرض وتزول، والسلام يمكن تحقيقه في الجزائر دون الإعتراف بهذه الجماعة الإرهابية والتفاوض معها. ومن بين المثقفين الذين برزوا على الساحة السياسية والإعلامية خاصة «سارتر» الذي اتهم بالخيانة والعداوة لفرنسا حيث أن ديغول شخصيا قال بأن سارتر ستمسحه الحرب الأهلية في يوم ما وذلك نتيجة كتاباته ونشاطاته السياسية حيث كتب في مجلده الخامس «مواقف»

(1) - حركة الشباب المقاومين (Jeune Resistance) وهي مكونة من الشباب الفرنسيين الهاربين من الخدمة العسكرية والمؤيدين للثورة الجزائرية، ومؤسس هذه المقاومة موريس ماشينو (Maurice Maschino) الذي كان معلما في المغرب للمزيد من المعلومات عن هذه المنظمة راجع كتابه: (L'engagement).

(Situations,v) حوالي ثلاثة عشرة مقالة وهذا ما بين عامي (1954 - 1963) وهي مقالات تهتم بدراسة ومعالجة الإستعمار وأنواعه والحركات التحريرية في العالم.

حقيقة لقد لعب سارتر دورا فعالا ومهما بالنسبة للحركة المثقفة الفرنسية بانتقاداته وهجوماته المتكررة لا لأنصار «الجزائر فرنسية» فقط بل أيضا لرئيس الجمهورية الخامسة شارل ديغول، حيث أصبح سارتر عند نهاية الجمهورية الخامسة ضد سياسة ديغول تجاه حرب الجزائر على الرغم من أنه كتب مقالا لصالحه في عام 1945 عندما زار ديغول الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة، ولكن عند عودته للحكم سنة 1958 بدأ سارتر في هجومه العنيف على ديغول في مقال نشره بعنوان «المتظاهر» (Le Pretendent) في مجلة (L'Express) إذ كتب يقول: «وإذا كان لشارل ديغول هذه القدرات الفائقة ماذا سيفعل؟ وما هي مشاريعه؟... هذا الرجل المنطوي في عظمته فوحدته تمنعه تماما من أن يصبح رئيسا لدولة جمهورية. وهذا ما يعود إلى نفس الشيء، عندما يمنع الدولة التي سيصبح رئيسا لها، أن تصبح جمهورية[1]. ديغول "Grandeur" حاول أن يتجاهل أبواق سارتر وأنصاره كما تجاهل أهداف جبهة التحرير الوطني، إلى أن أصبح سارتر من السباقين لإمضاء «البيان 121» ومن ثم بدأ يدافع عن سياسته ويلوم أولئك الذين أصبحوا ضد النظام الفرنسي، وفي جريدة "Parie-Jour" أعلن ديغول قائلا: «أغفر لفولتير (Voltaire) ولكنني لا أغفر لخدم الدولة»[2]، وكان ديغول يعتقد بأن سارتر هو «المشعوذ الأكبر» الذي سينتقم منه المجتمع الفرنسي في يوم ما. وفي إستجوابه أيضا لجريدة (Time) قال ديغول: «يجب علينا أن نحارب أو نتعفن»[3]. ويعني في ذلك موقف سارتر من الثورة الجزائرية، على الرغم من أنه أعطى الأوامر لحماية سارتر كمثقف يعبر عن حريته.

إذن يمكن القول بأن سارتر كان بين عامي 1956 و 1959 يساند نضال الشعب الجزائري في تقرير مصيره من بعيد وهذا يتمثل في تحليله لنتائج الثورة وعندما أدرك

(1) Sartre, L'Express,N 362 (22 Mai 1958).
(2) Paris - Jour, 2 Octobre 1960.
(3) Time, Jamary 5, 1962.

فرانس جونسون بأن سارتر يعترف ويساند أهداف ومطالب «الشبكة السرية» قال: «... لم أستطع الصبر في البحث عن هذا الرجل ومواجهته من جديد حيث همس في أذني بالحجة التالية: إنه ليس من حقي أن أقف بين القضية التي ندافع عنها، وأحد الذين يحملونها بقوة، إنني لا أعرف أي تفاهة في الذي لا ينظر إلا إلي. إننا بحاجة إلى سارتر : سأتوجه إليه ولا يهم إن أرسلني إلى الجحيم[1].

وفعلا كان سارتر ملتزما حيث رد عليه معلنا: «إنك تعلم، بأنني أوافق تماما (مئة بالمئة) على العمل الذي تقوم به وتواصله. إستخدمني كما يبدوا لك: لي أصدقاء لا يطلبون أكثر من أن يكون تحت تصرفك؟ أعلمني بكل ما تريده. وفي هذه السنوات كانت اللقاءات السرية بين سارتر وأعضاء جبهة التحرير الوطني قليلة جدا وعند إعلان مساندته لحركة جونسون السرية كتب له محمد عوان - مناضل في جبهة التحرير الوطني - رسالة شخصية يشجعه على مواقفه ونشاطاته السياسية لصالح الثورة الجزائرية[2]. وفي 13 ديسمبر 1961 حضر سارتر جمعية عامة حول استقلال الجزائر التي نظمها السيد الطيب بولحروف ممثل جبهة التحرير الوطني في روما، وحضوره هذا جعل الصحف الفرنسية تثور مرة أخرى ضده باللعن والشتم كالعادة.

حقيقة أن سارتر دافع وشجع كل من يساند الثورة الجزائرية، وشارك في عدة مظاهرات ضد الأعمال الإجرامية المتوحشة التي تقوم بها السلطات العسكرية الفرنسية في الجزائر يوميا أثناء الثورة التحريرية، وحضر في عدة جمعيات سياسية التي نددت بطرق التعذيب والقتل البشع في الجزائر، وتحدث عن الحرية وحقوق الإنسان في الجزائر في ندوات صحفية داخل فرنسا وخارجها، وحضر في عدة محاكم لمحاكمة المناضلين، كما حاول أن يؤسس يسارا فرنسيا ضد الحرب وضد سياسة ديغول. وعلى هذا الأساس قالت إني كوهن سولال في كتابها السابق الذكر: «إن حرب الجزائر كان حربه[3]» علق رونالد دوماس محامي «الشبكة السرية» لجونسون، بعد خمس وعشرين سنة قائلا: «لقد مرت الحرب الأهلية

(1) Françis Jeanson, Sartre dans sa Vie.P.214.

(2) M'hanmed Aoune, "La Plume et la Probite" Actualite: Algerie. N 1159. Decembre - Janvier 1988 - P.38.

(3) Annie Cohen - Solal, Sartre: A life. P.440.

الإسبانية على سارتر، كما مرت عليه الجبهة الشعبية، المقاومة؟ نعم، لكن كانت قليلة... كان يتجنب كل الحوادث السياسية المهمة في ذلك الوقت باستثناء حرب الجزائر، التي كانت بطريقة أخرى، السبب الأكبر لبناء شخصيته العظمى»[1].
وفعلا أنه في بداية الستينيات ظهرت تطورات في كتابات ونشاطات سارتر تجاه الثورة الجزائرية، ويبدو أن الرأي العام الفرنسي اتخذ موقفا عقليا وعاطفيا مع سارتر أو ضده، فالمعارضة تعتقد أن سارتر ذهب بعيدا في مساندته للجزائريين في تحقيق حريتهم وإستقلالهم عوضا عن شعبه، وكتب الصحافي أندري بريسود (Andre Brissaud) ممثل الجناح اليميني الفرنسي في جريدة (Le Figaro) قائلا: فرنسا الحقيقية يجب أن تحطم لكي يكون هناك إنتصارا لفرنسا السارترية والفكرة الثورية لفرنسا التي أرادها السيد جان بول سارتر بديلها لفرنسا، وفي فرنسا السارترية، وفي فرنسا هذه «بالنسبة للتفكير الفردي» هي جبهة التحرير الوطني التي هي الجيش الحقيقي، بينما الجيش الفرنسي أصبح مكروها، والعدو الذي لا يمكن التسامح معه، شيء يشبه الوارث لجيش هتلر في الربعينيات[2].

وفعلا فالجيش الفرنسي، في رأي الباحث هو الوارث الشرعي لجيش هتلر لأن طرق وأساليب التعذيب التي كانت مطبقة في الحرب العالمية الثانية على الشعب الفرنسي ورثها الفرنسيون عنهم وطوروها إلى طرق حديثة ثم طبقوها في الخمسينيات وبداية الستينيات على الشعب الجزائري المسلم، وبأدلة وشهادة منهم، وإعترافهم بالخطيئة (والتاريخ يعيد نفسه) وعندما حاول سارتر الفرنسي أن يبين لنا بعض الجرائم التي يرتكبها ورثة هتلر في الجزائر المسلمة هدد بالموت من قبل المنظمة العسكرية السرية لأن قتله بالنسبة لها معناه تحطيم طموح وآفاق اليسار الفرنسي الذي صرح عدة مرات بأن إنتصار جبهة التحرير الوطني هو إنتصار لليسار الفرنسي. أما جريدة (Reforme) كتبت مقالة بعنوان «عهد المناضلين» وقالت: «لقد وقف (سارتر) بجانب الوطنيين الجزائريين الذين يكافحون من أجل إستقلال وطنهم، ونحن لا يمكننا أن نحاكم جان بول سارتر،

(1) Ibid, P.440.
(2) Le Figaro, 30 Septembre 1960.

لكن يجب أن نفهمه أولا»[1]. أما أندري مالرو (أديبا ومفكرا ووزيرا) إنطلاقا من عدة خلفيات أراد أن يبين للرأي العام العالمي بأنه يحترم حرية التعبير إذ قال: «من الأفضل أن تتركوا سارتر ينادي بأعلى صوته لتحيا جبهة التحرير الوطني في ساحة كونكورد، وعند ذلك، أوقفوه، ونورط أنفسنا»[2].

من خلال ما تقدم نستطيع أن نقول بأن سارتر كان موقفه من الثورة الجزائرية إيجابيا لأنه التزم بقلمه إلتزاما كليا لمساندة الحقيقة المصيرية للشعب الجزائري، ولكن هل كان حقا عدوا لفرنسا كما وصفه المتطرفون اليمنيون؟ بالطبع لا! أولا لأن الرأي العام الفرنسي لم يفهم ولم يستوعب الجوهر الأساسي في فلسفة سارتر التي التزم بها ولا يمكن له الإبتعاد والتخلي عنها، حيث نجد حرية الإختيار والمسؤولية التي هي أساس أفكاره والتي أكدها عند نهاية الحرب العالمية الثانية بقوله:

«عندما نقول بأن الإنسان مسؤول على نفسه لا نعني أن الإنسان مسؤول عن وجوده الفردي فحسب بل هو بالحقيقة مسؤول عن جميع الناس وكل البشر... عندما نقول أن الإنسان يختار نفسه بنفسه نعني بالتالي أن الإنسان الذي يختار نفسه إنما يختار تبعا لذلك جميع البشر... فإذا اختار الإنسان أن يكون شيئا معينا فهو بذلك يؤكد قيمة اختياره، لأنه لا نستطيع أبدا أن نختار الشر. إن ما نختاره لا يكون إلى الخير، ولا خير في نظرنا إذا لم يكن خيرا للجميع»[3].

إن حرية سارتر هي حرية الآخرين، وعلى ما يبدو لنا حقيقة إذا كانت فرنسا اختارت لكي تكون حرة مستقلة من الإحتلال النازي يجب أن نعترف باختيار الجزائر كي تكون مثلها، كما وصف الإحتلال النازي وطريقة أسلوبه وتعامله مع الفرنسيين، ووضح نمط الحياة والفكر نحو الإستعمار الألماني ويذكرْ الفرنسيين بالوضع المأساوي الذي كانوا عليه أثناء الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) ويشبهه باحتلال الجزائر ويذكرهم أيضا قائلا: «لم نكن أكثر حرية مما كنا عليه

(1) Reforme, 1 Octobre 1960.

(2) Annie Cohen - Solal, Sartre: A life. P.425.

(3) - سارتر الوجودية مذهب إنساني، ترجمة د/كمال الحاج (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1983) ص، ص: 46 - 47.

تحت الإحتلال الألماني، لقد فقدنا كل حقوقنا وأولها فقدان التعبير... والإختيار – ليفعل كل منا بنفسه كان متشابها ذلك أن ما يفعله كان في لحظة الموت»(1).

وعلى هذا الأساس نجد أن الجزائر لم تنكر أبدا وقوف ونضال بعض المثقفين اليساريين الفرنسيين الذين ساهموا بإمكاناتهم المتواضعة والفعالة لتحقيق السلام في الجزائر، وفي كتابه «تشريح الحرب» (Autopsie d'une Guerre) قال فرحات عباس (رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، سبتمبر 1958، أوت 1961. «رجال يقطعون» سياسة السكوت «... ويساندون ويحتجون ضد الحرب القائمة في الجزائر ويؤيدون المفاوضات والسلم... فهناك صحافيون، على الرغم من المخاطر التي تثقلهم يضعون أقلامهم في خدمة الجزائر، ويدافعون على تحريرها»(2). وفيما بين 1962 و 1964 أصبح سارتر شخصية فذة لا كأديب وفيلسوف سياسي فحسب بل كمثقف اتسم بالعصيان والتمرد، وعلى هذا كان يلقب في هذه الفترة بعدة أسماء منها «رجل الفضائح» «رجل الحرية» «رجل الحكمة» «رجل الحقيقة».

وفي 22 أكتوبر 1964 أعلن الدكتور أوسترلينغ DR/Osterling عضو في الأكاديمية السويدية، عن جائزة نوبل للأدب وقال: «جائزة نوبل منحت هذه السنة للكاتب الفرنسي جان بول سارتر على عمله، الذي كان روحا للحرية واسما للحقيقة، والذي كان له أكبر تأثيرا على عصرنا»(3). لكن سارتر مع الأسف رفضها لسببين كما وضح فيما بعد للأكاديمية السويدية. فالسبب الأول هو أنه رفض جائزة نوبل لكي يبقى مستقلا وملتزما بمبادئه ومواقفه كما قال: «الكاتب يجب أن يرفض أن يحول إلى مؤسسة... »(4) حيث يرى بأن الكاتب يجب أن يعيش لحقيقته. والسبب الثاني الذي جعله يرفض الجائزة هو أنها منحت له أثناء الحرب الباردة، وانتهاء حرب الجزائر التي هدد خلالها بالموت عدة مرات، وكان يتمنى أن تمنح له الجائزة خلال الحرب المتوحشة التي فرضت على الجزائريين حيث أكد سارتر: أثناء

(1) Sartre, Situations III, (Paris: Gallimard, 1949) PP.11 - 2.
(2) Ferhat Abbas, Autopsie d'une Guerre (Paris: Garnier Freres, 1980) PP. 189 - 90.
(3) Nobel Academy Archives, Stockholm, courtesy of carl - Gustav Bjurstrom. Quoted in Annie cohen - Solal, Sartre: A life p.446.
(4) Michel Contat et Michel Rybalka, Les Ecrit de Sartre, P. 402.

حرب الجزائر حينما وقعنا البيان 121، كان بإمكان قبول الجائزة باستحقاق، لأنها لم تكن لتشرفني أنا فقط ولكنها كانت تشرف الحرية التي نكافح من أجلها، ولكن ذلك لم يكن إلا بعد نهاية القتال حينما منحت لي الجائزة[1].

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول بأن النخبة الفرنسية المثقفة عرفت عدة مواقف وإتجاهات على مختلف مشاربها اليسارية واليمينية على الخصوص من القضايا الإنسانية العالمية خاصة منها التي تهم الرأي العام الفرنسي، وبرز بذلك عدة مفكرين منهم جان بول سارتر، الذي حاولنا تتبع مواقفه وآرائه من الثورة الجزائرية ولهذا السبب وغيره تبقى أمنيتها على الباحثين الجزائريين، وفي مقدمتهم المؤرخين، التركيز على دراسة مثل هذه الأفكار حتى تتجلى لنا الحقيقة الفكرية والإيديولوجية مما هو زائف.

وفي تقييمنا لهذه الدراسة التي تتناول موقف سارتر وإلتزامه السياسي كمثقف له مسؤولية إجتماعية نحو الثورة الجزائرية، أكثر من المثقفين الآخرين، نستنتج بأن أفكاره تتلخص في النقاط التالية:

1 - بعد أن سيطرت الثورة الجزائرية وفرضت أحداثها وتطوراتها العملية وأثرت على السياسة الفرنسية أدرك سارتر أبعاد هذه الثورة واتهم فرنسا على إستعمالها لطرق الإستغلال الإستعماري التي كانت مطبقة في القرن التاسع عشر. وقال بأن العمل الأساسي والوحيد الذي يجب تدعيمه والعمل من أجله هو مساندة المقاتلين الجزائريين ضد الحكم الإستبدادي وضد كل ما هو غامض وخفي للإستعمار الجديد. وما يهمنا في هذه الدراسة المتواضعة والتي هي فريدة من نوعها هو أن سارتر قرر أن يدافع عن الثورة التي قامت لتحرير الإنسانية من الذهنيات والخلفيات الإستعمارية ويبدو أن هذا القرار يعود أصلا إلى سجنه أثناء الحرب العالمية الثانية.

2 - تتمثل الخطوة الثانية الأساسية في تطور موقف سارتر تجاه الثورة الجزائرية في كتاباته التي تندد بطرق التعذيب المطبقة على الجزائريين في 1958 والتي كشفت للرأي العام حقيقة المسؤولية التاريخية لفرنسا وذكرهم بتاريخهم أثناء الإحتلال النازي قائلا: «... وإذا كانت خمسة عشرة سنة كافية لتحويل الضحايا إلى

(1) Ibid, PP. 403 - 3.

جلادين، فذلك لأن الظرف هو وحده الذي يقرر: فحسب الظروف يستطيع أي كان وفي أي وقت، أن يصبح ضحية أو جلادا»[1]. وفي 1959 إزداد إهتمامه وتطور موقفه تجاه القضية العادلة للشعب الجزائري حيث أدرك خطورة التعذيب مما دفعه أن يكتب روايته المسرحية الشهيرة «سجناء ألطونا» ويمثل البطل فرانس بفرنسا الذي كانت جرائمه كبيرة وغير محدودة، وهي عبارة عن جنون. وهذ الأعمال الإجرامية المتوحشة التي لا يستطيع الإنسان أن يتصورها قد تؤدي إلى الرعب والخوف لكل من يسمع عنها. «لكن ليس هذا هو السبب الوحيد، على الرغم من أننا لسنا ألمانيين وعلى الرغم من أن مشاكلنا مختلفة تماما عنهم تحت سيطرة النازية، فهناك علاقات خاصة بيننا وبين الألمان. نعيد الكرة أي التاريخ مرة أخرى وبالتحديد في نفس الوضعية مع الإحترام لهم كما أن الجزائريين يكنون الإحترام لنا»[2].

3 - تتمثل كتابات سارتر ونشاطاته السياسية ومساندته الكاملة للثورة الجزائرية في بداية الستينيات كعمل أساسي المتمثل في إمضائه «للبيان 121» وتأكيده للعمل الميداني والفعلي وتضامنه الكامل مع شبكة جونسون السرية كما قال مؤكدا: «إذا طلب مني جونسون حمل حقائب أو إيواء مناضلين جزائريين سأقوم بهذه المهمة بغير أن أعرض حياتهم للخطر فسأقوم بذلك دون تردد، ولهذا أعتقد أن هذه الأشياء يجب أن تقال ذلك أن الوقت قد حان بحيث على كل شخص أن يتحمل مسؤوليته»[3]. وهذا الإعلان يبين سارتر طور موقفه ونضاله العملي والسياسي كمناضل تجاه القضية العادلة للشعب الجزائري. وبهذا وقف كمثقف معارض ومنددا بسياسة ديغول الجزائرية وبوحشية الجيش الفرنسي، وأصبح مهددا بالموت من قبل المنظمة العسكرية السرية الإرهابية والمتطرفة.

4 - وعند نهاية الثورة الجزائرية أدرك سارتر «حقيقة إلتزامه» لأنه كان بالفعل يكافح ويناضل من أجل حرية الآخرين وبذلك أدرك واستوعب «**بأن حريته هي**

(1) - سارتر، عارنا... في الجزائر، ص: 47.

(2) Michel Contat and Michel Rybalka, Sartre on Theatre, P.255.

(3) Françis Jeanson, Sartre dans sa Vie, P.217.

حرية الغير». وفي هذا المعنى تصبح نظريته واقعية وحقيقية في تطور كتاباته الفلسفية. وبهذا توصل سارتر إلى نتيجة أساسية وهو أن الأعمال الوحشية والقذرة سببها الفرنسيين حيث قال: «في أي جانب توجد الأعمال الوحشية؟ في أي جانب توجد الأعمال البربرية؟... فهي الآن موجودة في الجانب الفرنسي!!!»[1] لقد تطور موقف سارتر تجاه الثورة التحريرية في بداية الستينيات والذي لا يتمثل في كتاباته السياسية فقط بل في مشاركته الفعلية المتمثلة في حضوره في الملتقيات والندوات والمسيرات المنددة بالأعمال الإجرامية والوحشية للجيش الفرنسي في الجزائر.

5 – إن تقييم كتابات سارتر السياسية وموقفه تجاه الثورة التحريرية يبين لنا أنه كان مخلصا حسب الأحداث التاريخية التالية:

في 1956 كان سارتر يهتم بالبنية الإجتماعية الإقتصادية والسياسية للشعب الجزائري، وما بين 1957 و 1959 كان مهتما في كتاباته السياسية بأساليب التعذيب. وما بين 1960 و 1962 كانت كتابات سارتر وأعماله السياسية تهتم بالعنف وتطوره والذي توسع وأصبح يهدد المجتمع الفرنسي.

الخاتمة

هذه الدراسة هي محاولة لإلقاء الضوء على أفكار بعض المثقفين الفرنسيين الذين اهتموا بالحركات التحررية في العالم الثالث وخاصة الثورة التحريرية الجزائرية والذين لهم علاقة عمل وصداقة مع جان بول سارتر قبل الثورة الجزائرية وبعدها كألبير كامو وفرانسيس جونسون وفرانس فانون وسيمون دي بو فوار.

وقد يتساءل القارئ عن الإهتمامات التي أعطيناها لتحليل أفكار سارتر السياسية دون المثقفين الآخرين وهذا يعود إلى الأسباب التالية:

(1) Sartre in his preface to Fanon's The Wrrtched of The Earth. p.25.

1 – ظهوره كفيلسوف في الربعينيات ومشاركته الفعلية في «المقاومة» أثناء الحرب العالمية الثانية.

2 – إهتمامه بالحركات التحررية في العالم ومشاركته بكتاباته السياسية ضد الإستعمار في الخمسينيات.

3 – مطاردته من قبل السلطات الفرنسية وإتهامه بالخيانة لوطنه والعدو اللدود لفرنسا.

4 – التهديدات المتتالية بالقتل في بداية الستينيات.

ومن هذه الأسباب الأساسية التي دفعتنا أن ننطلق في محاولتنا هذه إلى تحليل فلسفته وموقفه تجاه الثورة الجزائرية التي بينت تاريخيا بأن إلتزام الرجل المثقف الذي دافع عن مبادئه منذ الحرب العالمية الثانية قد دعم بكتاباته ونشاطاته السياسية وبمشاركته الفعلية مع شعب غير شعبه. وفي مناقشتي لهذه الأفكار المتسلسلة، يستنتج القارئ بأن الإلحاح والإصرار على موقف سارتر وكتاباته السياسية وتنديده بالأعمال الوحشية والإجرامية في حق الشعب الجزائري، وتأييده لنضال وكفاح الشعب الجزائري من أجل الإستقلال والحرية منذ أن أعلن إلتزامه في 27 جانفي 1956 بالوقوف إلى جانب القضية الإنسانية العادلة، حيث هاجم بعنف وبشدة نظام الإستعمار الفرنسي في الجزائر على الرغم من أنه لم يتحدث في كتاباته السياسية عن الحرية والإستقلال للشعب الجزائري في نهاية الحرب العالمية الثانية ولم يعلن عن مساندته لثورة نوفمبر 1954. ولذلك يبدو أنه مثل معظم المثقفين اليساريين الفرنسيين وخاصة كتاب وقراء مجلة «الأزمنة الحديثة» الذين كانوا يساندون الحزب الشيوعي الفرنسي وسياسة الإتحاد السوفياتي سابقا الخارجية.

لقد حاولت أن أكون موضوعيا ومنطقيا في سرد الأحداث التاريخية المهمة للثورة الجزائرية التي كانت محل إنتقادات من قبل المؤرخين الذين أولوها إلى عدة مفاهيم ومطالب سياسية وثقافية تنافي مع أهداف جبهة التحرير الوطني. وفعلا فالإستعمار الفرنسي لم يدرك ولم يحاول أن يتفهم حقيقة البنية الإجتماعية

والإقتصادية والسياسية للشعب الجزائري إلى أن انفجرت ضد وجوده. فالعنف هدف أساسي لتحرير الإنسان من الظلم والطغيان والعبودية، ومنذ بداية الخمسينيات والشعب الجزائري يعتقد بأن العنف هو لغة التفاهم مع الإستعمار باستعمال العنف يثبت الجزائريين وجودهم ويحققون مطالبهم. والدفاع عن استعمال العنف كهدف أساسي لتحرير الإنسان في بداية الستينيات أكده سارتر عدة مرات بأنه هو الوسيلة الوحيدة لتحطيم النظام الإستعماري في الجزائر، وهدفي من هذه الدراسة ليس فقط البرهنة للجزائريين بأن موقف النخبة الفرنسية المثقفة تجاه الثورة التحريرية كان مع أو ضد الإستقلال بل لدراسة دور المثقف الذي يندد بالأعمال الإجرامية والوحشية ويعمل من أجل تحقيق العدالة الإجتماعية وحرية الآخرين التي تمثل حريته، وعلى هذا الأساس نجد سارتر طور نظرية الحرية الإجتماعية السياسية بعد الحرب العالمية الثانية حيث حولت أفكاره إلى التزامات سياسية جديدة، وفعلا تطورت أفكار سارتر في كتاباته ونشاطاته السياسية وهذا يتمثل في «فكرة الحرية» التي كان ينادي بها قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وهذه هي فكرة الحرية التي أبعدته عن إنضمامه للحزب الشيوعي الفرنسي أثناء فترة الإلتزامات السياسية وهي الحرية التي أجبرته للدفاع عن حرية الأخرين وأبعدته من الحتمية (بمعنى أن أفعال الإنسان والتغيرات الإجتماعية هي نتيجة عوامل عديدة لا سلطة الإنسان عليها) وهذه الطريقة التي يجب علينا أو من الأجدر أن نتبعها لفهم تطور فلسفة سارتر. وعلى هذا الأساس إذا تجاهلنا كتابات سارتر السياسية ومساندته للثورة الجزائرية سنكون غير عادلين في حق الرجل المثقف الملتزم بمواقفه، وقبولها سيكون إدراكا وإعجابا لموقف إنسان عبقري وفذ كما وصف نفسه فيما بعد قائلا:

«لقد عاش حتى النهاية ظرفا مستحيلا: بحثا وتنقيبا عن الوحدة للعيش من أجل الموت، والموت من أجل العيش، مقتنعا بجدوى القضية وأهميتها محاولا تبرير موقفه بإعطائه هدفا لم يؤمن به، بحثا عن الموضوعية التامة للنتائج لدمجها في ذاتية مطلقة، راغبا في الفشل الذي رفضه، ورافضا للنصر الذي تمناه، وراغبا

في بناء حياته كقدر، وغير مقتنع إلا باللحظات النهائية التي تفصل الحياة عن الموت وبمعنى آخر: إنه يبرهن على أن هذه استحالة الوجود هي شرط وجوده، وعلى أن الإنسان يوجد لأنه مستحيل[1].

وفي نهاية هذه الدراسة يبدو لي أني ساهمت في إثراء المكتبة العربية عامة والجزائرية خاصة التي - حسب علمي - تفتقر لمثل هذه الدراسات التي تتناول كتابات النخبة الفرنسية المثقفة ومساندتها للثورة التحريرية الجزائرية والتي لم تؤخذ بعين الإعتبار من قبل الباحثين الجزائريين المهتمين بدراسة أفكار المثقفين الفرنسيين الذين دعموا ثورتهم الخالدة.

لذلك إنني أوافق كل من حاول البحث في الكتابات الفلسفية والسياسية للمثقفين الذين كانوا ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر لأنهم كانوا يعتقدون بأن إنتصار جبهة التحرير الوطني هو إنتصار لليسار الفرنسي.

ودراستي هذه أيضا ركزت على تحليل أفكار ومواقف بعض المثقفين الفرنسيين تجاه الثورة الجزائرية، كما اهتمت ببعض الأدلة لشهود عيان في ممارسة أساليب التعذيب والقتل الجماعي وحرق المداشر والقرى والغابات أثناء الثورة التحريرية.

أما التطور التاريخي لموقف سارتر تجاه قضية الشعب الجزائري العادلة كان مطابقا كليا ومنسقا تنسيقا علميا ومترابطا ترابطا وطيدا مع نظريته في الحرية التي كان يدافع من أجلها منذ الحرب العالمية الثانية. وعلى هذا الأساس فهو على صدق عندما قال: «قول الحقيقة هي قول كل كاتب متقدم في السن» وختاما اقترح على الباحثين الجزائريين خاصة أن يهتموا بدراسة كل المثقفين الذين كتبوا مع أو ضد الثورة الجزائرية.

---

(1) Sartre, Situations, VI, PP.20 - 1.

ملاحق إضافية للقارئ

ANNEXE

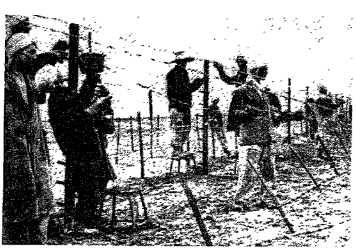


البطل الشهيد : عبد الرحمان عمراني
AMRANI ABDERAHMANE

ضابط سامي في جيش التحرير الوطني الذي شارك في تفجير ثورة نوفمبر الخالدة و قاد عدة معارك بدوار طامزة ولاية خنشلة تحت إشراف القائد مصطفى بن بولعيد حيث عيّن ضابطا في نهاية الخمسينيات بالمنطقة الثانية بالأوراس النمامشة, و أستشهد في بداية الستينيات في أحد المعارك بجبال الأوراس قرب حمام الصالحين بخنشلة



الزيارة الاولى للجنرال ديغول عند توليه الحكم للجزائر سنة 1958 محاطا بمجموعة من المستوطنين الأوروبيين و الجيش الفرنسي و بعض السكان الأصليين .



خط موريس المجهز بالأسلاك الشائكة المكهربة بالحدود التونسية الجزائرية .



مظاهرات في فرنسا ضد الحرب في الجزائر مع بداية 1962.



التعذيب و العنصريه دون تمييزهي سياسه الإستعمار الفرنسي .



مشاركة أعضاء مجلس الثورة في أحد الإحتفالات بالإستقلال و الحرية للشعب الجزائري



لقاء سارتر مع أحد زعماء الصين الشعبية في بكين مع نهاية عام 1955 (المارشال زين هي)
(Marshal Zbenyi)



لقاء سارتر مع فيدال كاسترو (Fidel Castro)
في كوبا في شهر فيفري 1960.



مشاركة سارتر في مظاهرات سلمية ضد العنصرية أثناء الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1961 في ساحة موبارت
(La place de Maubert).





سارتر أثناء زيارته للمخيمات الفلسطينية بمصر عام 1967.



سارتر أثناء كتابة خطاب الرفض لجائزة نوبل 1967



سارتر مع مجموعة من النحبة المثقفة ضد حرب الفيتنام في 23 مارس 1968.

exigences de la situation. C'est le retour éternel de sa geste passée que nous devons attendre : toutes ses actions défuntes, envahissant soudain le présent, deviendront sacrées. Ce lien qui doit nous unir à lui - dévouement, fidélité, honneur, respect religieux - il porte un nom : c'est la foi jurée qui unit la personne à la personne, ou, si l'on préfère, le lien de vassalité.

Je ne prétends pas que cette liaison soit sans valeur humaine: mais précisément parce que ces relations sont chargées de mort et de passé, surchargées de sacré, elles sont aux antipodes de la relation proprement démocratique, qui consiste à juger les hommes à leurs actes et non les actes sur leurs hommes, à communiquer à travers les entreprises communes, à partager les responsabilités, à apprécier une action par rapport à son but et à son résultat. C'est cela qu'ont senti les journalistes présents à la conférence, puis, plus tard, les auditeurs de la radio : la solitude de cet homme enfermé dans sa grandeur lui interdit, en tout état de cause, de devenir le chef d'un État républicain. Ou ce qui revient au même, interdit à l'État dont il sera le chef de demeurer' une République. Tous ceux qui se sont sentis plus ou moins attirés, ces derniers temps, par le vertige de la catastrophe, qui ont pris un âcre plaisir à voir la France comme un destin et qui rêvaient à une démocratie gaulliste, un peu funèbre mais vivante, ils ont compris tout à coup ce qu'on leur offrait, la seule chose qu'on pouvait leur offrir, cette morne grandeur solitaire. Ce n'est pas par hasard que les forces républicaines, oubliant leurs dissensions, se regroupent depuis lundi soir pour une lutte plus efficace; ce n'est pas par hasard que le Gouvernement se sent d'heure en heure un peu plus solide, que les grèves du métro, des autobus et du téléphone ont été d'incontestables réussites.

Il faut à la France un État fort, c'est sûr; il faut restaurer l'autorité du Gouvernement, ruiné par douze ans d'abandons et de compromissions, mais la meilleure manière d'achever sa ruine, ce serait de le confier à un «homme fort» qui imposerait à tous ses règles : nous devons restaurer cet État délabré, cette République décriée, avec les hommes mêmes, avec tous les hommes qui sont responsables de sa demi-faillite; nous ne lui rendrons sa force institutionnelle que si nous restaurons en même temps, contre tous les rêves de grandeur morte, les droits et les libertés réels des citoyens.

L'Express, n° 362, 22 mai 1958.

institutions démocratiques est radicalement faussé. Et, si de Gaulle ne prend pas le pouvoir, il restera faussé par la présence de ce prétendant jusqu'à ce que celui-ci renonce officiellement au faux droit que lui a donné la force.

Qu'importe, après cela, que les formes constitutionnelles soient ou non observées. Si le président de la République ne convoque pas le prétendant et si celui-ci a l'intention d'user de la force, la violence se montrera nue. Si M. Coty convoque Charles de Gaulle, c'est une capitulation de plus. Une déclaration du général est particulièrement significative : « L'Armée doit obéir à l'État. Encore faut-il qu'il y en ait un. » Rien de mieux : l'Armée ne peut vous désobéir, mon- k sieur Pflimlin, parce que vous n'êtes pas l'État, l'État c'est moi : voilà pourquoi elle m'obéira. Mais puisque le souverain est un général, l'Armée n'obéit qu'à elle-même et le pays obéit à l'Armée.

Et c'est bien vrai qu'il est faible, notre État. Mais à qui la faute sinon aux généraux d'Algérie et aux civils qu'ils soutiennent? Sinon aux ministres qui ont tous affaibli l'État par des concessions toujours plus coupables et plus graves? « Couvrir » Sakiet, monsieur Gaillard, ce n'était pas seulement assumer allégrement la responsabilité d'un crime : c'était mettre votre successeur à la merci d'un putsch militaire.

Et s'il les avait, Charles de Gaulle, ces pouvoirs exceptionnels, qu'en ferait-il? Quels sont ses projets? Dans quel sens tournera-t-il sa sentence d'arbitre? Ces questions demeureront sans réponse aussi longtemps qu'il n'aura pas pris le pouvoir, c'est-à-dire, peut-être, toujours. Car de Gaulle finit son portrait de lui-même comme il l'a commencé : par le silence. Ce n'est pas qu'il n'ait son projet. Mais il ne le fera pas connaître: car - c'est là le danger le plus grave - il ne veut pas qu'on le plébiscite sur un programme mais sur sa personne. Non pour ce qu'il fait aujourd'hui, mais pour ce qu'il a fait avant-hier quand il représentait la France libre auprès des Alliés.

Notre adhésion, s'il nous la réclame, ce n'est pas malgré notre ignorance de ses desseins mais à cause d'elle. Il ne s'agit pas de lui demander - avec tout le respect désirable - ce qu'il compte faire mais d'approuver par avance tout ce qu'il fera, en fonction de ce qu'il a fait. Ces cinq ans pendant lesquels il a fait notre Histoire - en compagnie de beaucoup d'autres hommes - ils garantiront tous ses actes futurs, quels qu'ils soient. Ou plutôt ses gestes héroïques et disparus, quelle que soit demain la circonstance, nous devons croire que ce sont eux qui renaîtront, mystérieusement adaptés aux

conflit provoqué par la rébellion de ses fonctionnaires? De Gaulle a voulu préciser que les généraux Salan et Massu n'étaient pas des factieux; le Gouvernement, a-t-il ajouté, ne les tient pas pour tels. C'est vrai formellement mais le Gouvernement n'est pas sûr de lui, il se peut qu'il temporise. Peu importe, en tout cas: ces généraux sont factieux ou ne le sont pas.

Dans le premier cas, le Gouvernement prend des sanctions même si sa faiblesse provisoire l'oblige à ne pas les appliquer; et c'est donner une prime à la révolte que de proposer un arbitrage. Dans le second cas, ils n'ont cessé d'obéir à leurs chefs (même si l'état d'urgence les a contraints de prendre telle ou telle mesure sans en référer) et il n'y a rien à arbitrer. On le voit, cette incroyable proposition, à peine formulée, devient une offense à l'autorité souveraine de l'État et verse dans l'illégalité.

On cherche à la préciser pourtant : aussitôt elle éclate. Le conflit oppose « l'Algérie française » au Gouvernement. Que fait l'arbitre? Il veut manger un des plaideurs et prendre sa place. En effet, c'est pour arbitrer que le général de Gaulle assumera la charge et les pouvoirs de M. Pflimlin. Mais quand M. Pflimlin devient Charles de Gaulle, comment l'arbitrage reste-t-il possible? D'abord l'arbitre est juge et partie; ensuite il n'y a rien à arbitrer puisqu'il n'y a pas de litige entre le chef de la France libre et l'armée d'Algérie; ces explications embarrassées font éclater le scandale qu'elles veulent masquer. Lorsque le général de Gaulle se déclare prêt à assumer les pouvoirs de la République il a déjà reçu l'investiture prétorienne, la seule qui compte à ses yeux. Les officiers et les civils européens l'ont désigné pour exercer au nom des colons une dictature inconditionnée sur les indigènes métropolitains. Cela, le général de Gaulle ne l'admettrait certainement pas: de fait, son honnêteté, son patriotisme et sa fierté lui interdisent de sacrifier la Franco à ses colonies: c'est bien l'unité qu'il veut. Et dans l'intérêt des deux parties. Mais qu'importe ce qu'il veut. Qu'importe ce que veulent les officiers d'outre-mer. Nul doute qu'ils ne lui soient entièrement dévoués; peut-être n'ont-ils eu que le sentiment de l'appeler à leur aide, à l'aide de la France telle qu'il la voit. Mais le résultat est là : ils ont imposé ou tenté d'imposer leur élu au choix de l'Assemblée. Elle doit l'accepter ou le refuser sous la menace d'une guerre civile. Il restera là sans cesse, même s'il est provisoirement écarté, comme l'empereur que les légions romaines ont désigné.

A la moindre crise, demain, dans huit jours, dans un an, il peut reparaître. Il est candidat permanent (à moins qu'un coup de force ne fasse de lui l'empereur en exercice) du fait de cet intolérable chantage. Le jeu des

De Gaulle attendait. Cette montagne de silence tirait sa force de nos faiblesses, c'était le lieu géométrique de toutes nos impuissances, de toutes nos contradictions : plus de rampe de lancement mais plus de Front Populaire; plus de guerre en Algérie, mais l'ordre moral consolidé. Quand on a annoncé, à la radio, qu'il tiendrait une conférence de presse, le lundi, il sembla que tout était fini: il serait doux, bénin, loyaliste et les gens seraient conquis. Le lundi matin, vers midi, on jouait la République perdante.

Après la conférence de presse, la République tient encore debout; nos institutions paraissent plus solides que nous n'avions pensé. Les menaces subsistent : peut-être ne résisterait-elle pas à la violence. Mais c'est déjà beaucoup qu'elle n'ait pas cédé à la douceur.

Le scénario était réglé, nous venons de le voir: on fournirait quelques apaisements à l'opinion publique et celle-ci, dans l'enthousiasme, contraindrait M. Pflimlin à démissionner. A la surprise générale, c'est le contraire qui s'est produit : les amis du général se renfrognèrent; les seuls visages qui s'épanouirent furent ceux de ses adversaires décidés. Pourtant, il avait fait des déclarations très rassurantes et dont la sincérité ne peut être mise en doute : il ne veut ni ne daigne être factieux, dictateur encore moins; il recevra ses pouvoirs du président de la République et - pour exceptionnelle que doive être la procédure adoptée- son investiture de l'Assemblée.

Mais, déjà, ce que pensait, ce que disait le général de Gaulle n'avait plus d'importance que pour lui-même et pour ses proches : quand il affirmait en toute bonne foi qu'il n'allait pas s'aviser à soixante-sept ans d'exercer la dictature, il ne lui restait que cette alternative renoncer au pouvoir (ou ne pas être sollicité de le prendre) ou devenir dictateur. Car la situation décide. Non de nos actes particuliers mais du sens qu'ils revêtiront en dépit de nous-même, pour les autres hommes et à nos propres yeux.

Il faut parler d'abord de cette fiction boiteuse: l'arbitrage. Pour éviter de poser la question fondamentale (« Sur quoi se fondera l'autorité souveraine du général de Gaulle? »), M. Soustelle avait inventé, cette espièglerie juridique : entre les Français d'Algérie (civils et militaires) et le Gouvernement il y a litige. On demande à Charles de Gaulle de bien vouloir arbitrer le différend.

Mais, à peine est-il mentionné, cet étrange argument que le général a repris dans sa conférence de presse, il sonne mal aux oreilles, il gêne. Ou a-t-on vu qu'un gouvernement, si faible soit-il, accepte de résoudre par un arbitrage un

Mais qu'avait-il décidé, au fait, pour l'Algérie? On la tenait? On la lâchait? Cela dépendait : des jours et des visiteurs. Après sa déclaration, l'ambiguïté demeurait: certains faisaient remarquer, toutefois, que, loin de prononcer les mots d'Algérie française, il avait pris soin d'évoquer à plusieurs reprises les peuples associés.

Ces observations déterminèrent une crise de masochisme à gauche : puisque le ministère Pflimlin nous confisque nos libertés pour pousser la pacification jusqu'à la mort du dernier fellagha, ne vaudrait-il pas mieux remettre à de Gaulle ces libertés perdues et qu'il s'en servît pour faire la paix? Car il est le seul homme, en France, qui puisse faire entendre raison aux militaires, imposer sa volonté aux Européens d'Algérie. Ces martyrs futurs acceptaient de payer la paix algérienne par la liquidation de nos institutions démocratiques. Ils se réjouiraient en prison de l'indépendance musulmane.

Ainsi chacun semblait suivre - à travers cent activités diverses, dans les comités antifascistes et jusque dans les organisations politiques - un rêve lent et contradictoire, comme si, désespérant déjà de la République, il ne pouvait s'empêcher de remettre ses espoirs désormais disponibles entre les mains du général de Gaulle. Les gens, dans les rues, se taisaient : les cafés étaient pleins, les recettes baissèrent à peine dans les théâtres. On eût pu croire qu'ils ne s'intéressaient qu'à leurs vies privées; jamais je n'ai vu autant de couples d'amoureux.

« Et puis quoi? Faut-il descendre dans la rue pour défendre Guy Mollet? Le Guy Mollet d'Alger? Le Guy Mollet de Suez? Faut-il risquer pour lui la sécession algérienne? la guerre civile? Qui d'entre vous se ferait casser la gueule pour M. Max Lejeune, l'ami des ultras? »

Ces paroles trouvent un écho dans les cœurs; les gens hochent la tête : s'il y avait un seul juste à l'Assemblée nationale... Mais non : cela se saurait. Ne faut-il pas les laisser à leur sort, ces malheureux? Se fier à de Gaulle? De fait, le général de Gaulle a fait rire de Mollet à sa conférence de presse. Succès facile : mais je défie M. Mollet de lui rendre la pareille. Il ne faut pas causer longtemps avec un électeur pour deviner les colères brouillées qu'il rumine : colères anarchistes, colères qualunquistes, colères de socialiste dupé. Des motifs cent fois plus puissants mais de même ordre, des ressentiments et des dégoûts ont paralysé autrefois la résistance des ouvriers au coup du 2 décembre.

que M. Guy Mollet, bousculant M. Pflimlin et lui arrachant la parole, suppliât le général de Gaulle, par personne interposée, de daigner fournir quelques apaisements à l'opinion publique.

Cette opération arrangeait tout le monde : la veille, une déclaration du général, un peu raide, n'avait qu'à demi plu. Charles de Gaulle n'avait pas fait allusion aux institutions républicaines; s'il avait la bonté, en passant, d'en dire un petit mot : « Je n'y toucherais pas! » ou bien : « Je ne leur veux pas de mal », la France l'acclamerait comme en 1945 et M. Mollet, en retour, aviserait un moyen de démissionner M. Pflimlin : peut-être le général de Gaulle réserverait-il quelques portefeuilles aux socialistes dans un cabinet d'Union nationale. Peu de temps après, M. Pflimlin découvrit avec une stupeur indignée que les communistes s'étaient permis de voter pour lui. Il arracha leurs voix, les jeta au fond de l'hémicycle. Et dans un généreux mouvement d'éloquence, il alla jusqu'à leur refuser le droit de défendre les libertés individuelles : ils n'en étaient pas dignes. Cette surenchère d'anticommunisme dans les deux « grands partis républicains » eut pour effet de renvoyer chacun à l'impuissance et à la solitude. Les colères de maître Isorni ont prouvé que, malgré la réconciliation tentée autrefois, la droite pétainiste ne pardonnera jamais à de Gaulle la condamnation de Pétain. A gauche, au contraire, de bonnes âmes puisaient quelque quiétude dans cet argument lumineux : le Sauveur de la République peut-il la détruire de ses mains? (La réponse est pourtant simple: pourquoi pas?)

Chez les communistes, certains militants, sous la fermeté de leur attitude, laissaient percer de l'embarras : ils prévoyaient la grande réconciliation nationale et ne se cachaient pas qu'ils en feraient les frais. Mais ils n'oubliaient ni le voyage de Charles de Gaulle à Moscou ni le pacte franco-soviétique. Il y avait ce slogan aussi : la France! la France seule! Cela voulait dire peut-être : nous allons nous retirer de

l'O. T. A. N.

Pour les mêmes raisons mais inversées, la grosse bourgeoisie catholique, soutien financier du M. R. P., s'irritait contre le Sauveur de la République: elle ne doutait pas qu'il ne fît de l'ordre; et, certes, un bon coup de balai ne fait jamais de mal; mais elle aurait .volontiers bradé l'Algérie et tout l'empire pour conserver l'amitié anglo-saxonne.

Pour se maintenir, l'équipe devint jusqu'auboutiste; le cœur brisé de M. Pflimlin sanglotait dans tous les micros : « Dramatique erreur; tragique malentendu. » Mais son bellicisme suppliant était immédiatement disqualifié par le seul silence de son successeur. Pour amener un sourire sur les lèvres de Salan, le Gouvernement se perdait: on commencerait par remporter la victoire entière, par anéantir l'ennemi; on négocierait ensuite. Salan ne se décidait pas mais, pendant que le président du Conseil exhortait Alger à la confiance, la gauche française se demandait avec surprise ce qui le distinguait de Bidault et par quelle aberration elle lui avait donné, de toutes ses voix, les pouvoirs discrétionnaires dont il annonçait déjà qu'il saurait les retourner contre elle.

Dans les moments crépusculaires - fréquents dans notre histoire- qui précèdent les coups d'État, quelque chose a toujours frappé les observateurs : la confusion des sentiments et des idées. De loin, on s'imagine qu'il y a quelques groupes en lutte, les partisans du dictateur futur, les défenseurs de l'ancien, et qu'ils se bagarrent jusqu'à ce que ceux-ci aient été liquidés par ceux-là. De près rien n'est plus décevant : tout le monde hésite, tout le monde a peur, les factieux autant que le Gouvernement, tout le monde est pour et contre tout le monde à la fois. On a des ennemis si mortels qu'on préfère la servitude ou la mort à leur alliance même contre un ennemi plus mortel encore mais plus neuf. Les coups d'Etat sont grandement facilités quand chacun se livre délibérément à l'ennemi plutôt que de perdre une certaine chose qu'il place au-dessus de tout, plutôt que d'en produire une certaine autre qu'il déteste particulièrement. Finalement chacun se paralyse et paralyse chacun, le moins paralysé fait le coup d'État par hasard, en tremblant.

Chez nous, dès le troisième jour je compris que les socialistes détestaient une chose au monde plus que la servitude, la mort et l'abaissement du pays; c'était le Front Populaire. Le premier jour, F. O., C. F. T. C., la C. G. T. décidèrent de résister ensemble. Aussitôt ce ne fut qu'un cri à l'Assemblée : « Il revient, le voilà! » Le « spectre du Front Populaire » traîna ses chaînes ce jour-là dans toutes les colonnes du Monde terrorisé. C'est le lendemain que la C. F. T. C. et F. O. publièrent une mise en garde commune : les ouvriers en conservant leur sang- froid, leur calme, en s'abstenant de manifestations prématurées sauveraient la République. Chaque centrale syndicale sauf la C. G. T., chaque parti politique sauf le P. C. s'écrièrent: « Périsse plutôt le régime! » De Front Populaire il n'y avait pas trace. Il s'agissait de quelques ententes, de quelques mesures prises en commun et strictement défensives. Cela suffit pour

«LE PRÉTENDANT »

Au début tout alla bien. Trop bien. Comme toujours. Antimilitariste et chauvine, la France adore la revue du 14-Juillet mais, depuis le général Boulanger, elle n'aime plus autant les soldats factieux. Il y eut ces cris sur le Forum d'Alger, que la radio lâchait par volées, on donna l'assaut au palais du gouverneur, on criait

« Vive Massu » dans les rues; à Paris, ce fut l'union. Les centrales syndicales décidèrent de résister en commun. On réchauffa le cœur de .M. Pflimlin : le président du Conseil se jeta dans les cérémonies d'investiture avec l'angoisse connue de l'apprenti dictateur qui tente son coup d'État. Il trouva la force de chicaner sur les voix communistes : mais c'était par acquit de conscience. Bref, bonne soirée, bonne brise : et ce mélange délicieux d'espoir et d'inquiétude qu'on retrouve dans tous les commencements. Seulement, il y avait une embûche : nous n'avions pas tout vu.

Un grand homme honoraire, c'est dangereux pour une nation; même s'il s'est séquestré dans un village solitaire. S'il se tait, on entend son passé. Le général de Gaulle gardait depuis longtemps le silence mais son passé restait parmi nous. Seuls en face de Massu, de Salan, nous pouvions tenir le coup. Mais on a pris nos ministres à revers : tout d'un coup, comme ils parlementaient avec les généraux, ils ont vu s'étendre à leurs pieds et devant eux une ombre interminable. Déjà sur l'autre rive, Salan criait: « Vive de Gaulle » et tous les Algérois : «De Gaulle au pouvoir. »

D'un seul coup, le temps se gâta : nous redécouvrîmes l'impitoyable logique des désastres; quoi qu'on fasse, dans ces cas-là, tout profite à l'ennemi. Le gouvernement, pour se sauver, préparait sa perte : pour échapper à de Gaulle, il se jetait dans les bras de Salan. La plupart des ministres étaient convaincus qu'il fallait arrêter au plus tôt les massacres d'Algérie; ils voulaient le dire; certains, pour la première fois, l'avaient dit. Mais, si Pflimlin voulait avoir une chance de rester en place, il fallait battre de Gaulle par de la surenchère. Il offrit vingt-sept mois de service militaire, 80 milliards d'impôts nouveaux, des chatteries pour les généraux factieux. En vain : les hommes d'Alger - tant civils que soldats - ne voulaient pas de lui. Ni de son argent ils voulaient de Gaulle.

trouvés : non il ne suffit pas de punir ou de rééduquer quelques individus; non, on n'humanisera pas la guerre d'Algérie la torture s'y est établie d'elle-même : elle était proposée par les circonstances et requise par les haines racistes; d'une certaine manière, nous l'avons vu, elle est au cœur du conflit et c'est elle, peut-être, qui en exprime la vérité la plus profonde. Si nous voulons mettre un terme à ces immondes et mornes cruautés, sauver la France de la honte et les Algériens de l'enfer, nous n'avons qu'un moyen, toujours le même, le seul que nous ayons jamais eu, le seul que nous aurons jamais ouvrir les négociations, faire la paix.

L'Express, n° 360, 6 mars 1958.

Ainsi, de ces deux couples indissolubles, le colon et le colonisé, le bourreau et sa victime, le second n'est ici qu'une émanation du premier. Et, sans aucun doute, les bourreaux ne sont pas des colons, ni les colons des bourreaux. Ceux-ci sont fréquemment des jeunes gens qui viennent de France et qui ont vécu vingt ans de leur vie sans s'être jamais souciés du problème algérien. Mais la haine était là un champ de forces magnétiques : elles les a traversés, corrodés, asservis.

Tout cela, c'est la calme lucidité d'Alleg qui permet de le comprendre. Quand il n'apporterait rien d'autre, il faudrait lui garder une reconnaissance profonde. Mais il a fait bien plus : en intimidant ses bourreaux, il a fait triompher l'humanisme des victimes et des colonisés contre les violences déréglées de certains militaires, contre le racisme des colons. Et que ce mot de victimes» n'aille pas évoquer je ne sais quel humanisme larmoyant : au milieu de ces petits caïds, fiers de leur jeunesse, de leur force, de leur nombre, Alleg est le seul dur, le seul qui soit vraiment fort. Nous autres, nous pouvons dire qu'il a payé le prix le plus élevé pour le simple droit de rester un homme parmi les hommes. Mais il n'y pense même pas. C'est pour cela qu'elle nous émeut si fort cette phrase sans apprêts, à la fin d'un paragraphe:

« Je me sentais tout à coup fier et joyeux de n'avoir pas cédé; j'étais convaincu que je tiendrais encore le coup s'ils recommençaient : que je me battrais jusqu'au bout, que je ne leur faciliterais pas la tâche en me suicidant. »

Un dur, oui, et qui finit par faire peur aux Archanges de la colère.

Dans certains de leurs propos, tout au moins, on sent qu'ils pressentent et qu'ils tâchent de conjurer une vague et scandaleuse révélation quand c'est la victime qui gagne, adieu la souveraineté, le droit du seigneur; les ailes archangéliques se figent et les gars se demandent, embêtés: Et moi, tiendrais-je le coup si l'on me torturait? C'est que, dans le moment de la victoire, un système de valeurs s'est substitué à l'autre; il s'en faut d'un rien que les bourreaux n'aient le vertige à leur tour. Mais non : leur tête est vide et le travail les harasse et puis ils croient à peine à ce qu'ils font.

A quoi bon, d'ailleurs, troubler la conscience des bourreaux? Si quelqu'un d'eux bronchait ses chefs le remplaceraient : un de perdu, dix de

Cette rébellion ne se bornait pas à contester le pouvoir des colons; ils se sentirent mis en question dans leur existence même. Pour la plupart des Européens d'Algérie, il y a deux vérités complémentaires et inséparables : les colons sont des hommes de droit divin, les indigènes sont des sous-hommes. C'est la traduction mythique d'un fait exact, puisque la richesse des uns repose sur la misère des autres.

Ainsi l'exploitation met l'exploiteur dans la / dépendance de l'exploité. Et, sur un autre plan, cette dépendance est au cœur du racisme, c'est sa contradiction profonde et son aigre malheur: être homme, pour l'Européen d'Alger, c'est d'aborl être supérieur au Musulman.

Mais si le Musulman s'affirme à son tour comme un homme, comme l'égal du colon? Eh bien, le colon est entamé dans son être; il se sent diminué, dévlorisé : l'accession des bougnoules » au monde humain, il n'en voit pas seulement les conséquences économiques, il l'abomine parce qu'elle lui annonce sa déchéance personnelle. Dans sa fureur, il lui arrive de rêver au génocide.ais c'est pure poésie. Il le sait, il connait sa dépendance; que ferait-il sans un sous-prolétariat indigène, sans une main-d'œuvre excédentaire, sans' un chômage chronique qui lui permet d'imposer ses salaires? Et puis, si les musulmans sont déjà des hommes, tout est perdu, il n'est même plus besoin de les exterminer.

Non : le plus urgent, s'il en est temps encore, c'est de les humilier, de raser l'orgueil dans leur cœur, de les ravaler au rang de On laissera vivre les corps, mais on tuera l'esprit. Dompter, dresser, châtier, voilà les mots qui l'obsèdent : il n'y a pas assez de place en Algérie pour deux espèces humaines; entre l'une et l'autre, il faut choisir.

Et je ne prétends pas, bien entendu, que les Européens d'Alger aient inventé la torture, ni même qu'ils aient incité les autorités civiles et militaires à la pratiquer; au contraire : la torture s'est imposée d'elle-même, elle était devenue routine avant même qu'on s'en fût avisé. Mais la haine de l'homme qui s'y manifeste, c'est le racisme qu'elle exprime. Car c'est bien l'homme qu'on veut détruire, avec toutes ses qualités d'homme, le courage, la volonté, l'intelligence, la fidélité -celles mêmes que le colon revendique. Mais si l'Européen s'emporte jusqu'à détester sa propre image, c'est qu'elle est reflétée par un Arabe.

l'acharnement des bourreaux, leur volonté de réduire à l'abjection leurs victimes et finalement cette haine de l'homme qui s'est emparée d'eux sans leur consentement et qui les a façonnés.

Qu'on s'entretue, c'est la règle : on s'est toujours battu pour des intérêts collectifs ou particuliers. Mais, dans la torture, cet étrange match, c'est pour le titre d'homme que le tortionnaire se mesure avec le torturé et tout se passe comme s'ils ne pouvaient appartenir ensemble à l'espèce humaine.

Le but de la question n'est pas seulement de contraindre à parler, à trahir : il faut que la victime se désigne elle-même, par ses cris et par sa soumission, comme une bête humaine. Aux yeux de tous et à ses propres yeux. Il faut ne sa trahison la brise et débarrasse à jamais d'elle. Celui qui cède à la question, on n'a pas seulement voulu le contraindre à parler; on lui a pour toujours imposé un statut : celui de sous- homme.

Cette radicalisation de l'enjeu est un trait de l'époque. C'est que l'homme est à faire. En aucun temps la volonté d'être libre n'a été plus consciente ni plus forte; en aucun temps, l'oppression plus violente ni mieux armée.

En Algérie, les contradictions sont irréductibles : chacun des groupes en conflit exige l'exclusion radicale de l'autre. Nous avons tout pris aux Musulmans et puis nous leur avons tout interdit jusqu'à l'usage de leur propre langue. Memmi a bien montré comment la colonisation se réalise par l'annulation des colonisés.

Ils ne possédaient plus rien, ils n'étaient plus personne ; nous avons liquidé leur civilisation tout en leur refusant la nôtre. Ils avaient demandé l'intégration, l'assimilation et nous avons dit non : par quel miracle maintiendrait-on la surexploitation coloniale si les colonisés jouissaient des mêmes droits que les colons? Sous-alimentés, incultes, misérables, le système les refoulait impitoyablement aux confins du Sahara, aux limites de l'humain; sous la poussée démographique, leur niveau de vie baissait d'une année à l'autre. Quand le désespoir les a poussés à la révolte, il fallait qu'ils crèvent, ces sous- hommes, ou qu'ils affirment leur humanité contre nous : ils rejetèrent toutes nos valeurs, notre culture, nos prétendues supériorités, et ce fut tout un pour eux de revendiquer le titre d'homme et de refuser la nationalité française.

Et pourtant l'argument n'est pas tout à fait faux: en tout cas, il nous éclaire sur la fonction des tortures: la question, institution clandestine ou semi-clandestine, est indissolublement liée à la clandestinité de la résistance ou de l'opposition.

En Algérie, notre armée s'est déployée sur tout le territoire : nous avons le nombre, l'argent, les armes; les insurgés n'ont rien, sauf la confiance et le soutien d'une grande partie de la population nous avons défini, en dépit de nous-mêmes, les principaux traits de cette guerre populaire; attentats dans les villes, embuscades dans la campagne : le F. L. N. n'a pas choisi ces activités; il fait ce qu'il peut faire, c'est tout; le rapport de ses forces aux nôtres l'oblige à nous attaquer par surprise : invisible, insaisissable, inattendu, il faut qu'il frappe et disparaisse, sous peine d'être exterminé. De là vient notre malaise : nous luttons contre un adversaire, secret; une main jette une bombe dans une rue, un coup de fusil blesse un de nos soldats sur la route; on accourt : il n'y a personne; on trouvera plus tard, dans les environs, des Musulmans qui n'ont rien vu. Tout s'enchaîne, la guerre populaire, guerre des pauvres contre les riches, se caractérise par l'étroite liaison des unités insurrectionnelles avec la population; du coup, pour l'Armée régulière et les pouvoirs civils, cette nuée de misérables devient l'ennemi quotidien, innombrable. Les troupes d'occupation s'inquiètent d'un mutisme qu'elles ont elles-mêmes engendré; on devine une insaisissable volonté de silence, un secret tournant, omniprésent; les riches se sentent traqués au milieu des pauvres qui se taisent; embarrassées de leur propre puissance, les « forces de l'ordre » ne peuvent rien opposer aux guérillas, sinon le ratissage et les expéditions de représailles, rien au terrorisme, sinon la terreur. Quelque chose est caché : en tout lieu et par tous; il faut faire parler.

La torture est une vaine furie, née de la peur:

on veut arracher d'un gosier, au milieu des cris et des vomissements de sang, le secret de tous. Inutile violence: que la victime parle ou qu'elle meure sous les coups, l'innombrable secret est ailleurs, toujours ailleurs, hors de portée, le bourreau se change en Sisyphe : s'il applique la question, il lui faudra recommencer toujours.

Même ce silence, pourtant, même cette peur, même ces dangers toujours invisibles et toujours présents ne peuvent expliquer tout à fait

qu'on a élevés depuis, avec quelques balafres, à des postes éminents. J'en passe : aujourd'hui, c'est Chypre et c'est l'Algérie; en somme, Hitler n'était qu'un précurseur.

Désavouée - parfois bien mollement -mais systématiquement appliquée derrière la façade de la légalité démocratique, la torture peut se définir comme une institution semi-clandestine. A-t-elle les mêmes causes partout? Non, sans doute : mais elle traduit partout le même malaise. Peu importe, d'ailleurs : et nous n'avons pas à juger le siècle. Balayons devant notre porte et tâchons de comprendre ce qui nous est arrivé à nous, les Français.

Vous savez ce qu'on dit parfois pour justifier les bourreaux: qu'il faut bien se résoudre à tourmenter un homme si ses aveux permettent d'épargner des centaines de vies. Belle tartuferie. Alleg pas plus qu'Audin n'était un terroriste; la preuve, c'est qu'il est inculpé « d'atteinte à la sûreté de l'État et de reconstitution de ligue dissoute».

Était-ce pour sauver des vies qu'on lui brûlait les seins, les poils du sexe? Non : on voulait lui extorquer l'adresse du camarade qui l'avait hébergé. S'il eût parlé, on eût mis un communiste de plus sous les verrous : voilà tout.

Et puis l'on arrête au hasard; tout, musulman est « questonnable » à merci : la plupart des torturés ne disent rien parce qu'ils n'ont rien à dire, à moins qu'ils ne consentent, pour ne plus souffrir, à faire un faux témoignage ou à s'accuser gratuitement d'un crime impuni dont il paraît opportun de les charger. Quant à ceux qui pourraient parler, on sait bien qu'ils se taisent. Tous ou presque tous. Ni Audin, ni Alleg, ni Guerroudj n'ont desserré les dents. Sur ce point, les tortionnaires d'El Biar sont mieux renseignés que nous.IL'un constate après le premier interrogatoire d Alleg: « Il a quand même gagné une nuit pour donner à ses copains le temps de se tirer. » Et un officier, quelques jours plus tard « Depuis dix ans, quinze ans, ils ont dans la tête que s'ils sont pris, il ne faut rien dire : et il n'y a rien à faire pour leur enlever ça de là.»

Peut-être ne voulait-il parler que des communistes : mais croit-on qu'un combattant de l'A. L. N. soit d'une autre trempe? Ces violences sont d'un mauvais rendement : les Allemands eux-mêmes, en 1944, avaient fini par s'en convaincre : elles coûtent des vies humaines et n'en épargnent pas.

d'autres les remplaceront, des blondins du Nord ou de petits bruns du Midi, qui feront le même apprentissage et retrouveront la même violence avec la même nervosité.

En cette affaire, les individus ne comptent pas une sorte de haine errante, anonyme, une haine radicale de l'homme s'acharne à la fois sur les bourreaux et les victimes pour les dégrader ensemble et les uns par les autres. La torture est cette haine, érigée en système et se créant ses propres instruments.

Quand on dit cela, bien timidement, à l'Assemblée, la meute se déchaîne: « Vous insultez l'Armée! » Il faut le demander une bonne fois à ces roquets: Qu'est-ce que l'Armée vient foutre ici? On torture dans l'Armée, c'est certain : la Commission de Sauvegarde, dans un rapport pourtant bénin, n'a pas cru devoir le cacher. Et après? Est-ce l'Armée qui torture?

Quelle sottise! Croit-on que les civils ignorent les bonnes méthodes: s'il ne s'agit que de cela, faisons confiance à la police d'Alger. Et puis, s'il faut un bourreau en chef, l'Assemblée tout entière l'a désigné : ce n'est pas le général S..., encore moins le générai E..., pas même le gêné- rai M..., pourtant nommé par Alleg: c'est M. Lacoste, l'homme aux pleins pouvoirs. Tout se fait à travers lui, par lui, à Bône comme à Oran tous les hommes qui sont morts de souffrance et d'horreur dans l'immeuble d'El Biar, dans la villa S..., ils sont morts par sa volonté. Ce n'est pas moi qui le dis : ce sont les députés, c'est le Gouvernement. Et d'ailleurs la gangrène s'étend, elle a traversé la mer : le bruit a même couru qu'on mettait à la question dans certaines prisons civiles de la « Métropole » : je ne sais s'il était fondé, mais ii faut que sa persistance ait ému les pouvoirs publics, puisque le procureur, au procès de Ben Saddok, a demandé solennellement à l'accusé s'il avait subi des sévices; bien entendu, la réponse était connue d'avance.

Non, la torture n'est ni civile, ni militaire, ni spécifiquement française : c'est une vérole qui ravage l'époque entière. A l'Est comme à l'Ouest il y a eu des bourreaux: il n'y a pas si longtemps que Farkas torturait les Hongrois; et les Polonais ne cachent pas que leur police, avant Poznan, recourait volontiers à la question; sur ce qui se passait en U. R. S. S., du vivant de Staline, le rapport Khrouchtchev est un témoignage irrécusable; hier on « questionnait », dans les prisons de Nasser, des hommes politiques

sautent sur leurs pieds, courent partout, jurent, hurlent de rage; de grands nerveux qui feraient d'excellentes victimes : à la première « giclée », ils passeraient aux aveux.

Méchants, enragés, c'est sûr; sadiques, non; même pas: ils sont trop pressés. C'est ce qui les sauve, d'ailleurs : ils tiennent par vitesse acquise, il leur faut courir sans cesse ou s'effondrer.

Pourtant, ils aiment le travail bien fait; s'ils le jugent nécessaire, ils pousseront la conscience professionnelle jusqu'à tuer. C'est ce qui frappe, dans le récit d'Alleg : derrière ces chirurgiens hagards et falots, on sent une inflexibilité qui les dépasse et qui dépasse leurs chefs eux-mêmes.

Nous aurions trop de chance si ces crimes étaient l'œuvre d'une poignée de furieux : en vérité, la torture fait les bourreaux. Après tout, ces soldats ne s'étaient pas engagés dans un corps d'élite pour martyriser l'ennemi vaincu.

Alleg, en quelque traits, nous décrit ceux qu'il a connus et cela suffit à marquer les étapes de la métamorphose.

Il y a les plus jeunes, impuissants, bouleversés, qui murmurent: «C'est horrible», quand leur torche électrique éclaire un supplicié; et puis les aides-bourreaux, qui ne mettent pas encore la main à la pâte, qui soutiennent et transportent les, prisonniers, certains endurcis, d'autres non, tous pris dans l'engrenage, tous inexcusables déjà.

Il y a ce blondin du Nord « à la figure si sympathique, qui peut parler des séances de tortures qu'(Alleg) a subies comme d'un match dont il se souviendrait et qui peut le féliciter sans gêne, comme il ferait pour un champion cycliste... * Quelques jours plus tard, Alleg le reverra « congestionné, défiguré par la haine, battre dans l'escalier un Musulman... ». Et puis les spécialistes, les durs qui font toute la besogne, qui se plaisent aux soubresauts d'un électrocuté, mais qui ne supportent pas de l'entendre crier; et puis les fous qui tournent en rond comme une feuille morte dans le tourbillon de leur propre violence.

Aucun de ces hommes n'existe par lui-même, aucun ne restera tel qu'il est : ils figurent les moments d'une transformation inexorable. Entre les meilleurs et les pires, une seule différence ceux-là sont des bleus et ceux-ci. des anciens. Tous, ils finiront par s'en aller et, si la guerre continue,

Nous nous fascinions sur le gouffre de l'inhumain; mais il suffit d'un homme dur et têtu, obstiné à faire son métier d'homme, pour nous arracher au vertige : la « question » n'est pas inhumaine; c'est tout simplement un crime ignoble et crapuleux, commis par des hommes contre des hommes et que les autres hommes peuvent et doivent réprimer. L'inhumain n'existe nulle part, sauf dans les cauchemars qu'engendre la peur. Et justement le calme courage d'une victime, sa modestie, sa lucidité nous réveillent pour nous démystifier : Alleg vient d'arracher la torture à la nuit qui la couvre; approchons- nous, pour la regarder au grand jour.

Ces bourreaux d'abord, qu'est-ce que c'est? Des sadiques? Des Archanges irrités? Des Seigneurs de la Guerre aux terrifiants caprices? S'il fallait les en croire, ils seraient tout cela pêle- mêle. Mais, justement, Alleg ne les croit pas. Ce qui ressort des propos qu'il rapporte, c'est qu'ils voudraient se convaincre et convaincre la victime de leur souveraineté plénière : tantôt ce sont des surhommes qui tiennent des hommes à leur merci et tantôt ce sont des hommes sévères et forts qu'on a chargés de dresser la bête la plus obscène, la plus féroce, la plus lâche, la bête humaine. On devine qu'ils n'y regardent pas de si près : il' essentiel est de faire sentir au prisonnier qu'il n'est pas de leur race: on le déshabille, on le ligote, on le moque; des soldats vont et, viennent, proférant des insultes et des menaces avec une nonchalance qui se veut terrible.

Mais Alleg nu, tremblant de froid, attaché à une planche encore noire et gluante des vomissements anciens, réduit tous ces manèges à leur pitoyable vérité : ce sont des comédies jouées par des imbéciles. Comédie, la violence fasciste de leurs propos, le serment d'aller « foutre en l'air la République ». Comédie, la démarche de « l'aide de camp du général M... », qui se termine sur ces mots : « Il ne vous reste plus qu'à vous suicider. » Comédies grossières, figées, qu'on recommence sans conviction chaque nuit, pour chaque prisonnier, et qu'on arrête très vite, faute de temps. Car ces horribles travailleurs sont surchargés de besogne. Surmenés : les prisonniers font la queue devant la planche à supplices, on attache, on détache, on promène les victimes d'une chambre de torture à l'autre. A regarder par les yeux d'Alleg cette ruche immonde, on s'aperçoit que les tortionnaires sont débordés par ce qu'ils font.

Il leur arrive, bien entendu, de jouer le calme, de boire de la bière, très détendus, au-dessus d'un corps martyrisé, et puis, d'un seul coup, ils

entretenus et dirigés. Je le savais déjà, mais j'en attendais depuis longtemps une preuve décisive.

La voici.

Il y a quinze jours environ, un livre paraissait aux Éditions de Minuit : La Question. Son auteur, Henri Alleg, détenu, aujourd'hui encore, dans une prison d'Alger, raconte, sans commentaires inutiles, avec une admirable précision, les « interrogatoires » qu'il a subis. Les bourreaux, comme ils le lui avaient promis eux-mêmes, l'ont « soigné » : téléphone de campagne, supplice de l'eau, comme au temps de la Brinvilliers, mais avec les perfectionnements techniques qui s'imposent à notre époque, supplice du feu, de la soif, etc. Un livre à déconseiller aux âmes sensibles. Or, la première édition - vingt mille - est déjà épuisée; en dépit d'un second tirage fait à la hâte, on ne peut pas satisfaire à la demande certains libraires vendent cinquante à cent exemplaires par jour.

Jusqu'ici, ceux qui osaient porter témoignage, c'étaient des rappelés, des prêtres surtout; ils avaient vécu au milieu des tortionnaires, leurs frères, nos frères; des victimes, ils ne connaissaient le plus souvent que les cris, les blessures, les souffrances. Ils nous montraient des sadiques courbés sur des loques de chair. Et qu'est-ce qui nous distinguait de ces sadiques? Rien, puisque nous nous taisions : notre indignation nous paraissait sincère, mais l'aurions-nous gardée si nous avions vécu là-bas? N'aurait-elle pas fait place au dégoût universel, â une morne résignation? Pour ma part, je lisais par devoir, je publiais parfois et je détestais ces récits qui nous mettaient en cause impitoyablement et qui ne laissaient pas un espoir.

Avec La Question, tout change : Alleg nous épargne le désespoir et la honte parce que c'est une victime et qui a vaincu la torture. Ce retournement ne va pas sans quelque humour sinistre; c'est en notre nom qu'on l'a martyrisé et nous, à cause de lui, nous retrouvons enfin un peu de notre fierté : nous sommes fiers qu'il soit français. Les lecteurs s'incarnent en lui passionnément, ils l'accompagnent jusqu'à l'extrême de la souffrance; avec lui, seuls et nus, ils tiennent le coup. En seraient-ils, en serions-nous capables pour de vrai? C'est une autre affaire. Ce qui compte, c'est que la victime nous délivre en nous faisant découvrir, comme elle le découvre elle- même, que nous avons le pouvoir et le devoir de tout supporter.

imprévisible et qu'il leur faudra décider là-bas, seuls, de la France et d'eux-mêmes. Ils partent; d'autres reviennent, qui ont mesuré leur impuissance et dont la plupart gardent un silence rancuneux. La peur naît: peur des autres, peur de soi; elle gagne tous les milieux. Victime et bourreau ne font plus qu'une seule image : et c'est notre image. Dans les cas extrêmes, en effet, la seule façon de refuser l'un des deux rôles, c'est de revendiquer l'autre.

Ce choix ne s'impose pas - ou pas encore - aux Français de France; mais cette indétermination nous pèse : à cause d'elle nous sommes « la plaie et le couteau » : l'horreur d'être celui-ci, la peur de devenir celle-là se commandent et se renforcent mutuellement. Des souvenirs se réveillent; il y a quinze ans, les meilleurs Résistants craignaient moins de souffrir que de céder à la souffrance; ils disaient : Quand elle se tait, la victime sauve tout; quand elle parle, personne n'a le droit de la juger, pas même ceux qui n'ont pas parlé : mais elle s'accouple avec son bourreau, c'est sa femme et ce couple enlacé s'abîme dans la nuit de l'abjection. La nuit de l'abjection est revenue : à El Biar, elle revient toutes les nuits; en France, c'est la suie de nos cœurs. Justement, une propagande chuchotée nous laisse entendre que « tout le monde parle » : voilà les tortures justifiées par l'ignominie humaine; puisque chacun de nous est un traître en puissance, le bourreau qui est en chacun aurait tort de se gêner. D'autant que la grandeur de la France l'exige: des voix doucereuses nous l'expliquent chaque jour. Et qu'un bon patriote doit avoir la conscience bonne. Et qu'il faut être défaitiste pour l'avoir mauvaise.

Du coup, la stupeur tourne au désespoir : si le patriotisme doit nous précipiter dans l'abjection, si nul garde-fou, nulle part, n'empêche â nul moment ni les nations, ni l'humanité entière de verser dans l'inhumain, alors, en effet, pourquoi prendrions-nous tant de peine pour devenir ou pour rester des hommes : c'est l'inhumain qui est notre vérité. Mais si rien d'autre n'est vrai, s'il faut terroriser ou mourir de terreur, pourquoi prendrions-nous la peine de vivre et de rester patriotes?

Ces pensées, on les a mises en nous de force; obscures et fausses, elles découlent toutes de ce même principe : l'homme est inhumain. Leur but : nous convaincre de notre impuissance. Elles y parviennent, tant qu'on ne les regarde pas en face. Il faut qu'on le sache à l'étranger notre silence n'est pas un assentiment; il vient de cauchemars provoqués,

UNE VICTOIRE

En 1943, rue Lauriston, des Français criaient d'angoisse et de douleur; la France entière les entendait. L'issue de la guerre n'était pas certaine et nous ne voulions pas penser à l'avenir; une seule chose nous paraissait en tout cas impossible: qu'on pût faire crier un jour des hommes en notre nom.

Impossible n'est pas français : en 1958, à Alger, on torture régulièrement, systématiquement, tout le monde le sait, de M. Lacoste aux cultivateurs de l'Aveyron, personne n'en parle. Ou presque: des filets de voix s'effilochent dans le silence. La France n'était guère plus muette sous l'Occupation : encore avait-elle l'excuse de porter un bâillon. A l'étranger, on a déjà conclu nous n'avons pas cessé de nous dégrader. Depuis 1939, selon les uns; selon les autres, depuis 1918. C'est vite dit : je ne crois pas si facilement à la dégradation d'un peuple; je crois à ses marasmes et à ses stupeurs. Pendant la guerre, quand la radio anglaise ou la presse clandestine nous avaient parlé d'Oradour, nous regardions les soldats allemands qui se promenaient dans les rues d'un air inoffensif et nous nous disions parfois : « Ce sont pourtant des hommes qui nous ressemblent. Comment peuvent-ils faire ce qu'ils font? » Et nous étions fiers de nous parce que nous ne comprenions pas. Aujourd'hui, nous savons qu'il n'y a rien à, comprendre : tout s'est fait insensiblement par d'imperceptibles abandons, et puis, quand nous avons levé la tête, nous avons vu dans la glace .Un visage étranger, haïssable le nôtre.

Plongés dans la stupeur, les Français découvrent cette évidence terrible : si rien ne protège une nation contre elle-même, ni son passé, ni ses fidélités, ni ses propres lois, (s'il suffit de quinze ans pour changer en bourreaux les victimes, c'est que l'occasion décide seule : selon l'occasion, n'importe qui, n'importe quand, de viendra victime ou bourreau. Heureux ceux qui sont morts sans avoir jamais eu à se demander: « Si l'on m'arrache les ongles, parlerai-je? » Mais plus heureux encore ceux qui n'ont pas été contraints, à peine quittée l'enfance, de se poser l'autre question : « Si mes amis, si mes frères d'armes, si mes chefs arrachent devant moi les ongles d'un ennemi, que ferai-.je? » Les jeunes gens que les circonstances mettent au pied du mur, que savent-ils d'eux-mêmes? Les résolutions qu'ils prennent ici, ils devinent qu'elles leur paraîtront abstraites et vides, le jour venu, qu'ils seront remis en question tout entiers par une situation

observer que nous ne sommes plus aux beaux temps de 1956. Depuis le procès Guerroudj, un incident a eu lieu, une simple anicroche, bien sûr, mais qui ne devrait pas rester tout à fait sans incidence sur notre manière de rendre la justice, surtout la justice militaire: Sakiet. IL y a eu des bombes à Sakiet; comme à la Centrale de Hamma. Seulement, elles n'étaient pas à retardement. Et les responsables n'avaient pas eu la sottise de borner l'opération à une simple détérioration de matériel. Pour Sakiet aussi, l'heure de l'opération avait été minutieusement choisie : c'était celle du marché. Yveton, il est vrai, n'avait d'autre objectif que de plonger une ville dans la nuit. L'objectif de nos avions, c'était de plonger un village dans la mort. Si nous avions voulu conserver notre rigueur d'Archange, il aurait peut-être fallu chercher les coupables et - qui sait? - les juger. Mais non : M. Gaillard a « couvert »! De quel voile épais ou de quelle brume impénétrable a-t-il espéré couvrir les ruines de Sakiet, je l'ignore. Mais l'opération n'a pas réussi : les pierres fumant au soleil, le monde entier les voit. Seulement M. Gaillard, c'est nous, c'est la France : quand il a, du haut de sa tribune, fait très officiellement le geste auguste du couvreur, il nous a tous mis dans le bain; nos amis étrangers - comme leur presse se Lait un plaisir de nous l'expliquer chaque jour -commencent à se demander très sérieusement si nous ne sommes pas devenus des chiens enragés. Et voici la question qu'on pourrait humblement poser au premier fonctionnaire de notre grande République : Est-ce qu'il est tout à fait opportun d'exécuter les époux Guerroudj? est-ce que nous n'aurions pas intérêt à nous relâcher un peu de notre superbe sévérité? Un pays dont le Gouvernement reprend fièrement à son compte ce que M. Mauriac appelait si bien, l'autre jour, un massacre de pauvres, est-il vraiment qualifié pour que ses représentants appliquent en sonNom la peine de mort à un homme qui n'avait d'autre rôle que d'assurer les liaisons politiques entre les groupes d'origine communiste et le F. L. N., à une femme qui, participant à une entreprise de sabotage, a pris toutes les précautions nécessaires pour que l'opération ne fasse ni morts ni blessés? Il faut le répéter chaque jour aux imbéciles qui souhaitent épouvanter l'univers en lui montrant « le visage terrible de la France »: la France n'épouvante personne, elle n'a même plus les moyens d'intimider, elle commence à faire horreur, c'est tout. Dans l'exécution des Guerroudj, si jamais elle devait avoir lieu, personne ne verrait ni n'admirerait notre inflexibilité d'Archange, on penserait tout simplement que nous avons commis un crime de plus.

Les Temps Modernes, n° 145, mars 1958.

«NOUS SOMMES TOUS DES ASSASSINS»

En novembre 1956, Fernand Yveton, membre des Combattants de la Libération, dépose une bombe dans les locaux de la Centrale électrique de Hamma. Tentative de sabotage qu'on ne peut sous aucun prétexte assimiler à un acte de terrorisme : l'expertise a prouvé qu'il s'agissait d'un engin à mécanisme d'horlogerie, minutieusement réglé pour que l'explosion ne puisse pas se produire avant le départ du personnel. Rien n'y a fait : Yveton est pris, on le condamne à la peine capitale, on refuse de le gracier, on l'exécute. Pas la moindre hésitation : cet homme a déclaré et prouvé qu'il ne voulait la mort de personne, mais nous, nous avons voulu la sienne et nous l'avons obtenue sans défaillance. Il fallait intimider, n'est-ce pas? et, comme l'a dit l'autre jour un imbécile, « montrer le visage terrible de la France irritée ». Comme il faut être pur et sûr de sa pureté pour oser rendre cette Justice d'Archange! Et quand on leur concéderait un instant que cette guerre absurde ait un sens, ne voit-on pas ce que les militaires et les civils français devraient exiger d'eux-mêmes, s'ils espéraient justifier l'atroce rigueur de cette condamnation?

Un peu plus tard vient le procès des « complices », de Jacqueline et d'Abdelkader Guerroudj. Lui, c'est un responsable politique qui assurait les liaisons entre les combattants de la Libération et la direction du F. L. N. Elle, c'est une petite bourgeoise de la « Métropole » qui a voulu prendre sa part des risques parce qu'elle approuvait l'entreprise de son mari. Elle entre dans le Mouvement bien après lui et ses chefs directs la chargent, en novembre 1956, de remettre à Yveton les instruments de son futur sabotage. Elle obéit parce qu'on lui a garanti que l'explosion ne coûterait aucune vie humaine.

Pour ceux qui connaissent la logique des tribunaux militaires, la sentence n'était pas douteuse puisqu'on avait tué Yveton et puisque les époux Guerroudj étaient ses complices, il fallait se déjuger ou les tuer aussi. Ces prévisions ont été confirmées depuis : le commissaire du Gouvernement demanda la tête des inculpés, presque négligemment. Il l'obtint. La complicité de Guerroudj dans l'affaire Yveton n'a pas été établie? Et après? A Alger, notre justice aime mieux étonner le monde par la sévérité de ses sentences que par la qualité des preuves qui les étayent.

Poussera-t-on la logique jusqu'à exécuter les Guerroudj, jusqu'à refuser la grâce présidentielle? S'il était permis d'adresser la parole au plus haut fonctionnaire de la quatrième République, je lui ferais respectueusement

مؤلفات جان بول سارتر

(Works by Jean - Paul Sartre)

La Nausèe: (Paris: Gallimard, 1938). Translated as **Nausea** by Robert Baldick (London: Pengium Books. 1965).

L'imaginaire: (Paris :Gallimard. 1943) Translated as Psychology of Imagination By Bernard Frechtman (London: The Philosophical Library ,1972).

L'étre et le néant: (Paris Gallimard, 1943) Translated as **being and Nothigness** By Hazel E.Barnes (London: Methuen, 1969)

Les Mouches: (Paris Gallimard, 1943) Translated as **The files** by Stuart Glibert (New York: Knopf, 1947)

Huis Clos: Pièce et un acte :(L'Arbalète,1943). Translated as three European Plays: **In camera** by Stuart Glibert (London: Penguin Books, 1969)

L'age de Raison: Vol. 1 of the trilogy Les Chemins de la Liberté (Roads to Freedom) (Paris: Gallimard 1945).Translated as **The age of Reason** by Eric Sutton (London : Penguin Books, 1961).

Le Sursis: Vol 2 of **Les Chemins de la Liberté** (Paris Gallimard, 1945). Translated as **The Reprieve** by Eric Sutton (London: Penguin Books, 1963).

"Matérialisme et Révolution". **Les Temps Modernes,** No. 9 June, 1946, pp.1-32. Reprinted in Situation III. Translated (in part) as Literary and Philosophical Essays (New york: Criterion Books, 1955).

L'Existentialisme est Humanisme: (Paris: Nagel, 1946). Translated as **Existentialism and Humanism** by Philip Mariet (London: Methuen, 1948).

Reflexions sur la Question Juive: (Paris: Morihien, 1946). Translated as **Anti-Semite and Jew** by George J. Berker (New York: Schoken Books, 1965).

Les Mains sales: (Paris: Gallimard, 1948). Translated as **Dirty Hands** by Lionel Abel (New York: Knopf, 1949).

Qu'est ce que la Littérature? In Situations II (Paris: Gallimard, 1948). Translated as **What is Littérature?** by Bernard Frechtman (New York: Philosophical Librairy, 1950).

Morts sans Sépulture: (Lausanne: Marguerat, 1946). Translated as **The Victor** by Lionel Adel. (New York: knopf. 1949).

la mort dans la l'Ame: Vol.3 of Les chemins de la liberté (Paris: Gallimard, 1949) Translated as **Iron in the soul** by Gerard Hopkins London: Hamich Hamilton, 1950).

Entretiens sur la politique: With David Rousset and Gérard Rosenthal (Paris: Gallimard, 1949).

Situations III: (Paris: Gallimard 1949).

Le diable et le bon Dieu: (Paris: Gallimard, 1951) Translated as **The Devil and Good Lord** by S. and G. Leeson (New York: Knopf, 1960).

Saint Genet, Comédien et Martyr: (Paris: Gallimard, 1952). Translated as Saint Genet, Actor and Martyr by Bernard Frechtman (New York: G. Braziller; 1963).

"Les communistes et la paix" **Les Temps Modernes, N°**.81, 1952; 84 -85 1952. 101 1954.

"Les Peintures de Giacometti". **Les Temps Modernes,** N°.103, 1954, pp. 2221 - 32. Translated as "The Paintin go Giacometti" in **Situations.**

"Le Colonialisme est un Système".**Les Temps Modernes,** N° 123, 1956, pp.1371 - 86.

"Vous êtes Formidables." **Les Temps Modernes, N°** 135, 1957, pp. 1641- 7.

"Le fantôme de Staline".**Les Temps Modernes, N°**129 - 31, 1957, pp. 577 - 697.Translated as **The Ghost of Stalin** by martha E. Fletcher (New York: G. Braziller, 1968).

A Preface to Albert Memmi's Portrait du Colonisé Précédé du Portrait **Du Colonisateur.** (Paris Editions Buchot, 1957). Translated as **The** Colonizer and the Colonized by Howard Greenfeld (Monreal: A Condor Books, 1963).

Question de Méthode: Les Temps Modernes, N° 139, 1957 pp. 338 - 417;and N° 140, October 1957,pp.658-98.Translated as **The Problem of Method** by Hazel E. Barnes (London: methuen, 1963).

"Une Victoire".Perface to Henri Alleg's **La Question** (Paris: Edition de Minuit, 1958).Translated as"AVictory"by Jon Clader in Alleg's book (London: Calder, 1958)

"Nous sommes Tous des Assassins". **Les Temps Modernes,** N° 145, 1958, pp. 1574 - 76.

"Le Prétendant" **L'Express,** Mai 1958.

"Les Grenouilles qui demande un Roi" **L'Express,** Septembre 25, 1958.

"Les Séquestrés d'Altona" A play in five acts, **Les Temps Modernes,**N° 164, pp.584 - 656;N°165, 1959, pp.813 - 74. Published in book from (Paris: Gallimard, 1960). Translated as **The Condemned of Altona** by silvia And George Leeson (New York: Knopf, 1961).

Critique de la Raison Dialectique (Paris:Gallimard,1960).Translated as Critique of Dialectical Reason by Alan Sheridan –Smith (London: New Left Books,1976)

A preface to Paul Nizan's **Aden-Arabie.***(Paris:François Maspero,1960)*

A Preface to Frantz Fanon's **Les Damnés de la Terre** (Paris: François Maspero, 1961). Translated by Constance Farrigton in Fanon's book **The** Wretched of the Earth (London: Penguin Books, 1967).

"Les Somnambules" **Les Temps Modernes,**N° 191, 1962, pp.1397 -1401.

Situations IV.(Paris: Gallimard, 1964).Translated as **Situations** by Benita Eister and Maria Jolas (New York: G.Braziller, 1965).

Les Mots: (Paris: Gallimard, 1964).Translated as **Words** by Irene Clephane (London: Penguin Books, 1967).

Situations V. (Paris: Gallimard, 1964).

Les Troyennes: (Paris: Gallimard, 1966). Translated as **The Trojan Woman** by Ronald Duncan (New York:Knopf, 1967).

Situations IX. (Paris: Gallimard, 1972) Translated by John Mathews as Between Existentialism and Marxism (London:Verson Edition, 1983).

Situations X. (Paris: Gallimard, 1976).

Carnets de la Drôle de Guerre Edited by Arlette El –Kaim Sarter Paris: Gallimard, 1983)

مقابلات واستجوابات ومناقشات

(INTERVIEWS AND DISCUSSIONS)

"Présentation", Les Temps Modernes, N°1. 1945, pp.1-21.

"Entretien avec Jean – Sartre" ,interview with C. Grisoli. **Paru** (Monaco, N°13, Décembre, 1945). Pp. 5 - 10.

"Jean- Paul Sartre a Berlin: Discussion autour des **Mouches".Vergèr** (Baden-Baden: Paris,Vol. 11,N°5, 1948) .pp.109 - 23.

Les Nouvelles littéraires, Février 1, 1951.

Speech to the world peace Assembly in Helsinki, June 26, 1955 in **Assemblée Mondiale de la paix,** Helsinki, 22 - 29 June,1955 Published by the Secretarial of the world peace Concil, pp.220 - 27.

Interview with Bernard Dort, **"Les Séquestrés d'Altona** nous concernent Tous".**Théâtre Populaire,XXXVI,** 1959, pp. 1-3.

Interview with **Vérité Pour,** Juin, 1959.

Interview with **L'Express.** "Deux heures avec Sartre". **L'Express,** 17 Septembre, 1959.

"M. Jean –Paul Sartre dresse un Parallèle entre Cuba et l'Algérie", **Le Monde,** Septembre 1960. A report of a lecture given by Sartre at the Brazilian Institute of Advanced Studies, Rio de Janeiro in august.

Letter to the Military Tribunal during the Jeason Trial published in **Le Monde,** 22 Septembre, 1960.

Interview with Oreste F. Pucciani. **The Tulane Drama Review,** Vol. 5, 1960 - 61, pp. 12 - 18.

"**Playboy** interview: Jean-Paul Sartre. A Candid Conversation with the Charismatic Fountainhead of Existentialism and the Rejection of the Nobel Prize" With Madeleine Gobeil. **Playboy,** Vol. 12, N°, May 1965m pp.69 - 76.

"Jean-Paul Sartre: L'Ami du Peuple" ,conversation with J-E Halier and T.Savignat. **L'Idiot International,**Vol. 10, Septembre 1970.

"On a raison de se révolter (Paris: 1974). This is a record of conversation Between Sartrem P.Victor And P. Gavi from Novembre, 1972 to March ,1974.

Sartre Par lui-même. Transcript of a film directed by A. Astruc and M. Contat (Paris: Gallimard, 1977). Translated as **Sartre by Himself** by Richard Seaver (New York: Urizen Books, 1978).

"L'Espoir Maintenant ", interview with B.Levy, **Le Nouvel Obsevateur,** Mars, 1980. Translated as "Today's Hope: Conversations with Sartre", **Telos,** N°44, Summer, 1980,pp. 155 - 81.

بيان بمؤلفات جان بول سارتر
(BIBLIOGRAPHIES)

Contat, M. and Rybalka, M.**Les Ecrits de Sartre** (Paris:Gallimard, 1970). McCleary (Evanston, Northwestern University Press, 1974).

Contat, M. And Rybalka, M."Sartre 1969 - 1970: Bibliographie Commentée". **Adam,** Fol.35, 1970, p.p. 89 – 95

Contat, M. and Rybalka, M. Jean - Paul Sartre: Un Théâtre de **Situations.** Document assembled, edited, introduced and annotated by Michel Contat and Michel Ribalka (Paris: Gallimard, 1973). Translated as **Sartre on Theatre** by Frank Jellinek (London: Quartet Books, 1976).

Contat, M.and Ribalka,, **M.Chronologie** (Paris: Gallimard, 1981).

Lapointe, F.H. Jean – Paul Sartre and His Criotics: an International Bibliography, 1938 – 1975, Philosophy Documentation Center (Ohio: Bowling Green State University, 1981).

Wilcocks, R. Jean - Paul Sartre: Abibliography of International **Criticism** (Edmonton: University of Alberta Press, 1975).

// مؤلفات ألبير كامو
(WORKS BY ALBERT CAMUS)

"Lettre au directeur des temps Modernes","**Les Temps Modernes**"Juillet 1952. pp.317 - 33.

L'Etranger (Paris: Gallkimard, 1957)

"Letter of Replay to Peter L. Caracciola ".**Encoute,** 8Juin 1957.
Actuelles III, Chroniques Algériennes: 1939 - 1958. (Paris: Gallimard, 1958).

Lettres à Jean Gilbert **"Revue d'histoire du Théâtre"** N°4, 1960.

Resistance, Rebellion and Death. Translated by Justin O'Brian. (New York: Knopf 1961).

Essai (Paris: N.R.F. Gallimard, 1965).

المراجع المستعملة حول ألبير كامو
(WORKS ABOUT ALBERT CAMUS)

Albert Camus: A biography by herbert R. Lottman. (New York: George Braziller, 1980).

Block- Michel,J "Albert Camus et la Nostalgie de l'innocence". Preuves, N° 110, 1960.

Frank, J, "Camus and the Algerian War". **Dissent.** N° 31 N4 1984. pp. 424 – 32.

O'Brien, C,C, **Albert Camus,** (New York: Viking Press, 1970).

Quinn, R. "Albert Camus devant le problème Algérien". **Revue des Sciences Humaines.** N° 128, 1967, pp. 613 - 31.

مؤلفات فرانسيس جونسون

(WORKS BY Françis JEANSON)

"Albert Camus ou L'âme Révolté, "**Les Temps Modernes**", N°75 – 80, Vol, 7. 1952. pp. 2070- 80.

Logique du Colonialisme, "**Les Temps Modernes**",N° 80, Juin 1952, pp, 2213 – 29.

L'Algérie hors la loi (Paris: Editions du Seuil, 1955).

· "Lettre à Jean – Paul Sartre". **Vérité Pour.** N° 1. 1958. ·

"Lettre à Jean – Paul Sartre "**Les Temps Modernes,** Vol. 15, 1959 – 60 pp. 1535 - 49.

"Lettre à Jean – Jacques Servan – Schreiber " **Vérité Pour** . N° 17. 1960.
Interview a **Vérité Pour.** N° 18. 1960.

Note Guerre. (Paris: Editions de Minuit, 1960).

La Révolution Algérienne Problèmes et perspectives.(Milan: Feltrinelli, 1962).

Le Problème Moral et la Pensée de Sartre. (paris: Edition du Seuil, 1965). Translated as **Sartre and the Problem of Morality** with an Introduction by Robert V Ston. (Bloomington: Indiana University Press, 1980).

Sartre Par Lui – Même, (Paris: Le Seuil, 1967).

Sartre dans sa vie, (Paris: Le Seuil, 1974).

مؤلفات فرانس فانون

(WORKS BY FRANTZ FANON)

Peau Noir /Masque Blancs. Perface by Françis Jeanson. (Paris: Edition du Seuil, 1952) Translated as **Black Skin, White Masks** by Charles Markmann. (New York: Grove Press, 1961).

L'AN de la Révolution Algérienne. (Paris: François Maspéro, 1959). Translated as **Studies in a dying Colonialism** (With an introduction by Adolfo Gilly) by Haakon Chevalier. (New York: Grove Press, 1968).

Les Donnés de la Terre. Perface by Jean – Paul Sartre (Paris: François Maspero, 1961) Translated as **The Wretched of the Earth** Constance Farrington. (London: Penguin Books, 1961).

ترجم إلى العربية بعنوان معذبوا الأرض .تقديم ك. شولي. ترجمة السيدة منور*الرغاية طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1990*

Pour la Révolution Africaine. (Paris: François Maspéro, 1964) Translated As **Toward the African Revolution** by Haakon Chevalier, (New York: Grove Press, 1968)

ترجم إلى العربية بعنوان/من أجل إفريقيا. ترجمة محمد الميلي.* الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع *

المراجع حول فرانس فانون

Adel, J,L. Fanon: in search of the African Revolution. (London: K,P, 1968).

Geisman, P. "Frantz Fanon : Evolution of a Rvolutionary – A Biographical Sketch "**Monthly Review**,May 1969.

Gendzier, I, L. **Frantz Fanon: A Critical Study.** (London: Wildwood House. 1973).

Krim, B."Frantz Fanon", El – **Moudjahid** , N° 88. 21 Décembre 1961.
Zolberg, A.R. "Frantz Fanon", **Ecounter,** Vol. 27. 1966.

المراجع الأساسية حول النخبة الفرنسية المثقفة

Amrani,A,M. Jean - Paul Sartre and the Algerian Revolution: 1954 – 1962 . Unpublished Ph. D. Theses (Glasgow University 1988).

Aoune M. "La plume et la Probité", **Actualité: Algérie,** N° 1159. Décembre – Janvier, 1988.

Archard, D. Marxism and Existentialism: The Political Philosophy of Sartre and Merleau – Ponty (Belfast: Blackstaff Press, 1980).

Aron, R. **L'opium des Intellectuels** (Paris: Calmann – l'évy, 1955).
Astruc, A. and Contat, M. **Sartre,** (Gallimard, 1977).

Beauvoir, S. De, Les Mémoires D'une Jeune Fille Rangée (Paris: Gallimard, 1958). Translated as **Memoirs of a Dutiful Daughter** by James Kirkup (London: Penguin Books, 1963).

Beauvoir, S. De, **La Force de l'Age** (Paris: Gallimard, 1960). Translated as **The Prime of life,** by Peter Green (London: Penguin Books, 1965).

Beauvoir, S. De, **La Force Des Choses,** (Paris: Gallimard, 1963). Translated as **Force of Circumstance** by Richard Howard (London: Penguin Books, 1968).

Beauvoir, S. De, **Tout Compte Fait,** (Paris: Gallimard, 1972). Translated as **All Said and Done** by Patrick O.Brian (London: Penguin Books, 1977).

Beauvoir, S. De, **La Cérémonie des Adieux,** (Paris: Gallimard, 1981). Translated as **Adieux: A Farewell to Sartre** by Patrick O.Brian (London: andré Deutsch and Weidenfeld & Nicolson, 1984).

Brée, G. camus and Sartre: Crisis and Commitment (New York: Delta Books, 1972).

Borsman ,C.S. "Sartre, the Algérian War, and **Les Séquestrés D'Altona**" papers in **Romance,** volume 3, N° 2 (Spring pp. 81 – 89).

Carot, J.C "Intellectuals and Revolution", **Ramparts,** Vol. 9, December 1970, pp.52 – 5.

Champigny, R. Humanism and Human Racism: A critical Study Of Essays by Sartre and Camus (The Hague: Mouton, 1972).

Cohen – Solal, A. **Sartre.** (Paris: Gallimard, 1985). Translated as **Sartre: A Life** by the author herself (London: Heinemann, 1987).

Crouzet, M. "La Bataille des Intellectuels Français" **La Nef,** 3d NS 13 – 13, 1962 – 1963, pp, 47 – 65.

Debu – Bridel, J. La Résistance Intellectuelle en France (Paris: Julliard, 1970).

Erickson, J." Sartre's African Writing" , **L'Esprit Créateur,** Vol. 10, N°3, 1970.

Fatouros, A.A. "Sartre on Colonialism" , **World Politics,** N° 4. Vol. 17, July 1965, pp. 703 – 19.

Flynn, T. Sartre and Marxist Existentialism: The Test case of Collective Respensibility (Chicago: University of Chicago Press, 1984).

Follesdal, D. "Sartre on Freedom" ,**The philosophy of Jean Paul Sartre.** Edited by Paul Arthur Shilpp, (La Salle, Illinois: Open Court, 1981), pp. 292 – 407.

Harrison, M. "Government and Press in France during the Algerian War" The American political science review , N° 2 Vol. LVIII, June 1964.

Hartmann, K. Sartre's Ontology: A Study of "Being and **Nothigness"in the Light of Hegel's Logic** (Evanston: Northwesterne University Press, 1966).

Karol, K.S. "Sartre on violence", **The New Statesman,** June 25, 1960, pp. 929 – 30.

Kravetz, M. (Sartre et la Guerre d'Algérie", **Magazine Littéraire, N° 103 – 4,** 1975, pp. 58 – 60.

"La Nausée de Jean – Paul Sartre", **Alger - Republicain,** 20 Octobre, 1938.

Maschino, M. **L'engagement** (Paris: François Maspero, 1961).

Maspero,F. Le Droit à l'Insoumission: "Le Dossier Des 121" (Paris: François Maspero, 1961).

Natanson, M. A Critique of Jean – Paul Sartre's Ontology. (The University of Nebraska, 1951).

Naville, P. L'Intellectuel Communiste: A propose de Jean – Paul **Sartre.** (Paris: M. Rivière, 1956).

Naville, P. "L'Intellectuel Communiste" , **Les Lettres Nouvelles** , Vol, 40, 1956, pp. 60 – 79.

Nizan, P. **Aden – Arabie.** (Paris: François Maspero, 1970).

Perris, M. **avec Sartre a stalag.** (Paris: Operamundi, 1980).

Resses, W,L. Dictionary of philosophy and Religion (New Jersey: Humanities Press, 1980).

Salvan, J.L To Be Or Not To Be. an Analysis of Jean – Paul **Sartre's Ontology,** (Detroit: Wayne State University Press, 1962).

Scott, C,E. "The Role of Ontology in Sartre and Heidegger", **The** Philosophy of Jean – Paul Sartre. Edited by Paul Arthur Schilpp (La Salle, Illinois: Open Court, 1981), pp. 277- 99.

Smith, T. "Idealism and People's War: Sartre on Algeria", **Poliotical Theory** VI, November 1973, pp. 426 – 449.

Sorum, P.C. Intellectuals and Decolonization in France, (Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 1977).

Spiegelberg, H. The Phenomenological Movement, Vol, 11 (The Hague: Nijhoff, 1965).

Thody,P. Jean – Paul Sartre: A Literary and Political Study, (New York: Macmilan, 1961).

Varet, G. **L'Ontologie de Sartre** (Paris: Press Universitaires, 1949).

Wahl, J. A Short History of Existentialism, (New York: Philosophical librairy, 1949).

Wranock, M. The Philosophy of Jean – Paul, (London: Hutchinson, 1965).

Wilkinson, J.D. The Intellectual Resistance in Europe, (Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1981).

المراجع الأساسية حول الثورة الجزائرية
(WORKS ABOUT THE ALGERIAN REVOLUTION)

Abbas, F. (La France c'est Moi), L'Entente 23 Fevrier 1936.

Abbas, F. La Guerre et Révolution d'Algérie, (Paris: Juillard, 1962).

Abbas, F. **Autopsie d'une Guerre,** (Paris: Garnier Frères, 1980).

Achard, M. and Metailie, A. **Les Années Soixante,** (Paris: A – M, Metailie, 1981).

Alleg, H. **La Question** (Paris: Edition de Minuit, 1958). Translated as **The Question** by Jhon Calder (London: Calder, 1958).

Alleg, H. **Prisonniers de Guerre,** (Paris: Edition de Minuit, 1961).

Ambler,J. Soldiers Against the State: The French Army in **Politics** (Garden City, NY:doubleday & Co, Anchor books, 1968).

Arnaud,G. and Vergés, **J. Pour Djamila Bohired** (Paris: Edition de Minuit, 1957).

Aron, R, La Tragédie Algérienne (Paris: Plon, 1957).

Aron, R. The Opium of The Intellectuals. Translated by Terence Kilmartin (New York: W.W. Norton, 1968).

Beauvoir, S. De and Halimi, G. **Djamila Boupacha.** The Story of the Torture of a young Algerian girl which shocked liberal French Opinion. Translated by Peter Green (New York:Macmilan, 1962).

Bahr, E, **The Algerian Problem** (London: Penguin Books, 1961).

Belhadj, A., Boumaza, B. and Others. **The Gangrene.** Translated by Robert Silvers (New York: Lyle Stuart, 1960).

Ben Khedda, Y, **Les Accords d'Evian,** (Alger, O.P.U., 1986).

Berger, A. "L'Algérie et la Gauche Française " ,**Esprit,** N° 259, Mars, 1958.

Berque, J. "L'Afrique du Nord entre les deux Guerres Mondiales", Cahiers Internationaux de Sociologie, Vol. 30, 1961, pp.3 – 22.

Berque, J. "Pour la paix en Algérie", **Esprit**, N° 259, Mars 1958, pp. 491 – 94.

Bidault, G. Algérie: L'Oiseau aux Ailes Coupées, (Paris: la Table Ronde, 1958).

Bourdet, C. "Notre Liberté et la Votre", **France - Observateur,** September 15, 1955.

Bourdet, C. "Pourquoi aident – ils le FLN?", **France Observateur,** September 15, 1955.

Bourdet,C."Votre Gestapo d'Algérie ", **France – Observateur,** Janvier 13, 1955.

Bourdet,C. "Torture en Oranie", **France – Observateur,** Septembre 27 1956.

Bourdet,C. "Le Silence et le Sang", **France – Observateur,** Avril 1, 1957.

Bourdet,C. Qui sont les chefs du FLN? ", **France – Observateur,** 7 Novembre, 1957.

Bourdet,C. "Le Suicide du Général Gaulle" **France – Observateur,** Janvier, 1962.

Bromberger,S. **Les rebelles Algériens** (Paris: Plon, 1958).

Cayrol, R. François Mitterrand: 1945 – 1967 (Paris: Fondation Nationale des Sciences Politiques, 1967).

Césaire, A. **Les Armes Miraculeuses** (Paris: NRF/ Gallimard, 1970).

Charby, J. **L'Algérie en Prison** (Paris: Edition de Minuit, 1961).

Chikh, S. **L'Algérie en Armes** (Paris: Economica, 1981).

Clark, M. K. **Algéria Turmoil** (New York: Grosset and Dunlop, 1959).

Cohen, J. "Colonialism et Racisme en Algérie". **Les Temps Modernes,** N° 119. 1955, pp. 580 – 90.

Comité Maurice Audin, **Sans Commentaire** (Paris: Edition de Minuit 1960).

Conifer, V. France and Algeria: The Problem of Civil and Political Reform (1870 – 1920), (Syracuse University Press, 1966).

Courrière, Y. **Les Fils de la Toussaint,** (Paris: Fayard, 1968).

Cyrus Leo, S. The Text: De Gaulle and Algeria (New York: Harcourt, Brace and World, 1962).

De Gaulle, C.H. **Discourts et Messages,** 5 Vols (Paris: Plon, 1970).

De Gaulle, C.H. **Mémoires de Guerre,** 3 Vol. (Paris: Plon, 1959).

Domenach, J.M. "L'Algérie, Proposition Raisonnable", **Esprit,** N° 250? Mai 1957, pp. 777 – 89.

Domenach, J.M." The French Army in Politics", **Foreign Affairs,** Vol 39 1960 – 61.

Domenach, J.M. "Les Damnés de la Terre3" **Esprit,** N° 304, 1962, pp. 454 – 63. N° 305, 1962, pp. 634 – 5.

Doty, R.C. "25 French planes Kill 72 in attack on Tunisian town", **New** York Times, February 9. 1953.

Dufresnoy, C. **Des Officiers Parlent** (Paris: Julliard, 1961).

Ferniot, J. **De Gaulle et le 13 Mai,** (Paris: Plon, 1965).

Fiel. j. A. and Hudnut. T. C. **Algeria. De Gaulle and the Army: 1954 – 1962** – Translated by Jacques Mondal (Paris. Grenoble: Librairie Arthaud. 1975).

Giesbert. F – O. Mitterand ou la Tentation de l' Histoire. (Paris: Editions du seuil. 1977).

Gillespie. j. ALgeria: Rebellion and Revolution. (New york: Prarger. 1960)
Girardet. R. L' idèè coloniale en France de 1871 à 1962. (Paris: La Table Ronde. 1972)

Gordon. D. The Passing of French Algeria. (London: Oxford University Press. 1966)

Guy. M. 13 Mai 1958 - 13 Mai 1962. (Paris: Plon. 1962)

Haroun. A. la 7eme wilaya; la guerre du FLN en France 1954 – 1962. (Paris: Editions du Seuil. 1986)

Harrison, Ch. "French attitudes to Empire and the Algerian War" **African Affairs,** Vol. 82, 1982.

Heilbrunn, O. "The Algerian Emergency, 1954 – 1962", **Journal of** Royal United Service Institute, 1966, pp, 230 – 4.

Heyman, A. Les libertès publiques et la Guerre d'Algèrie. (paris: C. G. D. J. 1972).
Horne. A. A savage war of peace: Algeria 1954 – 1962. (London; 2 nd Edition. 1977).

Jackson. H. F. the F L N in Algeria: Party Development in a Revolutionary Society. (London: Geenwood press. 1977).

Jeune Rèsistance **"Jeune Rèsistance" S' explique.** (Paris; NP, 1960).

Jouhaud. E. **Ce que Je n'ai pas dit.** (Paris; Arthème fayard. 1977)

Karol. k. s. Jeunesse et Guerre d'Algèrie **"vèritè - libertè** N° 3. 1960.

Kelly. G. A. Lost Soldies; The French Army and Empire in **Crisis. 1947 – 1962** (Cambridge. Mass:The MIT Press. 1965).

Kessel. P. and Pirelli. G. Le peuple Algèrien et la Guerre: Lettres et Tèmoingnages. 1954 – 1962. (Paris: Francois Maspero 1962).

Kraft. **J. The Struggle for Algeria.** (Garden city. NY: Doubleday. 1961).

Kramen. J. "Les pieds Noirs". **the New Yorker.** November 25. 1972. pp. 52 – 108.

Lacouture. **J. Cinp Hommes et la France.** (Paris; Editions du seuil. 1961).

Lacouture. J. **Pierre Mendès France.** Translated by George Holoch. (New York: Holmes and Meier, 1984).

La Guerre d'Algérie, Tome II. Sous la Direction d'Henri Alleg, Jacques De Bonis, Henri, J.Douzan, Jean Ferriere, et Pierre Houdiquet.

Collection réalisée avec collaboration de Gilbertt Alleg. (Paris: Temps Actuels, 1981).

Lebjaoui, M. Vérités sur la Révolution Algérienne, (Paris: Gallimard, 1970).

Le Procés d'Edmond Jouhaud (Compte Rendu Sténographique). (Paris: Editions Albin Michel, 1962).

Le procès Des Généraux Challe et Zeller (Texte intégral des Débats) (Paris: Nouvelles Editions Latines, 1962).

Le Procès du Général Raoul Salan, (Sténographie Complète Des audiences, Réquisitoire, Plaidoiries, verdict) (paris: Nouvelles Editions Latines. 1962).

Le Procès du Rèseau Jeanson. (Paris: François Maspro. 1961).

Le Tourneau. R. Evolution Politique de l'Afrique du Nord **Musulmane: 1920 – 1961**. (Paris: Armond Colin .1962).

Leulliette. P. **St. Michel et le Dragon** (Paris 1961) Translated as **St. Michael and the Dragon: A paratroopers in the Algerian War.** by Tony White (London: Heinemann. 1964).

Luethy. H. **France Against Herself.** Translated by Eric Mosbacher (New York: Meridian Books. 1962).

Mandouze. A. LA Rèvolution Algerienne par les Textes. (paris: François Maspèro. 1961).

Massu. J. **La Vrai Bataille d'Alger** (Paris: Plon. 1972).

Mauriac. F. **Nouveaux Bloc - Notes.** (Paris: Flammarion. 1965).

Memmi. A. The Colonizer and the Colonized. **Translated by** Howard Greenfelf (Boston: Beacon Press. 1965).

Mignot. E. "La Guerre Coloniale **d'Algèrie" Cahiers de l'Institut** Maurice Thorez. 6 N°26. 1972. pp. 48 – 66.

OAS Parle (Collections "Archives" dirigèe **par Pierre Nora**) (Paris:Renè Julliard. 1964).

Ouzegane. A. **Le Meilleur Combat.** (Paris: Julliard. 1962)

Paret. P. French Revolutionary Warfare from Indo - China to **Algeria.** (London. Dunmow: Pall Mall Press. 1964)

Passeron. **A. De Gaulle parle.** (Paris: Plon. 1962)

Péju. M. "de L'affaire des Avocats au Rèseau des Intellectuels", **Les Temps Modernes.** N°167 - 8. 1960. pp. 1435 - 40.

Rouanet. P. **Mendès France au Pouvoir.** (Paris: Robert Laffont, 1965).

Roy. **J. La Guerre d'Algérie.** (Paris: Julliard. 1960).

Roy. J. J'accuse le Général Massu. (Paris: Editions du Seuil. 1972).
Selected Articles, **Freedom.** (Vol, 4 - 10, 1954 - 1962).

Servan-Schreiber, J, J. **Lieutenant in Algeria.** Translated by Ronald Mathews (New York: Knopf, 1957).

Servan-Schreiber, J.J. "Le Sang qui Coule", **L'Express,** 18 Septembre, 1958.

Servan-Schreiber, J.J. "Une Lettre d'un non-déserteur", **L'Express,** 15 Septembre, 1960.

Servan-Schreiber, J.J. **La Guerre d'Algérie.** (Paris – Match – Editions, N°1, 1984).

Simon, P-H. **Contre la Torture.** (Paris: Editions du Seuil, 1957).

Soustelle, J. **Aimée et Souffrante Algérie.** (Paris: Plon, 1956).

Soustelle, J. **La Page n'est pas Tournée.** (Paris: Plon, 1965).

Susini, j - j. **Histoire de l'OAS,** Tome 1, (Paris: La Table Ronde, 1963).

Talbott, J. The War Without a Name: France in Algeria: 1954 – 1962. (London, Boston: Faber & Faber, 1980).

Taleb, A. 1. De la Décolonisation à la Révolution Culturelle: 1962 - 1972. (Alger: S.N.E.D. 1981).

Terrenoire, L. De Gaulle et l'Algerie: Témoignage pour **L'Histoire.** (Paris: Arthème Fayard, 1964).

Lancelot, M – T. L'Organisation Armée Secrète, Vol,1, Chronologie, Vol II, Documents. Série documents N°2,
Fondation Nationale des Sciences Politiques (mimeographed). Paris, 1963.

Vaisse, M. **Le Putsch d'Alger** (Brussels: Editions Complexe, 1983).

Vregèr, J, Zavrian, M. and Courrège, M. **Le Droit et la Colère.** (Paris: Editions de Minuit, 1960).

Vidal- Naquet, P. Torture, Cancer of Democracy: France and Algeria 1954 - 1962. Translated by Barry Richard (London: Penguin Books, 1963).

Vidal- Naquet, P.**La Raison d'Etat** (Paris: Editions de Minuit, 1962).

Vidal- Naquet, P.**La Torture dans la République.** (Paris: Editions de Minuit, 1972).

Wall, I.M. "French Communists and the Algerian War", **Journal of** Contemporary History, Vol. 2. N°3 1977, pp. 521 – 43.

Werth, A. The Strange History of Mendès France, (London: Barrie, 1957).

Yefsah, A. Le Processus de légitimation du Pouvoir Militaire et La Construction de l'Etat en Algérie, (Paris: Anthropos, C. 1982).

مراجع عامة

(GENERAL WORKS)

Brower, D.r The New Jacobins: The French Communist Party And the Popular Front (Cornell Univ. Press, 1968).

Gaute. D. Communism and The French Intellectuals: 1914 – 1960 (London: Andrè Deutsch. 1964).

Cobban. A. A. **History of Modern France.** Vol. 3 (London: Penguin Books. 1961).

Fromm. E. **Marx's Concept of Man** (New york: Ungar. 1961).

Johnson, R.G. The French Communist Party Versus the **Student** (New Haven, London: Yale University Press. 1972).

Lacouture, J. **André Malraux.** Translated by Alan Sheridan, (London: André Deutsch, 1975).

Merleau – Ponty, M. Humanism and Terror: An Essay on the Communist Problem. Translated by John O'Neil (Boston: Beacon Press, 1969).

Peter, E. **Torture** (New York, Oxford: Basil Blackwell, 1985).

Ruthven, M. **Torture, the great conspiracy** (London: Weidenfeld and Nicolson, 1978).

Torrance, J. Estrangement, Alienation and Exploitation, (London: The Macmillan Press, 1977).

Wilkinson, J, D. The Intellectual Resistance in Europe, (Combridge, Mass: Harvard Unuversity Press, 1981).

الوثائق الرسمية
(OFFICIAL DOCUMENTS)

Algérie Documentation, "Discours du Général De Gaulle" prononcé à la Radiodiffusion – Télévision Française, le 6 Septembre, 1959.

Basic Rules of the Geneva conventions and their additional protocols. Edited By the International Committee of the Red Cross, Geneva, 1983.

"Constructive Action of the French Gouvernment in Algeria". **French,** Affairs, N°40, January, 1957.

De Gaulle, Charles, Major Adress Statement and Press **Conferences,** May 19, 1958 - January 31, 1964 (New York: ND).

Dossier. France, Algérie, OAS, Tracts. Paris: Bibliothèque de Documentation Internationale Contemporaine. (A file of Tracts collected by this library).

France Under DeGaulle. Edited by Robert A. Diamond, (New York: Facts on File, 1970).

Free Algeria, Vol.1, N°1. April 15, 1960. 5. Published monthly by the British Friends of the Algreian Revolution (mimeo).

General Assembly Resolution 217 A (111), December 10, 1948, U.N. Doc. a/810 at 7/1948.

Paris, AEP (Broadcast, April 8, 1958. 1729 GMT- E).

Survey of China Mainland Press, American Consulate General, Hong Kong (N°1031, April 20, 1955).

Témoignages et Documents sur la Guerre en Algérie. (Centre de Coordination pour la Défense des Libértés et de la Paix, 1959).

"The Question of Algeria". A summary report submitted to the United Nations by the FLN's Leaders (September 14, 1955). (mimeo).

United States, Congressional Record, Vol. 103, Part 81st Congress, First Session, July 2, 1957.

الجرائد

(NEWSPAPERS)

El –Moudjahid, 1956 - 1959 Mars 1962 et Novembre 18, 1979.

La Dépêche Quotidienne, Novembre 1954

L'Echo – d'Alger, 1957, 1960.

Le Figaro, Septembre 1960.

Le Monde, Mai 1945; Septembre- Novembre 1954; Mai 1956; 1958, Juin 1958; Aout 1958, Septembre 1958, Mai 1959; Juillet 1959; Janvier 1960; Septembre 1960; Decembre 1960.

L'Humanité, Avril 1948; Novembre 1954.

Libération, Juin 1955.

Liberté, Mai 1945.

Manchester Guardian, Fevrier 1957.

New York Times, Fevrier, 12, 1958.

Paris- Presse,Avril & Septembre 1960.

Réforme, Octobre 1960.

The Times, June 1987.

Time, September 1959 and Jannuary 1962.

المراجع المستعملة باللغة العربية

اجيرون.ش.ر. **تاريخ الجزائر المعاصرة.** ترجمة عيسى عصفور بيروت: منشورات.عويدات. 1982 أرون .ر.الاستقلال للجزائر. ترجمة جان عبريال.

المهدي. أو مجموعة من الكتاب. **سارتر. مفكر وأنسانا** القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. 1968.

سارتر. ج.ب. **الوجود والعدم.** ترجمة عبد الرحمان بدوى. بيروت: منشورات دار الآداب. 1966.

سارتر. ج. ب. **عارنا... في الجزائر** ترجمة عايدة وسهيل إدريس. بيروت: منشورات دار الآداب. 1958.

سارتر. ج. ب **سجناء ألطونا.** ترجمة عبد المنعم الحفنى القاهرة: عالم الكتب.

سارتر. ج. ب. **الغثيان.** ترجمة د/سهيل إدريس. بيروت: دار الآداب. 1986.

سارتر. ج. ب. **الوجودية: مذهب إنساني.** ترجمة د/كمال الحاج. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. 1983.

سارتر. ج. ب. **دفاع عن المثقفين.** ترجمة جورج طرابيشي بيروت: دار الآداب. 1973.

عمراني. ع. فرانسيس جونسون والثورة الجزائرية. - الأوراس — العدد: 218 – 219. فيفري 1994.

عمراني. ع. ألبير كامو والثورة الجزائرية — الأطلس — العدد: 62 ماي 1994.

عمراني. ع. النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية. 1654 - 1962. باتنة: دار الشهاب. 1995.

شوفالييه. ج. ج. تاريخ الفكر السياسي. ترجمة د/محمد عرب صاصيلا. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. 1985.

صليبا. ج. المعجم الفلسفي — ج1 – بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1978.

صليبا. ج. المعجم الفلسفي ج2. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1978.

هنري سيمون. ب. ضد التعذيب في الجزائر. ترجمة هيج شعبان. بيروت: دار العلم للملايين. 1957.

فهرس الأعلام

محتوى الكتاب







يتناول هذا الكتاب مبدأ و موقف الفيلسوف الفرنسي المشهور جان بول سارتر (Jean - Paul Sartre - 1905-1980) من الثورة الجزائرية: 1954-1962 تحليل أفكاره الفلسفية والأدبية والتاريخية وتطور كتاباته السياسية تجاه الشعب الجزائري.

ويتحدث أيضا عن موقف النخبة الفرنسية المثقفة تجاه "القضية الجزائرية" وخاصة ألبير كامو (lbert Camus) وفرانسيس جونسون (Francis Jeanson) وفرانس فانون (Frantz Fanon) وسيمون دي بوفوار (Simone de Beauvoir) الخ ...

المؤلف في سطور

الأستاذ الدكتور عبد المجيد عمراني Professor Dr: Abdelmadjid Amrani

الليسانس فلسفة من جامعة الجزائر 1981

ماجستير فلسفة (M.Litt) من جامعة أقلاسقو(Glasgow) بريطانيا 1986

دكتوراه الدولة في الفلسفة (Ph.D) من جامعة اقلاسقو(Glasgow) بريطانيا 1990

استاذ التعليم العالي 1998

عضو المجلس الأعلى للغة العربية (1998-2003)

عضو في الجمعية الفلسفية العربية (1995 -2001)

عضو في الجمعية الفلسفية السارترية لشمال امريكا

عضو في الجمعية الفلسفية الصينية التي طلبت منا التعريف بمثالية موقف سارتر من الثورة الجزائرية في مؤتمرها العالمي الخامس عشر المنعقد بجامعة اوهان.

Wuhan University.China June 24-28 2007
Idealism on Jean-Paul Sartre's position Towards
The Algerian Revolution: 1954-1962

مدير مخبر بحث لحوار الحضارات و العولمة منذ 2002.

شارك في العديد من الندوات و الملتقيات والمؤتمرات الوطنية و الدولية

صدر له العديد من المؤلفات باللغة العربية و الإنجليزية في الوطن و خار

- في تاريخ الفكر السياسي
- مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة
- *The Concept of Bad Faith in Jean Paul Sarte's Philosophy*

عميد كلية الآداب و العلوم الإنسانية منذ 1999 وأستاذ الفلسفة بجامعة





ISBN 9961 60 934 7
9789961609347